297.63
M95rA
C.1

محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قرآن كريم

تأليف

محمد رضا

بمكتبة الجامعة المصرية

مؤلف أبي بكر ، عمر ، عثمان

الطبعة الثانية

راجعها المؤلف وأضاف اليها زيادات شتى

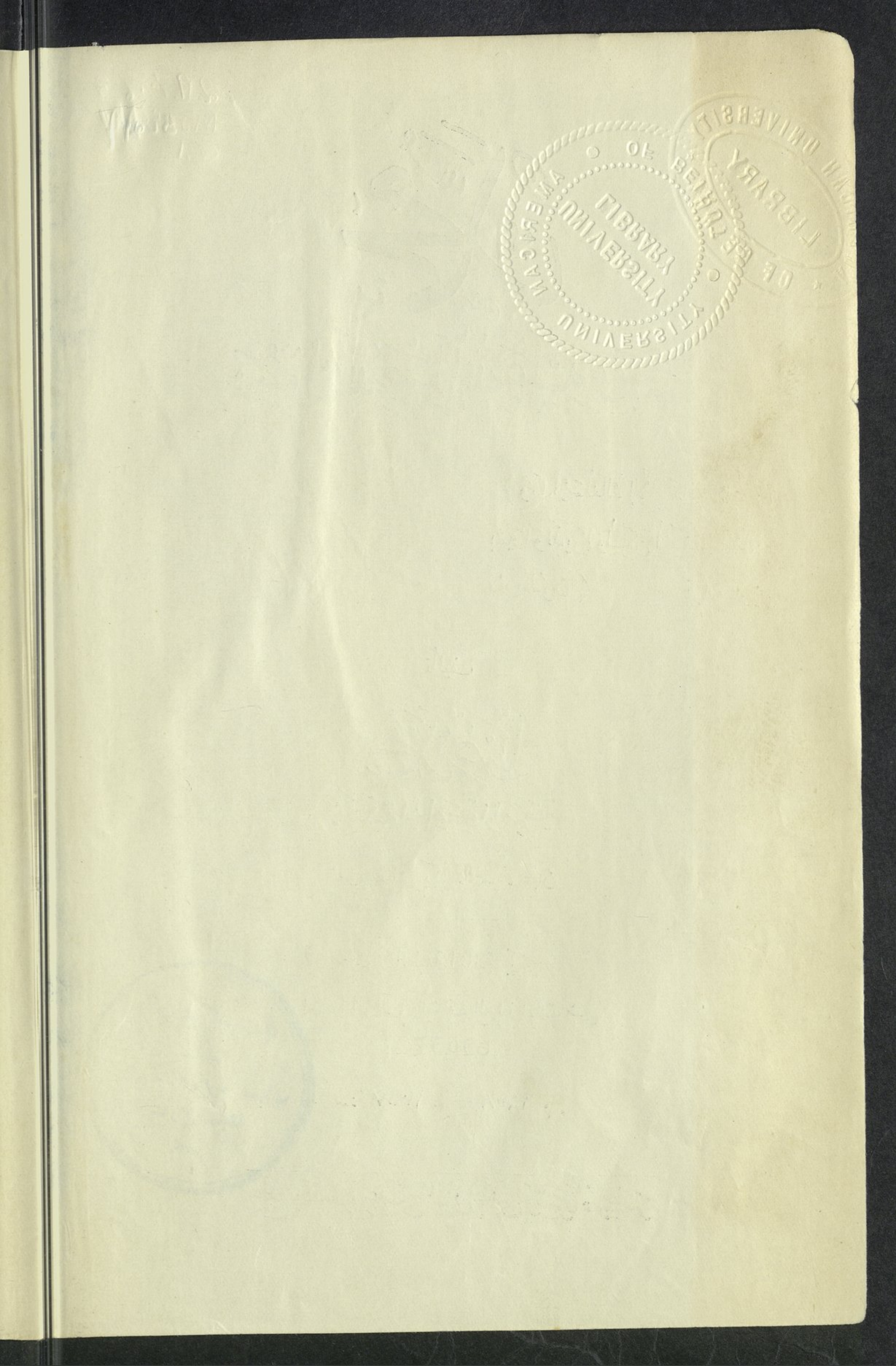
69037

سنة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما البستاني
بشارع الفجالة
بمصر

Cat. Feb. 1950

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



اهداء الكتاب

بكل خضوع وخشوع ، أقدّم كتابى هذا إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى من أُنزل عليه الفُرقان . ونشر لواء الاسلام . وعلّم الخلق كيف يعملون لدنياهم الفانية وآخرتهم الباقية

إلى نور الهُدى الذى بلغ من حسن الخُلق ورُجحان العقل وثبات العقيدة ، غايةً ليس وراءها مُطّلَعٌ لناظر ، ولا نهاية لمستزيد ولا فوقها مُرْتَقًى لهمَّة . من أثنى عليه ربُّ العالمين فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

هذه يارسول الله سيرتك الطاهرة العاطرة ، أرجو أن تنال عَطفك وتحظى برضاك . فانى لم أرِدْ غيرَ وجه الله الكريم . والتبركَ برسوله الأمين . وخدمة المسلمين أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين . سيدنا محمد النبى العربى الأمى الأمين . الذى سطعت أنواره من مكة المكرمة فأضاءت الأنام . وبددت جحافل الظلام . ومحت الوثنية ومحقت الأصنام . وثبتت بفضل جهوده دعائم الوحدانية وأسس الايمان . وانتشرت الفضائل بالاقتداء بسيرته والاهتداء بتعاليمه

وبعد فهذه قطرة من بحر السيرة النبوية عنيت بتأليفها وتنسيقها لتكون درساً ومرجعاً لطلاب التاريخ الاسلامى . وقد بذلت المجهود فى البحث والتنقيب والاطلاع على ما ألف فى هذا الموضوع المترامى الأطراف الذى قضى العلماء فيه أعمارهم من قديم الزمان إلى الآن . واستعنت بأوثق المصادر وحققت ما وجدت من خلاف وجمعت شمل ما تشتت فى بطون الأسفار . فلم أقتصر على كتب السير وهى تفوق حد الكثرة ، بل اعتمدت أيضاً على تفاسير القرآن الشريف وكتب الحديث الموثوق بها وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم ومعاجم اللغة . وساقنى البحث إلى مطالعة كتب المستشرقين فى السيرة النبوية للوقوف على طرائق بحثهم وسردهم الحوادث ومواطن شبههم واعتراضاتهم ، فمنهم المنصفون وهم الأقلون وقد استشهدت بآرائهم فى الدفاع عن صاحب الشريعة ، ومنهم المعتدلون لكن لا تخلو تعليقاتهم من اعتراضات ومغامز خفية وشبهات لا يستطيع ردها الى الصواب من الوجهة التاريخية الا من درسها ودرس معها التاريخ الاسلامى بتوسع من مصادره الأصلية وينابيعه الصافية . ومنهم من لا هم له الا الطعن بدافع التعصب والحقد ، كزمرة المبشرين الذين لا يبغون غير افساد العقائد ، وهؤلاء لا يمكن أن نسميهم علماء محققين بل هم فى الواقع تجار مضللون فقد ينسب الواحد منهم الى الاسلام ورسوله الكريم من الخرافات والمفتريات ما لا أصل له الا فى مخيلته ومخيلة كل متعنت مغرض . ولذا اضطررت بعد أن وقفت على حقائق

التاريخ الاسلامى أن أترجم الى قراء العربية بعض هذه الشبهات والاعتراضات ورددت عليها من المصادر الصحيحة ردوداً تضمحل أمامها كل شبهة ويزول كل شك حتى تتطهر النفوس من أدران الشبهات وتعود الى الهدى وتسلك المحجة الواضحة . ولا يخفى أن ترك هؤلاء المتعصبين الحانقين على الاسلام أو المتجرين باسم الدين يلقون بذور الفساد وينشرون المفتريات والاعتراضات من غير أن ينهض من يذود عن الحقائق بسلاح العلم الصحيح واقامة الحجج الناصعة والبراهين القاطعة - تهاون وتقصير يجب أن يتنزه عنهما كل من آتاه الله عقلا راجحاً

إن الينابيع التى تُستقى منها السيرة النبوية وافية لكنها مع ذلك مشتتة فى بطون كتب التواريخ العامة والأدب واللغة والطب والفلك فقد تعثر فيها على بحوث قيمة قد لا توجد فى كتب السير، فلقطف هذه الثمار لابد من البحث والاطلاع بصبر وتأن وهذا يحتاج إلى جهد شاق ووقت طويل

أما كتب السير نفسها فهى على ما يعلم كل باحث ومحقق غير مرتبة ترتيباً يسهل على الطالب العثور على بغيته من ضبط تواريخ الوقائع والحوادث وتسلسلها ومعرفة مواقع البلدان والأماكن والوقوف على سير الرجال بصورة واضحة جلية . وهى اما مطولة تطويلا مملا أو مختصرة اختصاراً مخلا

تلك الكتب تنقصها الفهارس الوافية التى لا يخلو منها كتاب حديث . فهارس بأسماء الرجال والقبائل والنساء والأماكن . هذا غير الفهرس العام بالموضوعات . وقد قمت بتحرير وترتيب هذه الفهارس بأنواعها لسهولة البحث والمراجعة إذ قد لا يتسع وقت الباحث فى موضوع خاص لتلاوة الكتاب من أوله إلى آخره

أضف إلى ذلك ما فى السير من الحشو والخروج عن الموضوع والتضارب والاختلافات التى لا يخلو منها كتاب والتى لا يكاد يستخلص القارئ منها واقعة صحيحة أو رأياً قاطعاً يرتاح إليه

هذه حالة المؤلفات العربية التى بين أيدينا . وقد تعرّض بعض المصنفين فى العصر الحاضر إلى تحليل شخصية رسول الله ﷺ تحليلاً نفسياً باعتبار أنه شخص عادىّ

إلا أن ذلك قد يؤدى الى الشطط وطمس الحقائق التاريخية وتشويهها . لأن سيرة رسول الله ليست كسيرة أى فرد من الأفراد أوعظيم من العظماء ممن يطبق على حياتهم وسلوكهم أصول علم النفس ويحكم عليهم بمجرد الرأى والملاحظة . نعم انه عليه الصلاة والسلام انسان لكنه انسان ممتاز بلغت عظمته الكمال البشرى فلا يمكن مقارنته بغيره من عظماء القادة والزعماء . انسان اختاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه لتبليغ رسالته للناس كافة وأنزل عليه الوحى وأتى بمعجزات خارقة للطبيعة يقف أمامها العقل البشرى حائراً لا يفقه لها تعليلا . ولا يزال العقل عاجزاً عن إدراك كنهها و كيفية وقوعها بالرغم من تقدم العلوم والاكتشافات الحديثة

ولا يفوتنى أن أذكر أن التاريخ لايعتبر الآن كما كان فى سالف الأزمان قصصاً تكتب وتتلى ، بل أصبح علماً يدرس كما تدرس العلوم المؤسسة على البحث والتحقيق

إن للعلماء السابقين مزيد الفضل فقد حرصوا على تدوين الأحاديث النبوية وتحروا صحتها وألفوا السير فاغترفنا من مناهلهم العذبة وقطفنا من ثمار مجهوداتهم الصادقة .

وها أنا ذا أتقدم بهذا الكتاب الى العالم الاسلامى راجياً المولى جل شأنه أن أكون بعملى هذا قد أديت بعض الواجب علىّ نحو سيدى وحبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو الدين الحنيف ، دين الطهر والتوحيد والأخلاق الفاضلة

ثم أتقدم بالشكر الخالص للفاضلين عبد العزيز أفندى الحلبى ومحمد أفندى الحلبى لعنايتهما بطبع الكتاب طبعاً متقناً وتولى نشره فى العالم الاسلامى . جزاهما الله خير الجزاء . وأشكر جميع أصدقائى الذين أبدوا غيرتهم واهتمامهم لاظهار الكتاب حباً منهم فى العلم وخدامه ؟

محمد رضا

مقدمة الطبعة الثانية

أقدم للعالم الاسلامى الطبعة الثانية من سيرة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولى فى مدة وجيزة فاضطررت الى اضافة زيادات مهمة لتكون وافية . وقد كان من دواعى اغتباطى مالاقيته من القراء ، من حسن الثناء ، الخالى من شوائب الملق والرياء . فاننى لست ممن يُتملق له ولا ممن تُرتجى عنده الحظوة لمال أو جاه

ان الاحاطة بالسيرة ، وان كانت فى الواقع شاقة عسيرة ، فقد أفرغت الوسع . وبذلت الجهد فى تصنيفها وجمع شتاتها . وحققت مختلف الروايات . فلم أثبت الا ما صح منها وما أجمع عليه أكابر الصحابة والعلماء . وذكرت الآيات عند المناسبات حتى يُعلم أسباب النزول، وشرحت مواقع البلدان والغزوات والألفاظ اللغوية، وقيدت الوقائع بالتواريخ الهجرية مع ما يقابلها من السنين الميلادية . ولم أترك صحابياً الا كتبت نبذة عن ترجمته لتُعرف سيرته وعلاقته بالحوادث . فجاء الكتاب بعون الله مرجعاً تاريخياً وبحثاً علمياً مدعماً بالأدلة القاطعة ، معززاً بالحجج الدامغة ، مؤيداً بكتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا غرو اذا أنفقت فى هذا العمل شطراً كبيراً من حياتى وتفكيرى

وانى انتهز هذه الفرصة لانشر فى هذه الطبعة ماتلقيته بيد الشكر والامتنان من كتب التقدير التى تفضل بارسالها المغفور له جلالة الملك المعظم فؤاد الأول وسمو الأمير الجليل عمر طوسون وجلالة الامام يحيى ملك اليمن أطال الله حياتهما ، وكتاب صاحب المعالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف

هذا وقد وفقت الى طبع سيرة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم وكان للمكتبة الحلبية فضل كبير فى طبع هذا الكتاب للمرة الأولى والثانية تعميماً لنفعه . والله أسأل ان يسدد خطانا ويوفقنا الى خدمة المسلمين انه سميع مجيب ؟

محمد رضا

كتاب

المغفور له جلالة مولانا الملك المعظم فؤاد الأول

حضرة محمد افندى رضا بمكتبة الجامعة المصرية

رفعت الى مقام حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم مؤلفكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنال حسن القبول

فأتشرف بابلاغ حضرتكم ذلك مع شكر جلالته السامى

وتقبلوا وافر الاحترام ؟

في { ٢٨ شوال سنة ١٣٥٣ هـ
٢ فبراير سنة ١٩٣٥ م }

وكيل ديوان جلالة الملك

(مراد محسن)

خطاب

سمو الأمير الجليل عمر طوسون

حضرة الأستاذ الفاضل محمد افندى رضا

أهديتم الينا مؤلفكم القيم « محمد » فنزل فى نفسنا منزلة خاصة جعلتنا نتصفح كثيراً من موضوعاته . وقد حملنا تقديرنا له على أن نبعث اليكم بخطابنا هذا مثنين على هذا الجهد المضنى الذى بذلتموه فى هذا السبيل وأخرجتم لنا هذه الثمرة الجنية فى أشرف موضوع كتب فيه الكاتبون ألا وهو سيرة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد فانا نهنئكم باضطلاعكم بهذا العمل العظيم وإخراجه على أكمل وجه وأحسنه . فان السيرة الشريفة كتب فيها ألوف من المؤلفين منذ بعثه عليه صلوات الله وسلامه الى الآن . وموضوع كهذا فرغ منه المؤلفون وأفرغوا فيه جهودهم ليس من الهنات الهينات الكتابة فيه من جديد فضلا عن الاحسان فيه كل الاحسان

أما حاجة الناس جميعاً الى هذا الكتاب فهى فى الحقيقه حاجة ملحة لامفر منها ولا غنى عنها . فالسيرة النبوية فيها من مواطن الاهتداء ومثل الاحتذاء وأسباب القدوة الحسنة وبواعث الهداية الى السنة المتبعة ومظاهر الكمال الانسانى ما ليس فى غيرها من العظماء وتراجم الزعماء . ولا غرو فهى سيرة « محمد » وكفى بهذا الاسم الكريم شرفاً ونبلا

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

٢٨ – ١٠ – ١٩٣٤ (عمر طوسون)

خطاب

جلالة الامام يحي ملك اليمن

حضرة العالم المؤلف محمد افندى رضا بمكتبة الجامعة المصرية أحسن الله اليه في آخرته ودنياه . وأجزل له المثوبه فيما خطته يداه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انا نبارك لكم فى هذا الكتاب لما وفقتم اليه من التأليف . وأعملتم الفكر فيه من التهذيب والتصنيف . حيث أضفتم الى المؤلفات فى السيرة النبوية فرداً جمع بين دقة المغزى والتحرى . ونشكر لكم تلك التكرمة التى أوقفتنا على نسخة منه سرتنا رؤيتها . وجمعت المحاسن بهجتها . فاقبلوا منا الشكران على الهدية ومن الله تعالى نستمد لكم ماتبغون من ثواب العمل الصالح . والأجر الرابح والسلام عليكم م؟

فى ١٨ شعبان سنة ١٣٥٣ ه

خطاب

حضرة صاحب المعالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك

وزير الأوقاف

مصر فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤

حضرة العالم الفاضل الأستاذ محمد افندى رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وشكر الله فضلكم الذى أكرمتمونى به إذ أهديتم إلىّ كتابكم – محمد رسول الله ﷺ

وقد أحسن الأستاذ فى وضع كتاب فى سيرة الرسول الأعظم يتجلى فيه الاخلاص والجهد الموفق ويسهل على المطالع أن يصل الى مايريد منه بما ألحق به من فهارس طيبة . فذلك من نافع البر وصالح العمل

جزى الله صنيعكم جزاء حسناً وأكثر النفع بعلمكم وفضلكم .

مصطفى عبد الرازق

نسبه

صلى الله عليـــه وسلم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف [1] بن قُصىّ [2] بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤىّ [3] بن غالب بن فِهْر [4] بن مالك بن النضر [5] بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن الياس [6] بن مُضَر [7] بن نِزار [8] بن مَعدّ [9] ابن عدنان [10]

ان نسب سيدنا محمد صلى الله عليه سلم لايختلف النسابون فيه الى معد بن عدنان كما هو مذكور ههنا . وانما اختلف النسابون من عدنان الى اسماعيل ، لكنهم أجمعوا على أنه ينتهى الى اسماعيل . وكره الامام مالك رفع النسب الى آدم ، وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال «من ههنا كذب النسابون»

ومضر وربيعة هم صريح ولد اسماعيل باتفاق جميع أهل النسب

---

(١) مناف اسم صنم أضيف عبد اليه كما يقولون عبد يغوث وعبد العزى وعبد اللات (٢) قصى يقال اسمه زيد ويقال اسمه مجمع (٣) لؤى تصغير لأى وهو الثور الوحشى، وقد يكون تصغير لأى وهو البطء . والمشهور فيه الهمز (٤) فهر : الحجر على مقدار ملء الكف يذكر ويؤنث (٥) النضر الذهب الأحمر (٦) إلياس مختلف فيه فمنهم من يقول اليأس موافق للذى هو خلاف الرجاء وهو مصدر يئس، قيل سمى بذلك لأنه ولد بعد كبر سن أبيه وبعضهم يقول فيه إلياس بكسر الهمزة (٧) مضر: الأبيض مشتق من اللبن الماضر وهو الحامض (٨) نزار من النزارة وهى القلة (٩) معد من تمعد إذا اشتد (١٠) عدنان مأخوذ من عدن فى المكان اذا أقام فيه ، ومنه جنات عدن أى جنات إقامة وخلود

وهذا النسب أشرف الانساب . عن العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا » . وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »

مناقب أجداده

صلى الله عليه وسلم

النبى صلى الله عليه وسلم من سلالة آباء كرام وكلهم سادة وقادة ولهم مكان مكين ومقام بين العرب عظيم، وقد اشتهروا بالحكمة والشجاعة والاقدام والكرم كما يتبين ذلك مما نذكره بالاختصار من مناقبهم وأخبارهم .

فقد كان (معد) صاحب حروب وغارات على بنى اسماعيل ولم يحارب أحداً الا رجع بالنصر

وكان (نزار) أجمل أهل زمانه وأرجحهم عقلا

وكان (مضر) جميلا كذلك .ولم يره أحد الا أحبه ومن حكمه المأثورة :

« خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فُواق »

والفواق مابين الحلبتين، ومضر أول من حدا للابل وكان من أحسن الناس صوتاً

وكان (إلياس) فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه ، ومن حكمه :

« من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة »

وأما (فهر) فاليه جماع قريش وما كان فوق فهر فلا يقال له قرشي بل يقال له كنانى ، واسمه قريش وكان فهر كريماً يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وهو الجد السادس لأبى عبيدة بن الجراح

(كعب) وهو الجد الثامن لعمر بن الخطاب . كان يجمع قومه يوم العروبة أى يوم الرحمة وهو يوم الجمعة فيعظهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وينبئهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه

(مرة) وهو الجد السادس لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجد السادس أيضاً

لأبى بكر الصديق رضى الله عنـه ، وفى مـرة أيضاً يجتمع نسب الامام مالك بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم

و (كلاب) اسمه حكيم وقيل عروة . ولقب بكلاب لأنه كان يكثر الصيدبالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم فهو ملتقى نسب أبيه بنسب أمه . وقيل انه أول من سمى الأشهر العربية المستعملة الى الآن

و (قصى) اسمه زيد ويقال له مجمع وبه جمع الله القبائل من قريش فى مكة بعـد تفرقها فأنزلهم أبطح مكة وكان بعضهم فى الشعاب ورءوس الجبال بمكة فقسم منازلهم فسمى مجمعا ، وهـذا عمل جليـل وفضل عظيم لا يتم الا على يد ذوى النفوس الأبية والهمم العاليـة . وقصى أول من أوقد نار المزدلفة وكانت توقد حتى يراها من دفع من عرفة . وهو أول من جدد بناء الـكعبة من قريش بعد ابراهيم . وقيل انما لقب قصياً لانه أبعد عن أهله ووطنه مع امه بعد وفاة أبيه فانها تزوجت ربيعـة بن حرام فرحل بها الى الشام

وفيه يقول حذافة بن غانم:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعاً   به جمع الله القبائل من فهر

وكان الى قصىّ فى الجاهليـة حجابة البيت (١) وسقاية الحاج (٢) واطعامه المسمى بالرفادة (٣) ، والندوة وهى الشورى لا يتم أمر الا فى بيته ولا يعقد عقد نكاح الا فى داره ولا يعقـد لواء حرب الا فيها فـكان بيتـه عبارة عن ناد للعرب بـل هو ملجأهم فى جميع المشكلات سواء كانت هذه المشكلات قومية أو شخصية

ولمـا حضرته الوفاة نهى بنيـه عن الخمـر ولا بد أنه أدرك مضرتها فنهى أحب الناس اليه عن احتسائها

---

(١) الحجابة هى سدانة البيت أى تولية مفتاح بيت الله تعالى (٢) السقاية: سقى الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب إليها من الخارج فيسقى الحجاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقيهم اياه وكانت وظيفة لهم (٣) الرفادة اطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الأسمطة فى أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة الى أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين وكان قصى يطعم الحجاج لانهم ضيوفه

ومن كلامه الدال على تجاربه ورجاحة عقله :

« من أكرم لئيما شاركه فى لؤمه . ومن استحسن قبيحاً ترك الى قبحه . ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان . ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان . والحسود هو العدو الخفى » واذا كنا نحكم على الانسان بكلامه فهذا يدل على أن قصياً كان يبغض اللؤم والقبح بغضاً شديدا وكان شجاعاً كارهاً للغرور والحسد

و (عبد مناف) اسمه المغيرة وكان يقال له « قمر البطحاء » لحسنه وجماله ، وكانت قريش تسميه الفيّاض لكرمه ، وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع للامام الشافعى

(هاشم) واسمه عمرو بن عبد مناف ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وقد ساد قومه بعد أبيه عبد مناف ، وقد وقعت مجاعة شديدة فى قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقاً وكعكا وقدم به مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جُزُراً (١) وجعل ذلك ثريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى بذلك « هاشماً » وكان يقال له « أبو البطحاء » و « سيد البطحاء » ـ والبطحاء مسيل الوادى ـ ولم تزل مائدته منصوبة فى السراء والضراء ، وكان موسراً يؤدى الحق ويؤمن الخائف . وهو أول من سن الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، فكان يرحل فى الشتاء الى اليمن والى الحبشة وفى الصيف الى الشام . قال الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سُنَّتْ اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ومات هاشم بغزة من أرض الشام تاجراً

(عبد المطلب) وأمه سلمى بنت زيد النجارية . واسم عبد المطلب شيبة الحمد لأنه ولد وله شيبة مع رجاء حمد الناس له . وانما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه خلفه وكان بهيئة رثة لفقره فقيل له من هذا ؟ : فقال عبدى حياء ممن سأله وكان عبد المطلب مجاب الدعوة . وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رءوس الجبال وهذا

(١) جزر جمع الجزور من الابل ويقع على الذكر والانثى

احساس لطيف ورفق بالحيوان الأعجم ولذا كان يقال له « مطعم الطير » ويقال له «الفيَّاض» . وكان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا وهو أول من تحنث (تعبد) بحراء. كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين . عاش مائة وعشرين سنة أو أكثر وقد انتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب . وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور. ورفض عبد المطلب فى نهاية عمره عبادة الاصنام ووحد الله . وقال دغفل النسَّابة ان عبد المطلب كان أبيض . مديد القامة. حسن الوجه . فى جبينه نور النبوة وعز الملك . يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أُسد غاب

وهو الذى كشف عن زمزم بئر اسماعيل وأقام سقايتها للحجاج فكانت له فخراً وعزاً على قريش وعلى سائر العرب

وكان يكرم النبى صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول « ان لابنى هذا لشأناً عظيماً » وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده . وكانت كنية عبد المطلب « أبا الحارث » كنى بذلك لأن الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث

أولاد عبد المطلب : أعمام رسول الله وعماته

أولاد عبد المطلب عشرة ذكور : عبد الله. أبو طالب «واسمه عبد مناف» الزبير (أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية) . العباس . ضرار (أمهما نتيلة العمرية) حمزة . المقوم (أمهما هالة بنت وهب) أبو لهب وهو عبد العزى (أمه لبنى الخزاعية) الحارث (أمه صفية من بنى عامر بن صعصعة) الغيداق (أمه ممنعة) واسمه حجل .

وست نسوة وهن : صفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة [1]

أما (عبد الله) فهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا قثم وقيل أبا محمد وقيل أبا أحمد

---

(١) لم يسلم من أعمام رسول الله إلا حمزة والعباس وأسلمت عمته صفية اجماعا وهى أم الزبير بن العوام وعاشت كثيراً وتوفيت سنة عشرين فى خلافة عمر بن الخطاب ولها ثلاث وسبعون سنة

وقيل ان عبد المطلب أول من خضب بالوسمة أى السواد لأن الشيب أسرع اليه وكان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته

ويؤثر عن عبد المطلب سنن جاء القرآن وجاءت السنة بها. منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل المو.ودة وتحريم الخمر والزنا والحد عليه وأن لا يطوف بالبيت عُريان وتعظيم الأشهر الحرم وهو أول من سن دية النفس مائة فى الابل فجرت فى قريش ثم نشأت فى العرب وأقرها رسول الله

وكان نديمه فى الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان فى جوار عبد المطلب يهودى فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودى . ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمى

نذر عبد المطلب

جد النبي صلى الله عليه وسلم

كان عبد المطلب نذر حين لقى من قريش العَنَتَ [1] فى حفر بئر زمزم لئن ولد له عشر نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى ولم يكن له ولد الا الحارث . وقد ارتاب بعضهم فى حكاية هذا النذر لكنا لا نرى مندوحة عن ذكرها لأنها وردت فى أمهات كتب التاريخ التى استقينا منها ، فقد رواها ابن اسحاق ونقلها الطبرى وابن الأثير وطبقات ابن سعد

لما بلغ أولاد عبد المطلب عشرة وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا كيف نصنع ؟ قال يأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه [2] ففعلوا وأتوه بالقداح فدخلوا على هُبل فى جوف الكعبة وكان أعظم أصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى الى الكعبة ، فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذى نذر وكان عبد الله أصغر اخوته وأحبهم الى أبيه ، فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج قدح عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل الى (إساف ونائلة) وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما . فقامت قريش من أنديتها فقالوا ماذا تريد أن تصنع ؟ قال أذبحه . فقالت قريش وبنوه والله لا ندعك تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ، ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل منا يأتى بابنه حتى يذبحه . فقال له المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم : والله لا تذبحه حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت قريش وبنوه لا تفعل وانطلق الى كاهنة بالحجر فسلها فان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بمالك وله فيه فرج قبلته . فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص

---

(١) العنت : الوقوع فى أمر شاق (٢) القدح هو السهم الذى لا نصل فيه

عليها عبد المطلب خبره فقالت لهم ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعى فأسأله ، فرجعوا عنها ثم غدوا عليها فقالت نعم قد جاءنى الخبر فكم دية الرجل عندكم ؟ قالوا عشرة من الابل وكانت كذلك . قالت ارجعوا الى بلادكم وقربوا عشراً من الابل واضربوا عليها وعليه بالقداح فان خرج على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشراً ثم اضربوا أيضاً حتى يرضي ربكم وان خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم

فخرجوا حتى أتوا مكة ثم قربوا عبد الله وعشراً من الابل فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشراً فخرجت القداح على عبد الله فما برحوا يزيدون عشراً وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة ثم ضربت فخرجت القداح على الابل. فقال من حضر قد رضى ربك ياعبد المطلب. فقال عبد المطلب لا والله حتى أضرب ثلاث مرات فضربوا ثلاثاً فخرجت القداح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع

ان خروج القداح على عبد الله فى كل مرة حتى بلغت الابل مئة من غرائب الصدف ولو لا معارضة قريش وبنيه ومشورة الكاهنة لذهب عبد الله قرباناً لنذر عبد المطلب ، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يحفظ أبا محمد حتى يظهر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد التجأ عبد المطلب الى هذا النذر لما عارضه عدى بن نوفل بن عبد مناف فى حفر زمزم وأذاه وقال له: «ياعبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك ؟» فقال «أبالقلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد ذكوراً لأنحرن أحدهم عند الكعبة» وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما فاشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحارث ولم يكن له سواه فنذر ذلك النذر الذى ذكرناه

انصرف عبد المطلب بعد أن نحر الابل آخذاً بيد ابنه عبد الله فمر به على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبى، قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن . فأبى وقال ان معى أبى لا أستطيع خلافه ولا فراقه وكان عبد الله أحسن رجل رؤى فى قريش ، وكان ذا عفة وسماحة . وكانت ولادة عبد الله نحو سنة ٥٤٥ م

زواج عبد الله

خرج عبد المطلب بعبدالله يريد تزويجه حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة سناً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب[1] وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فانتقل النور اليها ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه نفسها فقال لها «مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنت عرضت علىّ بالأمس ؟» فقالت له فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة[2] وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل – وكان قد تنصر واتبع الكتب – أنه كائن لهذه الأمة نبىّ . وكان تزويج عبدالله من آمنة بعد حفر زمزم بعشر سنين ، وكان اسم عبد الله عبد الدار ، فلما كان فى السنة التى فدى فيها قال عبد المطلب « هذا عبد الله » فسماه يومئذ كذلك.

وبعد زواج عبدالله بقليل خرج من مكة قاصداً الشام فى تجارة ثم لما أقبل من الشام نزل بالمدينة وهو مريض وبها أخواله من بنى النجار فأقام عندهم شهراً وهو مريض وتوفى لشهرين من الحمل بابنه محمد صلى الله عليه وسلم ودفن فى دار النابغة[3] وله خمس وعشرون سنة ، وهذا هو المشهور . وقيل ثمان وعشرون سنة . وترك عبدالله جاريته أم أيمن بركة الحبشية وخمسة جمال وقطعة من غنم . وقد رثته آمنة بهذه الأبيات:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحداً خارجاً فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشيّة راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

إن آمنة وعبدالله لم يلدا غير رسول الله ولم يتزوج عبدالله غير آمنة ولم تتزوج آمنة غيره

---

(١) تجتمع آمنة هى وعبدالله فى كلاب

(٢) ان عرض عبدالله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل فى مقابلة هذا الشىء على خلاف عادة النساء مع الرجال

(٣) هو رجل من بنى عدى بن النجار

قصة الفيل

من الحوادث المهمة التى وقعت عام مولده صلى الله عليه وسلم حوالى سنة ٥٧٠م قدوم أبرهة الأشرم ملك اليمن الى مكة لهدم الكعبة وهذه خلاصتها :

ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك الى ابرهة بن الصباح الأشرم بنى كنيسة عظيمة بصنعاء الى جنب غمدان يقال لها القُلّيس (١) لم ير مثلها فى زمانها بناها بالرخام وجيد الخشب المذهب وقصد أن يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة ، فلما تحدث العرب بذلك غضب رجل من النساءة من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر

والنساءة الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من الأشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ» قال ابن هشام ليواطئوا ليوافقوا . وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ماحرم القلمس وهو حذيفة بن عبدالله بن فقيم . وأول الاشهر الحرم « المحرم » . فخرج الكنانى حتى أتى القليس « الكنيسة » وتغوط فيها ليلا ثم خرج فلحق بأرضه فلما أخبر بذلك أبرهة غضب وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه (وسمى هذا العام بعام الفيل) فلما وصل الى الطائف بعد أن هزم من تعرض له من العرب بعث رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم وأحضرها الى أبرهة وأرسل أبرهة حناطة

(١) القليس كجميز مشتق من قلس الشىء اذا ارتفع وقد خربت هذه الكنيسة في زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فانه أمر عامله على اليمن فأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها

الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ، فسأل فقيل له عبدالمطلب فقال له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه ولا لنا بذلك طاقة. هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان لم يمنعه منه فهو بيته وحرمته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة اليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهة هذا سيد قريش فأذن له. فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال له : حاجتك ؟ فذكر عبد المطلب أباعره التى أُخذت له فقال أبرهة : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتك، أتكلمنى عن مائة بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه؟ قال له عبد المطلب: أنا رب الابل وإن للبيت رباً سيمنعه ، فرد أبرهة على عبد المطلب الابل فانصرف عبدالمطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز بالجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرة الجيش (١) وقد كانوا أكثر من قريش عدداً. ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجيشه. فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمّ ان العبد ي‍ … ‍منع رحله فامنع حِلالك (٢)

لا يغلبن صليبهم … ومحالهم غدوا محالك (٣)

ان كنت تاركهم وقب‍ … ‍لتنا فامر ما بدا لك

فلما تهيأ أبرهة لدخول مكة وهيأ فيله الاعظم (محموداً) وهو مجمع على هدم البيت فكانوا كلما وجهوا الفيل الى مكة برك ولم يبرح واذا وجهوه الى سائر الجهات قام يهرول . ويقال كان عدد الفيلة فى هذه الموقعة ثلاثة عشر فيلا . وبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيراً

(١) معرة الجيش شدته (٢) لاهم أصله «اللهم» فان العرب تحذف الألف واللام وتكتفى بما يبقى. والحلال بكسر الحاء جمع حلة وهى جماعة البيوت. والحلال بفتح الحاء خلاف الحرام (٣) المحال القوة والشدة . والغدو أصله الغد

أبابيل[1] أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار، واحد فى منقاره واثنان فى رجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس لا تصيب أحداً منهم الا هلك . وليس كلهم أصابت. ثم أرسل الله تعالى سيلاً فألقاهم فى البحر والذى سلم منهم ولى هارباً مع أبرهة الى اليمن يبتدر الطريق وأصيب أبرهة بتساقط أعضائه وخرجوا به معهم تتساقط أعضاؤه حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. وقيل أول ماروئيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام . ولما مات أبرهة ملك مكانه يكسوم

ونظراً لأهمية هذا الحادث صار العرب يؤرخون به إذ لو تغلب أبرهة على قريش وتم له هدم الكعبة لأدخلت الديانة المسيحية مكة وأرغم العرب على اعتناقها لأن اليمن كانت تابعة لامراء الحبشة المسيحيين وأرغم كثير من أهلها سواء من عباد الاصنام أواليهود على اعتناق المسيحية. وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصى بن كلاب لجلالة قصى . فلما كان عام الفيل أرخت به

(١) الأبابيل الجماعات ولم يتكلم لها العرب بواحد ، قال بعضهم واحده إبيل وإبول

مولده

صلى الله عليه وسلم

ولد النبى صلى الله عليه وسلم فى فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول (وأهل مكة يزورون موضع مولده فى هذا الوقت) فى عام الفيل. ولأربعين سنة خلت من حكم كسرى أنوشروان خسرو بن قباذ بن فيروز ٢٠ اغسطس سنة ٥٧٠ م بمكة [١] فى المكان المعروف بسوق الليل فى الدار التى صارت تدعى بدار محمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج . وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبى طالب ونزل على يد الشفا أم عبد الرحمن ابن عوف فهى قابلته رافعاً بصره الى السماء واضعاً يده بالارض وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ماتجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك . ولما ولدته أمه عليه الصلاة والسلام أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له ياأبا الحارث ولد لك مولود عجيب. فذعر عبدالمطلب وقال أليس بشراً سوياً؟ فقالت نعم ولكن سقط ساجداً ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة وعوذه ودعا له ثم خرج ودفعه اليها . وهو الذى سماه محمداً . فقيل كيف سميت بهذا الاسم وليس لأحد من آبائك ؟ فقال انى لأرجو أن يحمده أهل الارض كلهم . وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشاً كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد فى تلك السنة. ومن عجيب ماوقع عند ولادته ماروى من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرافة من شرفاته وذلك اشارة الى أنه لم يبق من ملوكهم المستبدين بالملك الا أربعة عشر ملكاً فهلك عشرة فى أربع سنين وهلك أربعة الى زمن عثمان رضى الله عنه . وغيض بحيرة طبرية بفلسطين اشارة الى أنه يحصل

(١) كان علماء الجغرافيا من الاغريق يطلقون على اسم مكة ما كورابا Makoraba

لأصحابها بأس شـديد، وخمود نار فارس وكان على مايقال لها ألف عام لم تخمد كما رواه البيهقى وأبو نعيم والخرائطى فى الهواتف وابن عساكر . ومن ذلك أيضاً ماوقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع . ولقد أحسن الشقراطيسى حيث قال :

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت — بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل

وصرح كسرى تداعى من قواعده — وانقض منـكسر الأرجاء ذا ميل

ونار فارس لم توقـد وما خمدت — مذ ألف عام ونهر القـوم لم يسل

خرت لمبعثـــه الأوثان وانبعثت — ثواقب الشهب ترمى الجن بالشهب

وينسب بعضهم ذلك الى أنه حدث فى ذلك الوقت زلزال عظيم . قال اليعقوبى فى تاريخه : « وأصابت الناس زلزلة عمت جميع الدنيا الخ ». ويروى أن الرشيد أراد هدم ايوان كسرى فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكى ياأمير المؤمنين لاتهـدم بناء هو آية الاسلام . وقال البوصيرى فى الهمزية :

وتداعى ايوان كسرى ولولا — آية منك ماتداعى البناء

وغـدا كل بيت نار وفيـه — كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا — ن لنيرانهـم بهـا اطفاء

وفى سابع يوم من ولادته صلى الله عليه وسلم عق عنه جده بكبش

الاحتفال بمولده

صلى الله عليه وسلم

قال الامام أبو شامة شيخ النووى: ومن أحسن ماابتدع فى زماننا مايفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور . فان ذلك مع مافيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على مامنَّ به من إيجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين

قال السخاوى : ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم . وقال ابن الجوزى : من خواصه أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام . وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل ، وألف له الحافظ بن دحية تأليفاً أسماه « التنوير فى مولد البشير النذير » فأجازه الملك المظفر بألف دينار . وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً وقيل انه كان يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار .

وكان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان يحتفل ليلة المولد غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس فى ذلك العصر وما قبله . ومن احتفاله له ما حكاه الحافظ سيدى أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى فى كتابه — راح الأرواح — فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح ومايوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه : أنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى

مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالاسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبراً مذاباً ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة فتشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال. وبعقب ذلك يحتفل المستمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب فى الاقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت فى أحسن صورة ، فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتصفها بين يدى السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة . هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادى حىّ على الفلاح . انتهى

وفى زماننا هـذا يحتفل المسلمون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم فى جميع الأمم الاسلامية . وفى القطر المصرى تتلى الأذكار وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين. وفى القاهرة يتحرك موكب أرباب الطرق بعد الظهر من ميدان باب الخلق أمام المحافظة ويسير قاصداً ميدان الاحتفال بالعباسية مجتازاً شوارع تحت الربع فالسكرية فالغورية فميدان الاشراقية فالفحامين فالحسينية فالعباسية ويشتد الزحام فى هذه الشوارع وتتقدم الموكب كوكبة من فرسان رجال الشرطة وتحف به من الجانبين قوة من رجال الجيش وقد جرت عادة الحكومة أن تحتفل بهذا اليوم المبارك احتفالاً رسمياً فى العباسية حيث تقام سرادقات للوزارات ويتوجه جـلالة الملك أو نائبه الى مكان الاحتفال وهناك يعرض الحامية المصرية على أثر وصوله ثم ينتقل الى السرادق الملكى ويستقبل رجال الطرق الصوفية بأعلامهم وبعدئذ يقصد سرادق شيخ مشايخ الطرق الصوفية

فيستمع تلاوة القصة النبوية وبعد سماعها يخلع على تاليها الخلعة الملكية وتدار المرطبات والحلوى على الحاضرين ثم ينصرف بعد ذلك بموكبه الحافل أثناء قصف المدافع وفى المساء تنار الزينات المقامة على السرادقات وتطلق الألعاب النارية البديعة وفى الصباح تعطل الحكومة وزاراتها ومصالحها وتتلى القصة النبوية الشريفة فى المشهد الحسينى بحضور محافظ مصر. وقد أبطلت بدع كثيرة بفضل عناية رجال الدين ويقظة رجال الادارة

اسماؤه

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لى أسماء . أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر. وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمىّ. وأنا العاقب (والعاقب الذى ليس بعده نبى) وقال (أنا محمد. وأنا أحمد. وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة. وأنا المقفِّى وأنا الحاشر وأنا نبى الملاحم) وفى التهذيب سماه الله عز وجل فى القرآن رسولاً ، نبياً أمياً ، شاهداً ، مبشراً ، ونذيراً ، داعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . ورءوفاً رحيماً . وجعله رحمة ونعمة وهادياً صلى الله عليه وسلم. ومن أسمائه الفاتح. وطه. ويس. وعبدالله وخاتم الأنبياء والمختار . وكنيته أبو القاسم وكناه جبريل أبا ابراهيم

مرضعاته

صلى الله عليه وسلم

أرضعه صلى الله عليه وسلم من النساء ثمان وقيل أكثر أولاهن أمه آمنة ثم ثويبة الأسلمية جارية أبي لهب التى أعتقها حين بشرته بولادته أياماً قبل قدوم حليمة، وخولة بنت المنذر وأم أيمن، وامرأة سعدية غير حليمة، وثلاث نسوة من العواتك وأكثرهن ارضاعاً له حليمة بنت ذؤيب السعدية وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاءت نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسن الرضعاء ومعهن حليمة السعدية فى سنة شديدة القحط فكل امرأة أخذت رضيعاً الا حليمة وقد كانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها ـ الحارث بن عبد العزى ـ وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء. قالت وهى سنة شهباء [١] لم تبق لنا شيئا، فخرجت على أتان لى قمراء [٢] معنا مشارف [٣] لنا والله ما تبض [٤] بقطرة وما ننام ليلنا من صبينا [٥] الذى معنا من بكائه من الجوع. مافى ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أتانى تلك فلقد أدمت [٦] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا [٧] حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك

---

(١) سنة شهباء يعنى سنة الجدب والقحط لان الارض تكون فيها بيضاء (٢) على أتان لى قمراء الانثى من الحمر، والقمراء التى فى لونها بياض (٣) المشارف ـ بضم الميم ـ: الناقة المسنة (٤) ماتبض معناه لا ترشح (٥) اسم هذا الصبي عبد الله بن الحارث وهو أخو رسول الله من الرضاعة واخوته غيره أنيسة بنت الحارث وجذامة بنت الحارث وهى الشيماء غاب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها الا به وهم لحليمة (٦) أدمت بالركب أى أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، مأخوذ من الشىء الدائم (٧) العجف ـ بفتح العين والجيم ـ الهزال

أنّـا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فـكنا نقول يتيم وماعسى أن تصنع أمه وجده فـكنا نـكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعاً فقلت لزوجى والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى أن الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره، فلما أخذته رجعت به الى رحلى فلمـا وضعته فى حجرى أقبل على ثدييّ بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى الى شارفنا فاذا إنها لحافل [١] فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا فبتنا بخير ليلة، وقال صاحبى حين أصبحنا تعلمى والله يا حليمة لقد أخـذت نسمة مباركة فقلت والله انى لأرجو ذلك، ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته عليها معى فوالله لقطعت بالركب ما يقـدر عليها شىء من حمرهم حتى ان صواحبى ليقلن لى يا ابنـة أبى ذؤيب ويحك أربعى علينا [٢] أليست هـذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن بلى والله انها لهى فيقلن والله ان لها شأناً ثم قدمنا منازلنا فى بلاد بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجـدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شـباعا لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنـا يقولون لرعيانهم ويلـكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً وما تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعاً لبناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شـباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً [٣] فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فلم نزل بها حتى ردته معنا

---

(١) الحافل الممتلئة الضرع من اللـبن (٢) أربعى علينا أى اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدة فى السير (٣) حتى كان غلاماً جفراً . أى غليظا شديداً

شق الصدر

قالت حليمة فرجعنا فوالله انه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفى بَهم لنا (١) خلف بيوتنا اذا أتانا أخوه يشتد فقال لى ولأبيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنـه فهما يسوطانه (٢) قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائمـاً منتقعا وجهه (٣) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يابنى ؟ قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى فالتمسا فيه شيئاً لا أدرى ما هو ؟

قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لى أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيـه بأهله قبـل أن يظهر ذلك به فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به ياظئر (٤) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟فقلت قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى علىّ وتخوفت الاحداث عليه فأديته عليك كما تحبـين . قالت ما هذا شأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى أخبرتها. قالت أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت نعم . قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وان لبنىّ لشأناً أفلا أخبرك خبره ؟ قلت بلى . قالت رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى (٥) من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمـل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه الى السماء. دعيه عنك وانطلقى راشدة

كان أول ماشق صدره عليه الصلاة والسلام فى السنة الثالثة من عمره وقيـل فى الرابعة وذلك لتطهيره واخراج حظ الشيطان منه.وشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة

---

(١) البهم بفتح الباء ــ الصغار من الغنم واحداتها بهمة (٢) فهما يسوطانه . يقال سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه اذا ضربت بعضه ببعض وحركته . واسم العود الذى يضرب به ، المسوط (٣) منتقعاً وجهه . أى متغيراً (٤) ياظئر . أصل الظئر الناقة التى تعطف على ولد غيرها فتدر عليـه ، فسميت المرأة التى ترضع ولد غيرها ظئرا بذلك (٥) بصرى ــ بضم الباء ــ مدينة من أرض الشام

الاسراء كما رواه البخارى ويقول مؤرخو الافرنج ومنهم الاستاذ نيكلوسن فى كتابه تاريخ أدب العرب صفحة (١٤٧ـ١٤٨) طبعة ١٩٠٧ وكذا الاستاذ موير فى كتابه «حياة محمد» ان هذه نوبة صرعية، وهذا مردود لأنه لم تشاهد فيه علامات الصرع طول عمره

والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول :

وبدت فى رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافاً وأمست ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل اذ غدا للنبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجـ ـر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الأله أناساً لسعيد فانهم سعداء

الحض على قتله صغيراً

وكانت حليمة كلما مر بها جماعة من اليهود وحدثتهم بشأنه صلى الله عليه وسلم حضوا على قتله وكلما عرضته على العرافين فى الأسواق صاحوا بقتله وكانوا يقولون اقتلوا هذا الصبىّ فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم. وعن حليمة رضى الله عنها أنه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثونى عن ابنى هذا ؟ حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته هى بعد أن أخذته وأسندت الجميع الى نفسها كأنها هى التى حملته ووضعته . فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه . فقالوا أو يتيم هو ؟ فقالت لا . هذا أبوه وأنا أمه . فقالوا لو كان يتيما قتلناه لأن ذلك عندهم من علامات نبوته . وعن حليمة أيضاً رضى الله عنها أنها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوقاً

للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف ، كانت العرب اذا قصدت الحج أقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون . فلما وصلت به حليمة سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا . فمالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله

وقد رأت حليمة السعدية من النبى صلى الله عليه وسلم الخير والبركة وأسعدها الله بالاسلام هى وزوجها وبنيها

وفاة آمنة

بعدأن ردت حليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجت به أمه مرة الى المدينة سنة ٥٧٥ـ٥٧٦ م لزيارة أخواله من بنى النجار أى أخوال جده عبد المطلب فمرضت وهى راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء بين مكة والمدينة وعمره ست سنين وكان عمر آمنة حين وفاتها ثلاثين سنة

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالأبواء فى إلف مقنع فبكى وأبكى

فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التى ورثها من أبيه [1] وحملته الى جده عبد المطلب بن هاشم الذى كان يحبه ويكرمه فقد كان يوضع لعبدالمطلب فراش فى ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لايجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم :

« دعوا ابنى فوالله ان له لشأناً »

ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره مايراه يصنع

وبوفاة أمه صار يتيماً وقد أشير الى يتمه فى القرآن قال تعالى (ألم يجدك يتيماً فآوى)

وفى السنة التى استقل جده صلى الله عليه وسلم فيها بكفالته رمد رمداً شديداً

---

(١) أسلمت أم أيمن قديماً أول ظهور الاسلام وهاجرت الى الحبشة والى المدينة وبايعت رسول الله وكان عليه السلام يقول « أم أيمن أمى بعد أمى » وكان يزورها فى بيتها . ولما قبض رسول الله بكت ، فقيل لها مايبكيك على رسول الله ؟ فقالت انى علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم سيموت ولكن أبكى على الوحى الذى رفع عنا

عبد المطلب

يهنئ سيف بن ذى يزن

لماظفر سيف بن ذى يزن الحميرى بالحبشة وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبدالمطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه وهو فى قصر يقال له غُمدان ـ بضم الغين ـ فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم وتكلم عبدالمطلب مهنئاً ولما فرغ أدناه وقربه ثم استنهضوا الى دار الضيافة وقاموا ببابه شهراً لايصلون اليه ولا يؤذن لهم فى الانصراف . ثم انتبه اليهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بينهم فخلا به وأدنى مجلسه وقال[1] :

« ياعبد المطلب انى مفوض اليك من علمى أمراً لو غيرك كان لم أبح له به ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره . انى أجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة »

قال عبد المطلب :

« مثلك يا أيها الملك بر ، وسر ، وبشر ، ماهو ؟ فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر »

قال ابن ذى يزن :

« إذا ولد مولود بتهامة . بين كتفيه شامة . كانت له الامامة . الى يوم القيامة »

قال عبد المطلب :

(١) راجع الجزء الاول من العقد الفريد لابن عبدربه والجزء الاول من تاريخ ابن عساكر

« أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد فلولا إجلال الملك لسألته عما ساره الى ماازداد به سروراً »

قال ابن ذى يزن :

« هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد. يموت أبوه وأمه . ويكفله جده وعمه وقد وجدناه مراراً . والله باعثه جهاراً . وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه . ويذل بهم أعداءه . ويفتتح كرائم الأرض . ويضرب بهم الناس عن عرض . يخمد الأديان. ويكسر الأوثان ويعبد الرحمن . قوله حكم وفصل . وأمره حزم وعدل . يأمر بالمعروف ويفعله . وينهى عن المنكر ويبطله »

فقال عبد المطلب :

« طال عمرك . ودام ملكك . وعلا جدك . وعز فخرك . فهل الملك يسرني بأن يوضح فيه بعض الايضاح ؟ »

فقال ابن ذى يزن :

« والبيت ذى الطنب . والعلامات والنصب . إنك ياعبد المطلب لجده من غير كذب »

فخر عبدالمطلب ساجداً ، وقال ابن ذى يزن :

« ارفع رأسك. ثلج صدرك. وعلا أمرك. فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك؟»

فقال عبد المطلب :

« أيها الملك . كان لى ابن كنت له محباً وعليه حدباً مشفقاً . فزوجته كريمة من كرائم قومه . يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة فيه كل ما ذكرت من علامة مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه »

قال ابن ذى يزن :

« ان الذى قلت لك كما قلت . فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . اطو ماذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانى

لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة . فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مهاجره ، فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار هجرته ، وبيت نصرته ، ولولا أنى أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكنى صارف اليك ذلك عن تقصير منى بمن معك »

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر إماء سود وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال :

« إذا حال الحول فانبئنى بما يكون من أمره »

فما حال الحول حتى مات ابن ذى يزن. فكان عبد المطلب بن هاشم يقول « يامعشر قريش لايغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطنى بما يبقى لى ذكره وفخره ولعقبى .» فاذا قالوا له وما ذاك قال سيظهر بعد حين اه

وفى أسد الغابة أن سيف بن ذى يزن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر جده عبد المطلب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته

كانت اليمن تابعة للحبشة فكره أهلها حكمهم ونهض سيف بن ذى يزن لاسترداد عرش آبائه فسعى لدى الامبراطورية الرومانية لشد أزره فلم يفلح فالتجأ الى ملك الفرس فأمده بجيش فحارب الحبشة وانتصر عليها وقتل واليها الذى كان يدعى مسروقاً وذلك حوالى سنة ٥٧٥ م ويوافق العام الذى توفيت فيه آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فليس هناك اعتراض على ذهاب الوفود العربية لتهنئة ابن ذى يزن من الوجهة التاريخية. أضف الى ذلك أن الواجب يقضى على رؤساء العرب بذلك لقرابتهم وجوارهم واشتراك مصالحهم التجارية لأنهم كانوا يرحلون الى اليمن للتجارة فى الشتاء كما كانوا يرحلون الى الشام صيفاً

وقد اعترض الأستاذ «فيل» Weil على صحة القصة المتقدمة من الوجهة التاريخية وفيما شرحه الأستاذ « برسيفال » M.C.de Perceval رد على اعتراضه لأنه أثبت

انهزام الحبشة لأول مرة فى سنة ٥٧٥ م وإن كانت لم تطرد نهائياً من اليمن الا سنة ٥٩٧ م . أما الأستاذ موير فانه لم يستطع تـكذيب ذهاب الوفـود ومعهم عبد المطلب (الذى كان وقتئذ حاكم مكة) تـكذيباً باتاً بل قال ان القصة تشمل مبالغات كثيرة فيما يتعلق بالاخبار عن النبى المنتظر وهـذا ما جعله يرتاب فيها . على أن المتتبع للسيرة النبوية يجد أن هذه القصة ليست فريدة فى بابها من حيث الاخبار برسول الله صلى الله عليه وسلم فان ماأخبر به سيف عبدالمطلب قاله بحيرا لأبى طالب وعرفه سلمان الفارسى وأذاعه أحبار اليهود مما سنعنى بذكره مفصلاً فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى

ولعل ما أخبر به ابن ذى يزن لعبدالمطلب كان من الأسباب التى جعلت عبدالمطلب يكرم النبى صلى الله عليه وسلم ويقول لأولاده إذا نحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجلسه لصغره (دعوا ابنى فوالله إن له لشأنا)

وفاة جده عبد المطلب

وكفالة عمه أبي طالب

لما بلغ رسول صلى الله عليه وسلم ثمانى سنوات توفى جده عبد المطلب بمكة سنة ٥٧٨ م بعد عام الفيل بثمانى سنين وله عشر ومائة سنة وقيل أكثر من ذلك وكان رسول الله يبكى خلف سريره ودفن بالحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها عند قبر جده قصى. ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى عمه شقيق أبيه « أبى طالب » واسمه عبد مناف وعبد الكعبة وكان كريماً لكنه كان فقيراً كثير الأولاد . وكان يرى منه صلى الله عليه وسلم الخير والبركة ويحبه حباً شديداً ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج وأوصى عبد المطلب إلى أبى طالب أيضاً بسقاية زمزم وإلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة

وفى هذه السنة مات حاتم الطائى وكسرى أنو شروان

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال :

قدمت مكة وهم فى قحط فقالت قريش ياأبا طالب أقحط الوادى وأجدب . فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجى تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيلمة (جمع غلام) فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه (أشار بأصبعه إلى السماء كالمتضرع الملتجئ) وما فى السماء قزعة (قطعة من سحاب) فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق وأغدودق (كثر مطره) وانفجر الوادى وأخصب النادى .

وفى ذلك يقول أبو طالب مادحاً النبي صلى الله عليه وسلم :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

(الثمال) بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم فى الشدة . (عصمة للأرامل) أى يمنعهم من الضياع والحاجة

هذان بيتان من قصيدة طويلة لأبى طالب[١]. وقد شاهد أبو طالب هذا الاستسقاء فنظم هذه القصيدة وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابى حديثاً فيه إن قريشاً تتابعت عليهم سنو جدب فى حيـاة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس (بالتصغير اسم الجبل المشرف على مكة) فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام فقال أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد أبو طالب ماده على ماقال أعنى قوله :

« وأبيض يستسقى الغمام بوجهه »

وكان الاستسقاء فى الجاهلية الأولى بخلاف هذه الطريقة فكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات واشتد الجدب واحتاجوا إلى الأمطار يجمعون لها بقراً معلقة فى أذنابها وعراقيبها السَلَع والعُشر[٢] ويصعدون بها إلى جبل وعر ويشعلون فيها النار ويفرقون بينها وبين أولادها ويسوقون البقر إلى ناحية المغرب دون سائر الجهات وتسمى هذه النار التى يشعلونها نار الاستمطار قال ابن أبى الحديد وإنما أضرموا النيران فى أذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار ويضجون بالدعاء والتضرع وكانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصل بها إلى نزول الغيث

كان عبد الله أبو رسول الله وأبو طالب من أم واحـدة وروى أن أبا طالب قال لأخيه العباس ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه فقال بلى . فقال إنى ضممته إلىّ فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا أئتمن عليه أحـداً . إنى كنت أنومه فى فراشى فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معى فرأيت الـكراهة فى وجهه لـكنه كره أن يخالفنى وقال ياعماه اصرف بوجهك عنى حتى أخلع ثيابى إذ لا ينبغى لأحد أن ينظر إلى جسدى فتعجبت من قوله وصرفت بصرى حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش إذا بينى وبينه ثوب والله ما أدخلته فراشى فاذا هو فى غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس فى المسك فجهدت لأنظر إلى جسده فما كنت أرى شـيئاً وكثيراً ما كنت أفتقده من فراشى فاذا قمت لأطلبه نادانى ها أنا ياعم فأرجع ولقد كنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يعجبنى وذلك عند مضى بعض الليل وكنا لا نسمى على الطعام والشراب ولا نحمد بعده وكان يقول فى أول الطعام بسم الله الأحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فتعجبت منه ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون[٣]

---

(١) ذكر القصيدة ابن إسحاق وهى أكثر من ثمانين بيتا (٢) السلم والعشر : نوعان من الشجر
(٣) تفسير الفخر الرازى ج ٦ ص ٥٦٨ — ٥٦٩ طبعة سنة ١٢٧٨ هـ

السفر الى الشام

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام فى ركب للتجارة سنة ٥٨٢ م فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وهى قصبة حوران وكانت فى ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التى كانت تحت حكم الرومان وكان ببصرى راهب يقال له بحيرا فى صومعة له . وكان ذا علم من أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة راهباً إليه يصير علمهم عن كتاب يتوارثونه كابراً عن كابر

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته . فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك عن شىء رآه وهو فى صومعته

فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها (مالت) على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها

فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إنى صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش . فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم . وعبدكم وحركم .

قال له رجل منهم والله يابحيرا ان لك لشأناً اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم . فاجتمعوا وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده قال يامعشر قريش لايتخلفن أحد منكم عن طعامى . قالوا يابحيرا ماتخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلاما وهو أحدث القوم سناً فتخلف فى رحالهم . فقال لاتفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام

معكم ثم قام إليه رجل من قريش فاحتضنه وأجلسه مع القوم . فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال ياغلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه؟ وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فأبى رسول الله أن يستحلفه بهما، فقال له بحيرا فبالله الا أخبرتنى عما أسألك عنه؟ فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله ومن نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله يخبره بخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه وكان مثل أثر المحجمة (يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئاً) فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ماهذا الغلام منك ؟ قال ابنى . قال له بحيرا ماهو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ؟ قال فانه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به . قال صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شراً فانه كائن له شأن عظيم فأسرع به إلى بلده فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (١)

ان بحيرا لما عرف رسول الله تخوف عليه من اليهود فنصح لأبى طالب بالرجوع به سريعاً والمحافظة عليه وقد روت حليمة أن اليهود كانوا إذا رأوه وعرفوه حض بعضهم بعضاً على قتله حتى انها كانت تضطر إلى الاختفاء به والابتعاد عنهم . وعلى كل حال كانوا ينتظرون فى ذلك الوقت ظهور نبىّ وكان بعض المتعمقين فى الدين يعرفون علامات ذلك النبىّ وسنذكر فيما بعد أوصافه صلى الله عليه وسلم المذكورة فى التوراة ولا شك أن عالما مثل بحيرا كان يعرفها

قال مستر ويليام موير فى كتابه (حياة محمد) بشأن رحلته صلى الله عليه وسلم مع عمه إلى الشام :

---

(١) راجع قصة بحيرا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى وطبقات ابن سعد ولا صحة لما زعمه الدكتور اشبرنجر من أن أباطالب ردّ محمداً مع بحيرا الى مكة «Dr. Sprenger «Life,p.79»

« إن جميع الذين دونوا سيرة الرسول قد ذكروا تفاصيل كثيرة مضحكة عن هذه الرحلة تدل على عظمة نبوته المنتظرة »

ثم أورد قصة سفره كما ذكرت فى هذا الكتاب وكما ذكرها المؤرخون . وانا لاندرى لماذا كانت هذه التفاصيل مضحكة فى نظر مستر موير ؟ انه يعترف بأن جميع المؤرخين رووا هذه التفاصيل ولاشك أنه يستقى منهم سيرة الرسول . ومن بينهم من يعتمد عليه ويحتج بكلامه ويرفض ما يريد رفضه اذا لم تكن الحادثة أو الرواية واردة فى كتبهم أو اذا طرأ تحريف فى نص كلامهم . فهو يعوّل مثلا على ابن اسحاق وعلى الطبرى والواقدى وغيرهم . فكان الواجب عليه باعتبار كونه مؤرخاً أن يقر هذه التفاصيل التى ذكرها جميع المؤرخين بلا استثناء . هذا وليس لديه رواية أثبت من رواياتهم تعارض أو تنفى ما ذكروه : أما كون هذه التفاصيل مضحكة فهذا مالم يقل به أحد من أكابر المؤرخين الذين استمد منهم مادته . وكان ينبغى له أن يقدر موقفه ويعلم أنه انما يكتب تاريخ نبىّ لاشخص عادىّ . فالأنبياء والرسل تقع فى حياتهم أمور خارقة تدل على نبوتهم وتؤيد رسالتهم فالتى تقع قبل النبوة كالخوارق التى حدثت فى مولده صلى الله عليه وسلم وما شاهدته حليمة من تيسير الرزق والبركة وشق الصدر وما حدث أثناء سفره الى الشام تسمى ارهاصات والتى تقع بعد النبوة تسمى معجزات . وكرامات الأولياء كمعجزات الأنبياء غير أنهم لم يدعوا النبوة . ويجب الايمان بالأولياء قال تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ولاشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم وقعت منه خوارق العادات قبل النبوة وبعدها ولا سبيل إلى انكار مجموع ارهاصاته ومعجزاته (أولا) من الوجهة التاريخية لأن معاصريه وكبار الصحابة قد شاهدوها ورووها ورواها عنهم كبار المؤرخين ولو أبطلنا مشاهداتهم ورواياتهم لم يبق للتاريخ قيمة (ثانياً) من الوجهة الدينية لأن الدين يقر معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء فمن ذلك معجزات عيسى عليه السلام فانه تكلم فى المهد صبياً وأبرأ الأعمى والأبرص وأحيا الميت . ومع ذلك لم يقل أحد من المسلمين ان هذه أمور مضحكة وكذا معجزات موسى عليه السلام

وفى العالم أناس ليسوا بأنبياء ولا أولياء تراهم فى كل زمان ممتازين على أبناء جيلهم يأتون أعمالا يستحيل على غيرهم الاتيان بمثلها ولقد شاهدنا فى مصر فتى أميا من أبناء أحد المزارعين ذاع صيته ونشرت الجرائد صورته . هذا الطفل يضرب أرقاما طوالا وينطق بالجواب الصحيح بسهولة وبسرعة مدهشة من غير أن يخط بقلم وقد رأيته شخصيا أكثر من مرة وحار فيه علماء الرياضة وامتحنه كبار رجال الحكومة والصحافة . فهذا انسان عادى له موهبة خاصة أذهلت عقول الخاصة . فكيف يمكن انكار هذه الموهبة الخارقة والفتى لايزال حياً بين ظهرانينا يحل المسائل فى الطرق ويجيب كل سائل ؟

فاذا جاء رجل مثل مستر موير بعد ذلك بجيل أو أكثر وزعم أن هذه خرافة مضحكة ابتدعها المصريون، لم يغير ذلك شيئاً من الحقيقة .

من هو بحيرا ؟

لا ريب أن بحيرا الذى مر ذكره كان راهباً مسيحيا فى الشام فى ذلك الوقت وقد ذكر فى الآداب البيزانطية أنه راهب نسطورى على مذهب أريوس ونسطور وكان ينكر لاهوت المسيح ويقول ان تسميته باله غير جائز بل يجب أن يدعى كلمة وان تدعى والدته مريم والدة الناسوت الذى هو مظهر الكلمة السامى لا والدة الله وكان بحيرا قساً عالما فلكياً منجماً وقد اتخذ صومعته بقرب الطريق الموصل الى الشام وأقام هناك مدة تمر عليه العربان والقوافل فكان يأمرهم بعبادة الله الواحد وينهاهم عن عبادة الأصنام وله تلميذ اسمه مذهب، وكان من جملة المتتلمذين له سلمان الفارسى قبل اسلامه ولاسلامه قصة غريبة ستذكر فى موضعها .

قال مذهب : ان بحيرا توفى قتيلا بدسيسة بعض يهود أشرار . ومعنى بحيرا فى السريانية عالم متبحر (١)

رعية رسول الله الغنم بمكة (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبىّ الا قد رعى الغنم » قالوا وأنت يارسول الله ؟ قال « وأنا » . وقال « ما بعث الله نبيا الا راعى الغنم » قال له أصحابه وأنت يارسول الله ؟ قال « وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط (٣) » وعن جابر بن عبدالله قال . كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث (٤) فقال عليكم بالأسود منه فانه أطيبه فانى كنت أجنيه اذ كنت راعى الغنم قلنا و كنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال نعم وما من نبىّ الا قد رعاها . قيل من حكم ذلك أن راعى الغنم التى هى أضعف البهائم تسكن فى قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً

---

(١) راجع بحيرا فى دائرة المعارف العربية للبستانى (٢) راجع طبقات ابن سعد الجزء الاول

(٣) القراريط هى أجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة. وقيل ان القراريط موضع

(٤) قال ابن سيده الكباث بالفتح نضيج ثمر الاراك

حرب الفجار[1]

(٥٨٠ — ٥٩٠ م)

أيام الفجار عدة . فالفجار الأول كان بين كنانة وهوازن . والثانى بين قريش وهوازن والثالث بين كنانة وهوازن . والفجار الأخير بين قريش و كنانة كلها وهوزان . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة. وقد شهد النبى صلى الله عليه وسلم الفجار الآخر وهو ابن خمس عشرة سنة وكان سببها أن النعمان بن المنذر أمير الحيرة بعث بلطيمة[2] له الى سوق عكاظ للتجارة وأجارها له عروة الرجال من بنى هوازن فنزلوا على ماء يقال له أوارة، فوثب البراض خليع من بنى كنانة على عروة فقتله وهرب الى خيبر فاستخفى بها ولقى بشر بن أبى خازم الأسدى الشاعر فأخبره الخبر وأمره أن يعلم ذلك عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب ابن أمية ونوفل بن معاوية الديلى وبلعاء بن قيس فوافى عكاظا فأخبرهم فخرجوا موائلين منكشفين الى الحرم وبلغ قيساً الخبر آخر ذلك اليوم فقال أبو براء رئيس هوازن ما كنا من قريش الا فى خدعة فخرجوا فى آثارهم فأدركوهم وقد دخلوا الحرم فناداهم رجل من بنى عامر يقال له الأدرم بن شعيب بأعلى صوته : ان ميعاد ما بيننا وبينكم هذه الليالى من قابل وأنا لا نأتلى فى جمع

ولم تقم تلك السنة سوق عكاظ فمكثت قريش وغيرها من كنانة وأسد بن خزيمة ومن لحق بهم من الأحابيش سنة يتأهبون لهذه الحرب وتأهبت قيس عيلان ثم حضروا من قابل ورؤساء قريش : عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب بن

---

(١) الفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وذلك أن قتالا كان فى الشهر الحرام ففجروا فيه (٢) الاطيمة الابل تحمل التجارة كالطيب والبز وأشباههما

أمية وأبو أحيحة سعيد بن العاص وعتبة بن ربيعة والعاص بن وائل ومعمر بن حبيب الجمحى وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وخرجوا متساندين[١] ويقال بل أمرهم الى عبد الله بن جدعان وكان فى قيس أبو براء عامر بن مالك بن جعفر وسبيع بن ربيعة بن معاوية النضرى ودُريد بن الصِّمَّة ومسعود بن معتب وأبو عروة بن مسعود وعوف بن أبى حارثه المرى وعباس بن رعل السلمى. وهؤلاء هم الرؤساء والقادة. ويقال بل كان أمرهم جميعاً الى براء وكانت الراية بيده وهو الذى سوى صفوفهم فالتقوا فكانت الدبرة أول النهار لقيس وكنانة على هوازن ومن ضوى اليهم . ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس فقتلوهم قتلا ذريعاً حتى نادى عتبة بن ربيعة يؤمئذ — وانه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة — الى الصلح فاصطلحوا على أن يعدوا القتلى وودت قريش لقيس ماقتلت فضلا عن قتلاهم ووضعت الحرب أوزارها فانصرفت قريش وقيس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفجار فقال « قد حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب أنى لم أكن فعلت » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أنبل على أعمامى » يعنى أناولهم النبل

حلف الفضول[٢]

كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار وكان أشرف حلف. وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً فتعاقدوا وتعاهدوا بالله انكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة ، وفى التآسى فى المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

---

(١) أى ليس لهم أمير واحد يجمعهم

(٢) الحلف أصله المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق فما كان منه فى الجاهلية على الفتن والقتال والغارات فذلك الذى ورد النهى عنه فى الاسلام وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الارحام فذلك الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة » يريد المعاقدة على الخير ونصرة الحق

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم وانى أعذر به هاشم وزهرة وتيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم مابل بحر صوفة ولو دعيت به لأجبت وهو حلف الفضول »

هل سافر النبى الى اليمن؟

قال الاستاذ فيل الألمانى Weil ان رسول الله سافر فى السادسة عشرة من عمره الى اليمن مع عمه الزبير فى رحلة تجارية. ورد عليه الدكتور اشبرنجر Dr. Sprenger ان هذا الخبر ليس له أساس صحيح وانه لم يجده فى الكتب الموثوق بها . والحقيقة كما قال الدكتور اشبرنجر . نعم قد ذكر الطبرى رواية جاء فيها أن خديجة انما كانت استأجرت رسول الله ورجلا آخر من قريش الى سوق حباشة بتهامة الخ ؛ غير أنه جاء فى الطبرى بعد ذلك أن الواقدى قال « فكل هذا خطأ والمشهور رواية ابن اسحاق وهى رحلته الى الشام »

ابتعاده صلى الله عليه وسلم عن معايب الجاهلية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره كشف العورة قبل البعثة . وسمع وهو صغير من دار من دور مكة غناء وصوت دفوف فى حفلة زواج فنام فما أيقظه الا حر الشمس وكان يأبى أن يحضر مع قومه العيد الذى كانوا يقيمونه لصنم يقال له (بوانة) حتى غضب عليه عمه أبو طالب وعماته . ولم يذق شيئا ذبح على الاصنام حتى أكرمه الله برسالته . ولم يدخل فى يهودية أو نصرانية واعتزل الأوثان ونهى عن الوأد [١] وكان يحييها واذا أراد أحد ذلك أخذ الموءودة من أبيها وتكفلها . ولم يشرب خمراً قط الا أن تحريم الخمر ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه كثير فى الجاهلية لما فى شربها من آفات وسيئات

---

(١) الوأد : وهو أن يعمد الرجل الى ابنته فيقذفها في حفرة من الارض ويهيل عليها التراب ثم يدعها الى أن تموت . والقبائل التى عرف عنها الوأد ربيعة وكندة وتميم وبعض أفراد من القبائل الاخري . وكان صعصعة بن ناجية التميمى يبذل المال فى سبيل شراء المولودة ليخلصها من الوأد وكان زيد بن عمرو بن نفيل القرشي يمنع ذلك

الرحلة الثانية

إلى الشام ٥٩٥ م

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا وهـذه عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيراتهـا فلو جئتها فعرضت عليها نفسك لأسرعت إليك . وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فأرسلت اليـه فى ذلك وقالت له أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجـلا من قومك . فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم بُصرى من الشام وهى مدينة على طريق دمشق ، فنزلا فى ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى . ثم قال لميسرة : أفى عينيه حمرة ؟ قال : نعم لا تفارقه .قال : هو نبى وهو آخر الأنبياء . وكان ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر ،يرى ملـكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس فوعى ذلك كله ميسرة وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون .فلما رجعوا أخبرها ميسرة بما قال الراهب نسطور : فلما رأت خديجة الربح الـكثير أضعفت له ضعف ما سمت له

قال مستر موير عند ذكر هذه الرحلة ان محمداً صلى الله عليـه وسلم لم يكن فى وقت من الأوقات طامعاً فى الغنى ، انما كان سعيه لغيره ولو ترك الأمر لنفسه لآثر أن يعيش فى هدوء وسلام قانعاً بحالته ولما فـكر فى رحلة كهذه . ولـكن لما عرض عليه عمـه السفر شعرت نفسه الـكريمة بضرورة تفريج كربة عمه فأجاب طلبه مسروراً

تزويج رسول الله

خديجة رضى الله عنها

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى امرأة حازمة جلدة شريفة غنية جميلة من أواسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً ، وكانت تدعى فى الجاهليه بالطاهرة وبسيدة قريش . وقد عرض كثيرون عليها الزواج فلم تقبل . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت اليه من يرغبه فى الزواج وقيل انها أرسلت أختها فقال مابيدى ماأتزوج به . فقالت : فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قالت له خديجة . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرت خديجة فأرسلت اليه أن ائت لساعة كذا وكذا وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فزوجه أحدهم . فقال عمرو بن أسد : « هذا البضع لا يقرع أنفه » . وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة . وذلك بعد عودته من الشام بشهرين

وقد حضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضى الله عنه ذلك العقد فقال أبوطالب :

« الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد (معدنه) وعنصر مضر (أصله) وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس . ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل . ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها

ما آجله وعاجله كذا[١] ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم » . فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال :

« الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علىّ معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا » ثم سكت

فقال أبو طالب : قد أحببت أن يشركك عمها . فقال عمها :

« اشهدوا علىّ يامعشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد » فقبل النبى صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش .

وأولم عليها صلى الله عليه وسلم فنحر جزوراً وقيل جزورين وأطعم الناس وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف ، وفرح أبو طالب فرحاً شديداً وقال : الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم ، وهى أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدى : ويقولون أيضا ان خديجة أرسلت الى النبى صلى الله عليه وسلم تدعوه الى نفسها (تعنى التزويج) وكانت امرأة ذات شرف وكان كل قريش حريصا على نكاحها قد بذلوا الأموال لو طمعوا بذلك فدعت أباها فسقته خمراً حتى ثمل ونحرت بقرة وخلقته بخلوق وألبسته حلة حبرة ثم أرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فدخلوا عليه فزوجه. فلما صحا قال : ما هذا العقير وما هذا العبير وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتنى محمد بن عبد الله . قال : ما فعلت ، أنى أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل . قال الواقدى وهذا غلط والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد بن عبد الله بن مسلم عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم ومن حديث ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ومن حديث ابن أبى حبيبة عن داود بن

---

(١) أصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشر أوقية ونصفا من الذهب وهى أربعون درهماً شرعياً ، وقيل كان صداقها عشرين بكرة (البكرة الأنثى من الابل) ولا منافاة لجواز كون البكرات عوضاً عن ذلك القدر

الحصين عن عكرمة عن ابن عباس « أن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباها (خويلد بن أسد) مات قبل الفجار »[1]

تزوج خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهى بكر — عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم هلك عنها وتزوجها بعده أبو هالة النباش بن زرارة وولدت خديجة لعتيق هند بنت عتيق وولدت لأبى هالة هند بنت أبى هالة وهالة بن أبى هالة ، فهند بنت عتيق وهند وهالة ابنا أبى هالة كلهم إخوة أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة

---

(١) راجع أيضاً طبقات ابن سعد الجزء الأول طبع ليدن ص ٨٥ وقال الحلبي فى سيرته « وفى كون المزوج لها أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر لأن المحفوظ عن أهل العلم أن خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار »

تجديد بناء الكعبة

سنة ٦٠٥ م

الكعبة هى بيت الله الحرام وهو بناء مربع الشكل فى وسط المسجد الحرام، بابه مرتفع على الأرض نحو قامة . وقد بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام وهو رسول من أولى العزم أرسله الله الى الكلدانيين فى جنوب بابل وكانوا يعبدون النجوم والأوثان ثم ترك ابراهيم قومه حين عصوه وهاجر الى مدين وهناك أمره الله تعالى بالهجرة بولده اسماعيل [1] وأمه هاجر الى بلاد العرب فقصدوا مكة ثم أمره الله ببناء الكعبة . قال السيد الامام التقى الفاسى: بناء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة ثابت بالكتاب والسنة . وروى الأزرقى فى تاريخه عن ابن اسحاق أن الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع وجعل طوله فى الأرض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الأسود الى الركن الشامى اثنين وثلاثين ذراعاً وجعل عرضه فى الأرض من قبل الميزاب من الركن الشامى الى الركن الغربى الذى يسمى الآن الركن العراقى اثنين وعشرين ذراعاً وجعل طوله فى الأرض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربى المذكور الى الركن اليمانى أحدا وثلاثين ذراعاً وجعل عرضه فى الأرض من الركن اليمانى الى الحجر الأسود عشرين ذراعاً وجعل الباب لاصقاً بالأرض غير مرتفع عنها ولا مبوّب حتى جعل لها تبع الحميرى باباً وغلقا بعد ذلك

---

(١) اسماعيل أكبر ولد ابراهيم كان اسمه اشمويل فعرب ، وأمه هاجر من القبط من قرية أمام الفرمى قريب من فسطاط مصر وهاجر ابراهيم الى مكة ومعه اسماعيل وهو ابن سنتين وأمه هاجر ثم انصرف ابراهيم الى الشام، واسماعيل أول من تكلم بالعربية وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان كلام الناس قبل ذلك العبرانية ولما بلغ اسماعيل عشرين سنة توفيت أمه هاجر وهى ابنة تسعين سنة فدفنها اسماعيل فى الحجر وأوحى الله الى ابراهيم أن يبنى البيت فبناه معه وتوفى اسماعيل بعد أبيه فدفن داخل الحجر مما يلى الكعبة مع أمه هاجر

ومقام ابراهيم عليه السلام بازاء وسط البيت الذى فيه الباب. قال ياقوت فى معجم البلدان : ان خصائص الكعبة كثيرة وفضائلها لاتحصى ولا يسع كتابنا إحصاء الفضائل وليست أمة فى الأرض إلا وهى تعظم ذلك البيت وتعترف بقدمه وفضله وأنه من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وقد بقيت الكعبة على هيئتها من عمارة ابراهيم عليه السلام الى أن بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة من عمره فخافت قريش أن تهدم لتصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها وكانت رضماً[١] فوق القامة وكان البحر قد رمى بسفينة الى جُدة[٢] فتحطمت فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش فابتاعوا خشبها وأعدوه لتسقيفها وكان بمكة نجار يدعى باقوم مولى سعيد بن العاصى وصانع المنبر الشريف فأمروه أن يلى بناء الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضع الحجر موضعه وأرادت كل قبيلة رفعه وتواعدوا للقتال ثم تشاوروا وجعلوا بينهم أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينهم فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا به وأخبروه الخبر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه وبسطه على الأرض ثم أخذ الحجر فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه ففعلوا فلما بلغوا موضعه وضعه هو بيده الشريفة فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور. وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين

وفى كتاب تهذيب الأسماء ان أول امرأة عربية كست الكعبة الحرير، نتيلة أم العباس وسببه أن العباس ضاع وهو صغير فنذرت ان وجدته أن تكسوها فوجدته ففعلت

---

(١) الرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط

(٢) فى حديث بناء الكعبة عن وهب بن منبه — أن سفينة حجتها الريح الى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . ومعنى حجتها الريح: دفعتها

تسمية بالامين

صلى الله عليه وسلم

جاء فى دائرة المعارف البريطانية فى ترجمة حياته صلى الله عليـه وسلم أن تسميته بالأمين مأخوذة من اسم أمه (آمنة) وإن كان العرب لايجعلون علاقة بينهما فى هذه التسمية. هذا ما زعمه كاتب الترجمة فى دائرة المعارف البريطانية فهو يريد أن يقول ان العرب لم يسموه أميناً لأمانته بل لأن اسم والدته آمنة فلا فخر ولا فضل . والحقيقة التاريخية هى أنه صلى الله عليه وسلم سمى أميناً لأمانته ولذا استخدمته خديجة فى تجارتها فربحت ربحاً طائلاً ثم تزوجته لثقتها به وكانوا يستأمنونه على ودائعهم. وقد جعله قومه حكما بينهم فى بناء الكعبة عن طيب نفس . قال المسيو سيدللو Sédillot فى كتابه تاريخ العرب [1] « ولما بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة استحق بحسن سيرته واستقامة سلوكه مع الناس أن يلقب (بالأمين) وقال موير Muir [2] انه لقب بالأمين باجماع أهل بلده لشرف أخلاقه . وكتب لفظة أمين بالانجليزية هكذا Faithful

---

(١) الطبعة الثانية سنة ١٨٧٧ الجزء الأول صفحة ٥٨ (٢) كتاب تاريخ حياة محمد صفحة ٢٠ طبعة سنة ١٩١٢

خلقه صلى الله عليه وسلم

فى طفولته وشبابه

الأخبار عن حاله صلى الله عليه وسلم فى طفولته قليلة غير مستفيضة لعدم العناية بتدوين السيرة وقتئذ . ونذكر هنا أنه كان صلى الله عليه وسلم فى صغره يلعب ذات مرة مع غلمان قريش فكانوا يحملون الحجارة فى أُزُرهم فتعروا فخالفهم صلى الله عليه وسلم وصار يحملها على رقبته لئلا ترى عورته

وعن عليّ – رضى الله عنه – قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل من فعلهما . قلت لفتى كان معى من قريش بأعلا مكة فى غنم لأهله يرعاها : أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان . قال : نعم ، فلما جئت أدنى دار من مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير . فقلت : من هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة . فلهوت بذلك الصوت حتى غلبنى النوم فنمت ، فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى . فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك

ان الله تعالى اذا أراد أن يحفظ شخصاً ، سد عليه أبواب الملاهى والفساد وأوجد العقبات فى طريقها وصده عن سبيلها بكيفية لا تخطر على بال . لذلك سلط جل شأنه عليه صلى الله عليه وسلم النعاس حتى لا يشاهد شيئاً مما كان يجرى فى أفراح الجاهلية من لهو وفرح وخمر وما شاكل ذلك ليبقى نقياً طاهراً من كل شائنة بل من كل ريبة

وعن أم أيمن قالت : كانوا فى الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة ، وهو صنم من أصنام مكة تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلف عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل فى كل سنة ، فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله

عليـه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن :انا نخاف عليك ممـا تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يامحمـد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً . فلم يزالوا به حتى ذهب معهم . ثم رجع فزعاً مرعوباً . فقلن : ما دهاك ؟ فقال : إنى أخشى أن يكون بى لمم (أى لمة وهى المس من الشيطان) . فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك . فما الذى رأيت ؟ فقال : انى كلما دنوت من صنم تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى « وراءك يامحمد لا تمسه » قالت : فما عاد إلى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم

ولم يذق صلى الله عليه وسلم شيئاً ذبح على الأصنام . وقيل له عليه الصلاة والسلام هل عبدت وثناً قط ؟ قال : لا . قالوا : هل شربت خمراً ؟ قال : ما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر . وما كنت أدرى ما الـكتاب ولا الايمـان ــ أى كيفية الدعوة اليهما . وعنه صلى الله عليه وسلم : لمـا نشأتُ بغضت إلىّ الأصنام والشعر

وكان عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم فى صغره لزيادة الرحمة فى قلبه فـكان يرعاها لأهل مكة كما تقدم

وحضر النبىّ صلى الله عليه وسلم حرب الفجار . قيل وكان له من العمر ١٤ سنة وكان يناول عمومته السهام

وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول .

ولمـا سافر الى الشام فى تجارة لخديجة ــ رضى الله عنهـا ــ ظهرت أمانته ونجح فى تجارته وربح ربحاً طائلا . قال ميسرة غلام خديجة : يامحمـد اتجرنا لخديجة (كذا سفرة) ما رأينا ربحاً قط أكثر من هذا الربح . وقد أحبه ميسرة حباً عظيما لمـا رآه من أمانته وحسن أخلاقه

ومما يدل على رجاحة عقله وحضور بديهته لحل المشكلات، الطريقة التى ابتـكرها لاشراك المتنازعين فى وضع الحجر الأسود

وقد وثقت به خديجة لمـا بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه

فاستأجرته ليتاجر لها وضاعفت له الأجر وكانت — رضى الله عنها — امرأة عاقلة شريفة فلما عاد صلى الله عليه وسلم وأخبرها غلامها عن حميد صفاته دعته عليه الصلاة والسلام وقالت له : إنى قد رغبت فيك لقرابتك منى وشرفك فى قومك وأمانتك عندهم وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها فلما تزوجها كان مثال الزوج الصالح وكان موضع احترامها وتقديرها . يدل على ذلك قولها له بعد نزول الوحى وهى تهدىء روعه : « والله لا يخزيك الله أبداً . انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » وقد كانت أول من آمن به . وقال رسول الله فى حقها : « أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم — امرأة فرعون » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليها كثيراً أمام عائشة — رضى الله عنها — حتى أدركتها الغيرة . فالوفاق بينهما فى المعيشة الزوجية كان بالغاً حده ، ولا شك أن هذا من حسن الخلق وصفاء السيرة والسريرة . ولما أدركت عائشة — رضى الله عنها — الغيرة من حسن ثنائه صلى الله عليه وسلم على خديجة قالت : هل كانت الا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها فغضب رسول الله حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال : « لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها . آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء » قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً . فكان عليه السلام متحلياً فى صغره وشبابه بخير الخلال وأجل الصفات . بعيداً عن الشبهات

رسالة محمد

صلى الله عليه وسلم

اثباتها من التوراة والانجيل

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ناسخاً بشريعته الشرائع الماضية قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سورة سبأ

وقال (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)

سورة الفرقان

وقد وردت البشارة به فى التوراة والانجيل والزبور

فجاء فى قول يوحنا حكاية عن المسيح عليه السلام (ص ١٤ ف ١٥) مايأتى :

(ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كث معكم وفيكم)

وفى ص ١٦ ف ٥ : (وأما الآن فأنا ماض الى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأنه ان لم أنطلق لايأتيكم الفارقليط لكن إن ذهبت أرسله اليكم ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئته وعلى بر وعلى دينونه . أما على الخطيئة فلأنهم لايؤمنون بى وأما على بر فلأنى ذاهب الى أبى ولا تروننى أيضاً وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى

جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه لايأخذ مما لى ويخبركم)

إن هـذه الترجمة رديئة فالأسلوب ضعيف والألفاظ مكررة تكراراً لامسوغ له والجمل مفككة خالية من الروح ولذا لايتأثر منها القارئ وترجمة الفارقليط أو البارقليط بالعربية (أحمد) كما قال تعالى فى كتابه العزيز (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ[1]) وقد تصرف المترجمون فى هذه اللفظة فكانوا تارة ينقلونها عن اللغات الثلاث الأصلية وهى العبرانيـة والكلدانية واليونانية بالمعزى وأخرى بالمخلص أو يكتبونها البارقليط كما هى

ومن يقرأ هذه النصوص وينعم النظر فى معناها ومرماها يجد أن عيسى عليه السلام بشر برسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فسماه فارقليطاً آخر يعنى رسولا غيره تبقى شريعته الى قيام الساعة ولا يأتى بعده نبى ولا رسول وقال إنه إن لم ينطلق لا يأتى الفارقليط وقد بكت النبى صلى الله عليـه وسلم النصارى واليهود الذين أنكروا نبوة المسيح وأساءوا اليه وحرفوا دينـه وقد أرشد النبى عليه الصلاة والسلام الناس كافة الى الحق وكان لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به أى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وثبت أنه أخبر بأمور آتيـة وقد وقع ما أخبر به ومجد عيسى عليه السلام وتدل آيات القرآن الكريم على ماورد فى الانجيل فان النبى صلى الله عليه وسلم (الفارقليط الذى أتى بعد عيسى عليه السلام) لايتـكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به وأنه يرشد الى الحق . قال تعالى (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وما أنا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمانُ وَلَـكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ من عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

(١) سورة الصف

صراط مستقيم) (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم) (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)

وإذا كان الفارقليط لا يشير إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالى من يشير إذن ؟ وأين الذى جاء بعد عيسى عليه السلام ؟ ومن هو الذى بكت العالم على خطيئته. ومن هو روح الحق الذى لا يتكلم من نفسه الخ ، أليس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وجاء فى وصية موسى الكليم عليه السلام كما فى ص ٣٣ ف ٢ : من التثنية ولفظه :

(قال جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران ومعه ألوف الأطهار فى يمينه سنة من نار . أحب الشعوب جميع الأطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه)

هذه الوصية هى آخر وصايا موسى عليه السلام . وقد أخبر بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ووضح لهم أن الله جاء من سيناء[1] وأوصاكم بواسطتى باتباع التوراة ويستشرق عليكم بواسطة عيسى من ساعير وهى جبال فلسطين فلم يبق إلا أن يستعلن من جبال فاران (والمراد بها مكة وهى البلدة التى سكنها اسماعيل) وألوف الأطهار هم الصحابة رضوان الله عليهم . فى يمينه سنة من نار وهى الشريعة الاسلامية لأنها أحرقت المشركين

ولما كان من المهم أن نعرف مكان فاران التى وردت فى وصية موسى بحثت عنها فى أشهر المراجع الموثوق بها فقد جاء فى معجم ياقوت جزء ٦ صفحة ٣٢٣ طبع مصر سنة ١٣٢٤ (فاران هى من أسماء مكة ورد ذكرها فى التوراة. قيل هو اسم لجبال مكة) وجاء فى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى طبع ليدن ١٨٨٣ صفحة ١٧٠ . وأما

---

(١) يريد بمجيئه ظهور دينه وتوحيده بما أوحى الى موسى بسيناء

معدن فران فانه نسب إلى فَران بن بَلِيّ بن عمرو كما قيل فى جبال الحرم جبال فاران وذكرت بذلك فى التوراة وهى نسبة إلى فاران بن عمليق . وجاء فى كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام تأليف قطب الدين النهروالى المكى طبع ليبسيك سنة ١٨٥٧ ص ١٨ عند ذكر أسماء مكة ما يأتى :

(ومن أسمائها كوثى لأن كوثى اسم لمحل من قعيقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها للجبابرة والوادى والحرم الخ) فلم يبق شك فى أن فاران جبال بمكة أو هى مكة نفسها سميت باسم تلك الجبال

وجاء فى سفر أشعيا الأصحاح الحادى والأربعين (أنصتى إلىّ أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة ليقتربوا ثم يتكلموا . لنتقدم معاً إلى المحاكمة من أنهض من المشرق الذى يلاقيه النصر عند رجليه . دفع أمامه أمماً وعلى ملوك سلطه . جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المنذرى بقوسه . طردهم . مر سالما فى طريق لم يسلكه برجليه من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو)

والمراد بالقبائل قبائل العرب وصاحب السيف والقوس هو محمد صلى الله عليه وسلم فان عيسى لم يحارب أصلا

وجاء فى الفصل ١٨ من الكتاب الخامس من سفر التثنية أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام (قل لبنى اسرائل إنى أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بنى اخوتهم) وكل نبى بعث بعد موسى كان من بنى إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام فلم يبق أن يكون من بنى اخوتهم إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من ولد اسماعيل واسماعيل أخو اسحاق واسحاق جد بنى اسرائيل فهذه هى الاخوة التى ذكرت فى التوراة ولو كانت هذه البشارة بنبى من أنبياء بنى اسرائيل لم يكن لذكر اخوتهم معنى

وجاء فى كتاب الرؤيا المنسوب إلى يوحنا الانجيلى فى ص ١٩ ف ١١ مانصه :
(ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً صادقاً وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس

أحد يعرفه إلا هو) وهناك قال إنه يحارب ولاشك انه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد كان يدعى قبل الرسالة بالأمين الصادق كما أسلفنا

وجاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى ص ١٩ ف ١٥ (ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ) والمراد من قوله يخرج من فمه سيف ماض الخ هو القرآن الكريم . وقد داس النبى صلى الله عليه وسلم معصرة خمر أعنى أنه حرم الخمر تحريماً قطعياً . أما عيسى فقد روى عنه المسيحيون أنه قلب الماء خمراً فى عرس قانا وروى عنه أنه قال عن الخمرة انها دمه

هذه النصوص المذكورة فى التوراة والانجيل ناطقة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام لهذا لما كان بحيرا الراهب متبحراً فى علم النصرانية فقد عرف النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره برسالته مما اطلع عليه فى الكتب المقدسة ففيها أوصافه عليه الصلاة والسلام وشيء من ارهاصاته ومعجزاته وكانت حليمة السعدية تعرض النبى صلى الله عليه وسلم على اليهود والكهان وتحدثهم بشأنه فيعرفونه من أوصافه وأحواله وقد أخبر برسالته عليه الصلاة والسلام ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان شيخاً نصرانياً عند ماأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى من الوحى إذ قال له « هذا هو الناموس الذى نزل الله على موسى » إلى آخر ما قال مما سيأتى ذكره فى موضعه . هذا وقد أنذر اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وإليك ماجاء فى سيرة ابن هشام

انذار يهود

برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان مما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله وهداه لنا ما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا

وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به و كفروا به وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) قال ابن هشام يستفتحون يستنصرون : ويستفتحون أيضاً يتحاكمون . وفى كتاب الله تعالى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)

قال ابن اسحاق وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر . قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل . قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل قال سلمة وأنا يومئذ من أحدث من فيه سناً علىّ بردة لى مضطجع فيها بفناء أهلى فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لايرون أن بعثاً كائن بعد الموت. فقالوا له ويحك يافلان أترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال نعم والذى يحلف به . ولو دان له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غداً . فقالوا له ويحك يافلان فما آية ذلك؟ قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن. قالوا ومتى تراه ؟ قال فنظر الىّ وأنا من أحدثهم سناً . فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حىّ بين أظهرنا فآمنا به و كفر به بغياً وحسداً . قال فقلنا له ويحك يافلان ألست بالذى قلت لنا فيه ماقلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . قال ابن

اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال: قال لى هل تدرى عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد نفر من هدل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتهم فى الاسلام قال قلت لا والله . قال فان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا لا والله مارأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج ياابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة فنقول له كم ؟ فيقول صاعاً من تمر أو مدَّين من شعير . قال فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى الله لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قلنا أنت أعلم . قال فانى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبىّ قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه . يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ يابنى قريظة والله انه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان ، قالوا ليس به ، قالوا بلى والله انه لهو بصفته فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم. قال ابن اسحاق فهذا مابلغنا عن أحبار يهود .

قال تعالى يوبخ أهل الكتاب على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ) أى تشهدون أن نعت محمد فى كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه عندكم فى التوراة والانجيل النبىّ الأمىّ

سلمان الفارسى

وقصة إسلامه

سلمان الفارسى أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصله من جىّ وهى مدينة اصفهان وكان اسمه قبل الاسلام مابه بن بوذخشان ابن مورسلان بن بهبوزان بن فيروز بن سهرك من ولد آب الملك وكان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار [1] . وكان أبوه مجوسياً فاتفق أنه هرب منه يوماً ولحق بالرهبان وصحبهم واحداً بعد واحد ثم قدم الحجاز عند ظهور النبى مع العرب فباعوه إلى يهودى من قريظة فأتى به المدينة فلما دخلها النبى أسلم وشهد معه أكثر المشاهد. وأول مشاهده وقعة الخندق وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم وذوى القربى من الرسول وهو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق حين جاءت الأحزاب وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلمان منا أهل البيت » وكان يعمل الخوص بيده ويأكل من ثمنه وآخى الرسول بينه وبين أبي الدرداء وروى عنه جماعة من العلماء . توفى سنة ٣٥ للهجرة وقيل ٣٤ ودفن فى المدائن شرقى بغداد وله مقام ازاء ايوان كسرى يزار حتى الآن ويعرف بمقام سلمان پاك وهى لفظة فارسية معناها الطاهر وقيل عاش ١٥٠ سنة وقيل أكثر من ذلك وهو من معمرى العرب .

وهذه قصة إسلامه عن ابن عباس رضى الله عنه :

عن ابن عباس رضى الله عنه قال حدثنى سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه قال : كنت رجلا من أهل فارس من أصبهان من جىّ ابن رجل من دهاقينها [2] وكنت أحب خلق الله إليه فأجلسنى فى البيت كالجوارى فاجتهدت فى الفارسية [3] وكان

---

(١) راجع سيرة ابن هشام وأسد الغابة لابن الأثير (٢) دهاقين جمع دهقان وهو شيخ القرية
(٣) وفى حديث على بن جابر « فى المجوسية »

أبى صاحب ضيعة وكان له بناء يعالجه فقال لى يوماً يابنى قد شغلنى ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلنى عن كل ضيعة بهمى بك . فخرجت لذلك فمررت بكنيسة النصارى وهم يصلون فملت إليهم وأعجبنى أمرهم وقلت هذا والله خير من ديننا فأقمت عندهم حتى غابت الشمس لا أنا أتيت الضيعة ولا رجعت إليه فاستبطأنى وبعث رسلا فى طلبى . وقد قلت للنصارى حين أعجبنى أمرهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام . فرجعت إلى والدى . فقال يابنى قد بعثت إليك رسلا فقلت مررت بقوم يصلون بكنيسة فأعجبنى ما رأيت من أمرهم وعلمت أن دينهم خير من ديننا . فقال يابنىّ دينك ودين آبائك خير من دينهم . فقلت كلا والله . فخافنى وقيدنى فبعثت إلى النصارى وأعلمتهم ما وافقنى من أمرهم وسألتهم اعلامى من يريد الشام ففعلوا فألقيت الحديد من رجلى وخرجت معهم حتى أتيت الشام فسألتهم عن عالمهم فقالوا الأسقف فأتيته فأخبرته وقلت أكون معك أخدمك وأصلى معك . قال أقم . فمكثت مع رجل سوء فى دينه كان يأمرهم بالصدقة فاذا أعطوه شيئاً أمسكه لنفسه حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فتوفى فأخبرتهم بخبره فزجرونى فدللتهم على ماله فصلبوه ولم يغيبوه ورجموه وأجلسوا مكانه رجلاً فاضلاً فى دينه زهداً ورغبة فى الآخرة وصلاحاً فألقى الله حبه فى قلبى حتى حضرته الوفاة فقلت أوصنى فذكر رجل بالموصل وكنا على أمر واحد حتى هلك فأتيت الموصل فلقيت الرجل فأخبرته بخبرى وأن فلاناً أمرنى باتيانك فقال : أقم . فوجدته على سبيله وأمره حتى حضرته الوفاة . فقلت له أوصنى فقال : ما أعرف أحداً على مانحن عليه إلا رجلاً بعمورية (١) فأتيته بعمورية فأخبرته بخبرى فأمرنى بالمقام وثاب لى شيئاً واتخذت غنيمة وبقرات فحضرته الوفاة فقلت إلى من توصى بى؟ فقال: لا أعلم أحداً اليوم على مثل ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبىٌّ يبعث بدين ابراهيم الحنيفية . مهاجره بأرض ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى بين منكبيه خاتم النبوة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة فان استطعت فتخلص إليه . فتوفى . فمر بى ركب من العرب من بنى كلاب فقلت أصحبكم وأعطيكم بقراتى

(١) عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه . بلد فى بلاد الروم فتحها المعتصم سنة ٢٢٣

وغنمى هـذه وتحملونى الى بلادكم فحملونى الى وادى القرى فباعونى من رجل من اليهود . فرأيت النخل فعلمت أنه البـلد الذى وصف لى فأقمت عند الذى اشترانى وقدم عليـه رجل من بنى قريظة فاشترانى منه وقدم بى المدينة فعرفتها بصفتها فأقمت معه أعمل فى نخله وبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وغفلت عن ذلك حتى قدم المدينة فنزل فى بنى عمرو بن عوف . فانى لفى رأس نخلة اذ أقبل ابن عم لصاحبى (١) ، فقال أى فلان قاتل الله بنى قيلة (٢) مررت بهم آنفاً وهم مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبيّ . فوالله ما هو الا أن سمعتها ، فأخذنى القر ورجفت بى النخلة حتى كدت أسقط ونزلت سريعاً فأقبلت على عملى حتى أمسيت فجمعت شيئاً فأتيته به وهو بقباء عند أصحابه . فقلت اجتمع عندى شىء أردت أن أتصدق به فبلغنى أنك رجل صالح ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة فرأيتهم أحق به فوضعته بين يديه فـكف يده وقال لأصحابه كلوا فأكلوا . فقلت هـذه واحدة ورجعت وتحول الى المدينة فجمعت شيئاً فأتيته به فقلت أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة فمد يده فأكل وأكل أصحابه ، فقلت هاتان اثنتان ورجعت فأتيته وقد تبع جنازة فى بقيع الغرقد (٣) وحوله أصحابه . فسلمت وتحولت أنظر الى الخاتم فى ظهره فعـلم ما أردت فألقى رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت فأجلسنى بين يديه فحدثته بشأنى كله كما حدثتك يا ابن عباس فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه ففاتنى معه بدر وأحد بالرق فقال لى : كاتب ياسلمان عن نفسك فلم أزل بصاحبى حتى كاتبته على أن أغرس له ثلاثمائة ودية (٤) وعلى أربعين أوقية من ذهب . فقال النبى صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم بالنخل فأعانونى بالخمس والعشر حتى اجتمع لى فقال لى نقر لها ولا تضع

---

(١) كان ذلك فى يوم الجمعـة ١٦ ربيع الأول بعد وصول رسول الله الى المدينة بأربعة أيام (٢ يولية سنة ٦٢٢ م) (٢) بنى قيلة : يريد عرب المدينة

(٣) بقيع الغرقد : أصل البقيع فى اللغة الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمى بقيع الغرقد . والغرقد كبار العوسج، وبقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة

(٤) الودية : واحدة الودى : صغار الفسيل

منها شيئاً حتى أضعه بيدى ففعلت فأعانني أصحابى حتى فرغت فأتيته فكنت آتيه بالنخلة فيضعها ويسوى عليها تراباً فأنصرف. والذى بعثه بالحق فما ماتت منها واحدة وبقى الذهب فبينما هو قاعد إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابه من بعض المعادن . فقال ادع سلمان المسكين الفارسى المكاتب . فقال أدّ هذه . فقلت يارسول الله وأين تقع هذه مما على[1] ؟

هذه قصة سلمان الفارسى وهى كما يتضح للقارىء المنصف معقولة وليس فيها شىء من المبالغة ويلاحظ أن سلمان كان من صغره ميالاً الى التدين والتقشف فصاحب كبار أهل الدين وتعلم منهم وهذه القصة تدل على صدق رسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، لأن سلمان ما عرف النبيّ الا بالعلامات التى أخبره بها صاحبه بعمورية ولم يسلم الا بعد أن تحقق صحة هذه العلامات فيه صلى الله عليه وسلم . ومن المحقق من ترجمة حياة سلمان أن أباه كان مجوسياً من بلاد الفرس وأنه هرب منه ولحق بالرهبان وصاحبهم واحداً بعد واحد الى أن لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم

ونلاحظ أن سلمان لم يذكر أسماء الرهبان أو الأساقفة الذين كان يلازمهم وان كان قد ذكر بلادهم

وشهد رسول الله لسلمان الفارسى بالطهارة والحفظ الالهى والعصمة حيث قال : « سلمان منا أهل البيت » وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من فارس » وأشار الى سلمان الفارسى

من تسمى فى الجاهلية بمحمد

كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبياً يبعث من العرب اسمه (محمد) فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده محمداً طمعاً فى النبوة . سمى محمد بن خزاعى بن حزابة من بنى ذكوان من بنى سليم طمعاً فى النبوة فأتى أبرهة باليمن فكان

(١) راجع الجزء الثانى من أسد الغابة لابن الأثير

معه على دينه حتى مات فلما وجه قال أخوه قيس بن خزاعى :

فذلكم ذو التاج منا محمد   ورايته فى حومة الحرب تخفق

وكان فى بنى تميم محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أسقفاً قيل لأبيه انه يكون للعرب نبىٌّ اسمه محمد فسماه محمداً . ومحمد الجشعى فى بنى سواءة . ومحمد الأسيدى ومحمد الفقيمى سموهم طمعاً فى النبوة

هذا ما وجدته فى طبقات ابن سعد فليرجع اليه من شاء ومن هـذا كله يتضح أنهم كانوا ينتظرون ظهور نبى فى ذلك الزمان

عبادة الأصنام والأوثان

قال ابن سيده : الصنم ينحت من خشب ويصاغ من فضة ونحاس . والجمع أصنام وقيل هو ما كان له جسم أو صورة ، فان لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن . قال ابن الأثير : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم الصورة بلاجثة . ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين قال وقد يطلق الوثن على غير الصورة[١]

الوثنية ببلاد العرب ترجع الى عهد بعيد جداً . قيل ان اسماعيل بن ابراهيم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش[٢]

وكان الذى حدى بهم الى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم وصبابة بالحرم وحباً له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث ابراهيم واسماعيل .

ثم أدى بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا[٣] ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه

وكان أول من غيَّر دين اسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسيب السائبة

(١) راجع لسان العرب (٢) كتاب الأصنام لابى المنذر هشام (٣) استخرجوا

ووصل الوصيلة وبَحَرَ البَحِيرَة وهى الحامية عمرو بن ربيعة هو لُحَىّ بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأزدى وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عمرو بن الحارث .

وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهما ببنى اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم انه مرض مرضاً شديداً ، فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حمّة ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ (١) ووجد أهلها يعبدون الأصنام . فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو . فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة وقيل انهم أعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع بمكة

قال هشام : فحدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمراً (أى عمرو بن لحى) رجلا قصيراً أحمر أزرق يجر قُصبه فى النار . قلت : من هذا ؟ قيل هذا عمرو بن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحامى وغيّر دين ابراهيم ودعا العرب الى عبادة الأوثان

وقد جاء فى القرآن ذكر الأصنام الخمسة التى كان يعبدها قوم نوح . قال تعالى : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

ويقال ان هذه الأصنام وجدها عمرو بن لحى فى ساحل جدة وفرقها فاتخذتها العرب آلهة

---

(١) الحمة : عيينة حارة يستشفى بها

ومن الأصنام المشهورة القديمة إساف ونائلة عبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما

ومناة كان منصوباً على ساحل البحر من ناحيـة المشلل بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله ولم يكن أحـد أشد اعظاماً له من الأوس والخزرج . وقد ورد ذكر مناة فى القرآن . قال تعالى ﴿ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ وكانت لهذيل وخزاعة . وقد هدمها على رضى الله عنه عند فتح مكة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

والفُلس وهو صنم طيء هدمه عليّ رضى الله عنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

واللات (تأنيث الله) وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكانت قريش كلها تعظمها وهى بالطائف . ذكرها الله فى القرآن فقال ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ ولم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار . والطاغية هى اللات كانوا يقولون لها الربة . وجاء فى قاموس الاسلام[1] « أن هير ودوت لم يشر الى الكعبة لكنه ذكر اللات وقال انهـا من أعظم آلهة العرب وهذا دليل قوى على وجود ذلك الصنم المسمى باللات وقد كان من معبودات ذلك الزمن »

ومن أصنامهم العزى (تأنيث العزيز) ويقال انهـا أحدث من اللات ومناة . كانت بوادى نخلة الشامية وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح

قال ابن حبيب : العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان . وفى التنزيل ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

ولم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه صـلى الله عليه وسـلم فعابها وغيرها من

(1) Dictionary of Islam by Hughes P. 292, 2nd. edition

الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مرضه الذى مات فيه فدخل عليه أبو لهب فوجده يبكى فقال له ما يبكيك يا أبا أحيحة ؟ أمن الموت تبكى ولا بد منه ؟ فقال : لا . ولكنى أخاف ألا تعبد (العزى) بعدى . فقال له أبو لهب : ماعبدت فى حياتك لأجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك . فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لى خليفة وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها (١) . وتدل القصة على شدة التمسك بعبادة الأصنام . وكان بعضهم يعبد الملائكة وكانوا يقولون الملائكة بنات الله . قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى)

فلما افتتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فهدم العزى ، وكانت لقريش أصنام حول الكعبة وفى جوفها وكان أعظمها عندهم هبل . قيل انه كان من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى . أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان يقال له هبل خزيمة . وعنده ضرب عبد المطلب على ابنه عبد الله بالقداح . ومن الأصنام التى كانت عند الكعبة إساف ونائلة فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أخرجت من المسجد وحرقت وكان يبلغ عددها ٣٦٠ صنما ومن أصنامهم مناف .

وكان لأهل كل دار من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع الرجل اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً وكانوا يسمون الحجارة التى ينصبونها حول الحرم «الأنصاب»

ومن أصنامهم : ذو الخلصة وسعد وذو الكفين وذو الشرى والأقيصر وسعير وعميانس والأسحم والأشهل وأوال وباجر والبجة والبعيم وبلج وبوانة وتيم وجريش وعبدة الأصنام ينكرون بعث الأجساد . وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الأرواح فى الأجساد وكانوا يعتقدون وقوع المسخ ونسبوا أكثر الأمراض إلى الجن وعبدها بعضهم ومن هذا يرى أن آلهة العرب كانت متعددة

(١) راجع معجم البلدان (عزى) وكتاب الأصنام لابن الكلبى ص ٢٣

الاربعة الباحثون عن دين ابراهيم

قد استنكر بعضهم عبادة الأصنام وأدرك أنها لا تنفع ولا تضر وذلك فى الجاهلية قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد حدث أنه بينما كانت قريش مجتمعة يوماً فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم يعتكفون عنده ويدورون به وكان ذلك عيداً لهم كل سنة إذ خلص منهم أربعة وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى . وعبيد الله ابن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ماقومكم على شئ لقد أخطأوا دين ابراهيم . ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . ياقوم التمسوا لأنفسكم ديناً فانكم والله ما أنتم على شئ . فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم

١ — فأما ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب فى أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب

٢ — وأما عبيد الله بن حجش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ابنة أبى سفيان مسلمة ثم تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هناك نصرانياً . وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة

٣ — وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده

٤ — وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان

قال المستر كانون سل فى كتابه « حياة محمد [1] » (قال زيد وأصحابه انهم رغبوا فى اتباع دين ابراهيم . ويظن أن محمداً أخذ منهم هذه الفكرة) ثم قال : (بقى زيد

(1) The Lifeof Muhammad by The Rev. Canon Sell.

حنيفاً وعاب على أهل مكة عبادة الاصنام فأثار ذلك غضبهم فأرغم الى ترك مكة والاقامة فى جبل حراء وبعد أن مضى هنالك زمناً يفكر توفى ودفن بأسفل الجبل وقد كان له تأثير عظيم فى محمد الذى كان يجل شأنه ويقدره قدره . ولا ريب أن هؤلاء الرجال وأمثالهم من ذوى العقول الراجحة كانو كثيراً ما يتشاورون ويتحادثون فيما وصلت اليه حالة العرب الاجتماعية من الانحطاط ويأسفون لانتشار الوثنية وضعف مركزهم السياسى . ولم ينجح عثمان بن الحويرث فى تأسيس سلطة مركزية لاعتماده على دولة أجنبية — الامبراطورية الرومانية — ومع ذلك كانت الحاجة تدعو الى وجود سلطة مركزية والاعتراف بالكعبة وجعلها قوة دينية للعرب جميعاً فكيف الوصول الى ذلك وكيف يمكن ابطال عبادة الأصنام — الى أن قال وهنا سنحت الفرصة لظهور نبى" وقد كان الاستعداد لظهوره قريباً وما لبث أن ظهر نبى قوى الشخصية ذو فطنة سياسية فائقة برسالة محدودة للامة العربية) اه

نعم ان هؤلاء تحادثوا فى أمر انتشار عبادة الأصنام وأخذوا يبحثون عن الدين الصحيح لكن محادثتهم كانت قليلة . وليس لها شأن ولم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتمع بهم ويحادثهم فى شؤون العرب الدينية أو السياسية وقد كان زيد بن عمرو مضطهداً ولجأ الى حراء لكن لم تكن له اجتماعات برسول الله حتى يقال انه تذاكر معه مسائل الدين وترك فى نفسه أثراً عميقاً أوانه أخذ منه الفكرة لأن المسألة ليست مسألة اقتباس فكرة . فالقرآن وما حواه من فصاحة وبلاغة خارقة وحكم بالغة وأمثال محكمة وذكر أحوال الماضين من أنبياء وأمم وأنباء المستقبل وعلاقة الانسان بخالقه وعلاقته بغيره والتشريع العظيم الشأن الذى صار موضوع بحث الأئمة المجتهدين والعلماء الأعلام لا يكون مصدره اجتماع زيد بن عمرو برسول الله مصادفة فى حراء أو فى الطريق . ثم اننا فوق ذلك لا نعلم من تاريخ رسول الله أنه كان يتذاكر مع رجال أو كانوا يعلمونه من صغره الى أن صار نبيا بل الثابت أنه كان أمياً لا يدرى ما الكتابة والقراءة ولا الدين وأصوله حتى أُوحى اليه

وهذه ترجمة حياة زيد بن عمرو اتماماً للبحث

زيد بن عمرو [١]

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك القرشى العدوى والد سعيد بن زيد أحد العشرة وابن عم عمر بن الخطاب يجتمع هو وعمر فى نفيل. سئل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال « يبعث أمة وحده يوم القيامة » وكان يتعبد فى الجاهلية ويطلب دين ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ويوحد الله تعالى ويقول إلهى إله ابراهيم ودينى دين ابراهيم وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول (الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى) انكاراً لذلك وإعظاماً له وكان لا يأكل مما ذبح على النصب واجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفل بلدح [٢] قبل أن يوحى اليه وكان يحيى الموءودة. وعن زيد بن حارثة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردفى فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل فحيا كل واحد منا صاحبه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يازيد مالى أرى قومك قد شنفوا لك [٣] قال والله يامحمد ان ذلك لغير نائلة ترة لى فيهم ولكن خرجت أبتغى هذا الدين حتى أقدم على أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ما هذا الدين الذى أبتغى فخرجت فقال لى شيخ منهم انك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به الا شيخاً بالحيرة . قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآنى قال ممن أنت ؟ قلت أنا من أهل بيت الله من أهل الشوك والقرظ. قال ان الذى تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبى قد طلع نجمه وجميع من رأيتهم فى ضلال . قال فلم أحس بشىء

---

(١) راجع أسد الغابة (٢) بلدح واد قبل مكة من جهة الغرب

(٣) أى أبغضوك

قال زيد ومات زيد بن عمرو وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي في زيد « انه يبعث يوم القيامة أمة وحده »

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيري . وكان يقول اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته . وقال ابن اسحاق حدثني بعض آل زيد كان إذا دخل الكعبة قال لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً . عذت بما عاذ به ابراهيم . ويقول وهو قائم . أنفي لك عان راغم . مهما تجشمني فاني جاشم . البر أبغي لا المال وهل مهجر كمن قال وكان الخطاب بن نفيل قد آذى زيد بن عمرو بن نفيل حتى خرج إلى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فلا يتركونه يدخل مكة وكان لايدخلها إلا سراً منهم فاذا علموا به آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم . وتوفي زيد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم [1] فرثاه ورقة بن نوفل :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وقد يدرك الانسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض ستين واديا

وكان يقول يامعشر قريش إياكم والرياء فانه يورث الفقر

هذه ترجمة زيد بن عمرو وهو مع اعتناقه دين ابراهيم هربا من الوثنية لم يكن يعلم أحب الوجوه إلى الله تعالى ليعبده به ولم يذكر أنه اجتمع برسول الله غير مرة

---

(١) وفي تاريخ القرون الوسطى لجامعة كامبردج أن زيدا مات في صبا النبي (صلى الله عليه وسلم)

بدء الوحى

٦ أغسطس سنة ٦١٠ م

لما قربت أيام الوحى حبب إليه ﷺ الخلوة فكان يختلى فى غار حراء ويتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها ، وكانت عبادته على دين ابراهيم عليه السلام وقيل كان يتعبد الهاماً من الله ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وكانت تلك الرؤيا الصادقة مقدمات الوحى . قيل مدتها ستة أشهر

فلما تم له أربعون سنة جاء جبريل بالنبوة وذلك فى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده ، فيكون عمره إذ ذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر وثمانية أيام ، وذلك يوافق ٦ أغسطس سنة ٦١٠ م وهو بغار حراء

جاء فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم (١) فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلق الصبح (٢) ثم حبب اليه الخلاء (٣) وكان يخلو بغار حراء (٤) فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله (٥) ويتزود لذلك (٦) ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق (٧) وهو فى غار حراء فجاءه الملك (٨) فقال له اقرأ ، فقال ما أنا بقارئ (٩) قال فأخذنى فغطنى (١٠) حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى . فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجَهْدَ ، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة (١١) ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق .

---

(١) ان عائشة لم تدرك هذه القصة لكن الظاهر أنها سمعت ذلك منه صلى الله عليه وسلم لقولها قال فأخذنى فغطنى . وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر وحينئذ يكون ابتداء النبوة بالرؤيا حصل فى شهر ربيع الأول وهو شهر مولده (٢) كضياء الصبح (٣) بمعنى الخلوة أى الاختلاء (٤) حراء جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب الى منى ، والغار نقب فيه (٥) يحن ويشتاق ويرجع (٦) يتخذ الزاد للخلوة أو التعبد (٧) هو الوحى (٨) جاءه الوحى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان (٩) ما نافية وفى رواية كيف أقرأ أو ماذا أقرأ فتكون ما استفهامية (١٠) ضمنى وعصرنى (١١) ذكر السهيلى ان الغط ثلاثا اشارة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل

اقرأ وربك الأكرم فرجع بها[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : زملونى ، زملونى[٢] فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى[٣] . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا[٤] ، إنك لتصل الرحم[٥] وتحمل الكلّ[٦] وتكسب المعدوم[٧] وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانىّ . فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك[٨] فقال لى ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس[٩] الذى نزّل الله على موسى ، ياليتنى فيها[١٠] جذعا[١١] ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك[١٢] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجىّ هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الاعودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[١٣] . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى[١٤] »

أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن « اقرأ » كما صح ذلك عن عائشة وروى ذلك عن أبى موسى الأشعرى وعبيد بن عمير . قال النووى : وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف

له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم فى الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه

(١) أى بالآيات (٢) أى لففونى لشدة ما لحقه من هول الأمر . والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفف (٣) الموت أو المرض لشدة الرعب (٤) أى ما يفضحك الله (٥) القرابة (٦) وهو الذى لا يستقل بأمره (٧) أى تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك (٨) تعنى النبى صلى الله عليه وسلم لأن الأب الثالث لورقة هو الأخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قالته على سبيل الاحترام (٩) صاحب الوحى والمراد به جبريل عليه الصلاة والسلام . وأهل الكتاب يسمونه الناموس الأكبر (١٠) أى فى مدة النبوة (١١) أى ياليتنى كنت شاباً عند ظهور نبوتك حتى أقوى على المبالغة في نصرتك . والجذع هو الصغير من البهائم ، واستعير للانسان (١٢) من مكة (١٣) أى بالغاً شديداً وهذا ظاهر فى أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل الدعوة الى الاسلام فيكون مثل بحيرا ، ودفن بمكة (١٤) أى احتبس ثلاث سنين

النبيّ المنتظر

اتفق مؤرخو العرب وأصحاب السير أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون ظهور نبي في ذلك الزمان وكانوا يعلمون أوصافه وأحواله . من ذلك أنهم ذكروا :

(١) قصة حليمة السعدية وانها كانت تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود كلما مر بها جماعة منهم وتحدثهم بشأنه فكانوا يحضون على قتله فتهرب منهم

(٢) انهم اتفقوا على أن بحيرا الراهب عرف الرسول بعلامات فيه وقال لأبى طالب « ارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغيننّه شراً فانه كائن له شأن عظيم فأسرع به الى بلده »

(٣) فى سيرة ابن هشام فصل عن إنذار يهود برسول الله نقلا عن رواية ابن إسحاق فليراجع فى موضعه وقد أوردته فى هذا الكتاب

(٤) قصة سلمان الفارسى الذى أسلم بعد أن استدل على رسول الله بعلامات كان يعرفها من الراهب الذى صحبه أخيراً . وقصة اسلام سلمان مشهورة ومذكورة فى المصادر المعتبرة التى يعوّل عليها المؤرخون ولا يمكن أن تكون مختلقة ، فقد رواها ابن عباس عن لسان سلمان الفارسي نفسه . والقصة مذكورة فى هذا الكتاب أيضاً لأهميتها

(٥) اسلام عبد الله بن سلام بن الحارث فانه كان حبراً عالماً . قال سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم . عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخر ما قال مما هو مذكور فى هذا الكتاب نقلا عن سيرة ابن هشام

(٦) كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبياً يبعث فى العرب اسمه محمد فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده محمداً طمعاً فى النبوة . وقد ذكرت فى كتابى هذا أسماء بعضهم نقلا عن طبقات ابن سعد كاتب الواقدى

(٧) ما جاء فى صحيح البخارى فى باب بدء الوحى من أن ورقة بن نوفل (ذلك الشيخ العالم بالنصرانية والذى كان يكتب الانجيل بالعبرانية) قال لرسول الله حين عرضته عليه خديجة : « هذا الناموس الذى نزل على موسى » الخ

(٨) أن النبى صلى الله عليه وسلم لما جمع بنى قينقاع - وهم طائفة من اليهود - قال لهم : « يامعشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبىّ مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله اليكم »

كل هذا وغيره يؤيد أنهم كانوا ينتظرون نبياً يظهر فى ذلك الزمان . وليس ذلك بمستغرب فان البشارة به صلى الله عليه وسلم قد وردت فى التوراة والانجيل وقد أثبتنا ذلك فى فصل سابق من هذا الكتاب مستشهدين بآيات من الكتاب المقدس المطبوع باللغة العربية . فلا بد أن أهل الكتاب فى ذلك الزمان كانت لديهم كتب أخرى ألفها علماؤهم شرحاً للكتاب المقدس فاستقوا منها تلك المعلومات والعلامات التى عرفوا بها صفة رسول الله وموطنه وزمنه واضطهاد قومه له وهجرته . اننا نرجح ذلك بل نؤكده لأننا اذا كنا قد استخرجنا من الكتاب المقدس المطبوع فى أيامنا آيات تبشر برسالته صلى الله عليه وسلم وتصفه وتصف شريعته وموطنه وأصحابه فلا بد أن يكون أهل الكتاب قديماً - ولا سيما العلماء منهم - قد اطلعوا فى النسخ العبرية القديمة التى كانت لديهم ، ولم نتوصل اليها ، على معلومات أوفى خاصة بالرسول تعد غريبة بالنسبة لنا

هذا ما يستنتجه المؤرخ المنصف ، بل هذا ما يتبادر الى ذهن من تتبع سيرة الرسول أما مستر موير فانه انبرى فى الجزء الثانى من كتابه يكذب جميع المصادر التاريخية ويرفض ما جاء فيها من أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون نبياً يبعث ، زاعماً أن هذه الروايات لا أساس لها من الصحة وأنها من مخترعات المؤرخين لأنه لو اعترف بصحتها أو بصحة بعضها لوجب عليه أن يعترف برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى حين أنه حاول فى جميع ما كتبه واستنبطه اثبات أنه لم يكن نبياً بل كان رجلا يدعى النبوة لبسط نفوذه !!

النبيُّ الأمى

أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن « اقرأ » كما صح ذلك عن عائشة وروى ذلك عن أبى موسى الأشعرى وعبيد بن عمير . قال النووى وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف . وقوله « ما أنا بقارئ » أى انى أمىّ فلا أقرأ الكتب قال الزجاج : الأمى الذى على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته . وفى التنزيل العزيز ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾

قال أبو إسحاق : معنى الأمى المنسوب الى ما عليه جبلة أمه أى لا يكتب وهو فى أنه لا يكتب أمىّ لأن الكتابة مكتسبة فكأنه نسب الى ما يولد عليه . أى على ما ولدته أمه عليه . وكانت الكتابة فى العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار . وفى الحديث « انا أمة أمية لاتكتب ولا تحسب » أراد على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى . وفى الحديث « بعثت الى أمة أمية » قيل للعرب الأميين لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة . هذا معنى كلمة « أمى » فى اللغة العربية وهكذا كان يفهمها العرب .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ الآية . قال الفخر الرازى فى تفسيره : « فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون والنبى عليه الصلاة والسلام كان كذلك ، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً . قال أهل التحقيق وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه :

(الأول) أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته . والخطيب من العرب اذا ارتجل

خطبة ثم أعادها فانه لا بد أن يزيد فيها بالقليل والكثير. ثم انه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك من المعجزات ، واليه الاشارة بقوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)

(الثانى) انه لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما فى أنه ربما طالع كتب الأولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة ، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات ، وهذا هو المراد من قوله ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(الثالث) ان تعلم الخط شىء سهل فان أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعى . فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم. ثم انه تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين وأعطاه من الحقائق مالم يصل اليه أحد من البشر ومع تلك القوة العظيمة فى العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذى يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جاريا مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات » اهـ

وقد طالعت ما كتبه الذين تعرضوا لهذا البحث من الافرنج الذين ترجموا حياة النبى صلى الله عليه وسلم فوجدت تخبطا مدهشاً فقد بحث الاستاذ نولدكه الألمانى فى كتابه « تاريخ القرآن » (1) هل كان النبى يعرف القراءة والكتابة ؟ فلم يجزم بشىء بيد أنه زعم أن لفظة « أمى » المذكورة فى القرآن لاتدل على أنه يجهل القراءة والكتابة بل تفيد أنه لا يعرف الأسفار القديمة !!

والثابت من التاريخ والقرآن والحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف القراءة والكتابة بالرغم من أن بعض المستشرقين يحاولون أن يثبتوا عكس ذلك من غير برهان . إنهم يستنتجون بعقولهم . ليتعجبوا ماشاءوا من أميته ولكن

(1) Geschichte des Qorans p . 7 Sqq .

يجب عليهم أن يعترفوا بأنه ما كان يعلم القراءة والكتابة. وجاء فى قاموس الاسلام[1]

« ومع ذلك فمن المحقق انه (النبى صلى الله عليه وسلم) كان يتظاهر بانه يجهل القراءة والكتابة كى يجعل انشاء القرآن معجزاً »

فهل بعد ذلك تعسف ! : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ أو يكتب لتحدث بذلك أصحابه أو أعداؤه ، ولما أمكن أن يكون أمراً مكتوماً طول حياته خصوصاً ان جميع صفات النبى وأعماله قد روتها الصحابة بالتفصيل حتى خصوصياته فى منزله مع نسائه . على أن المنصفين من مؤرخى الافرنج وفلاسفتهم قد اعترفوا بأميته فمن ذلك ما كتبه المسيو سيدليو فى كتابه « تاريخ العرب » الجزء الاول ص ٥٩ من الطبعة الثانية :

« ولما كان (رسول الله صلى الله عليه وسلم) غير متعلم مثل أبناء وطنه كان لا يعرف القراءة »

وقال الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل فى كتاب الأبطال الذى عنى بترجمته الاستاذ محمد السباعى رحمه الله :

« ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على استاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك فى بلاد العرب . ويظهر لى أن الحقيقة هى أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هى عيشة الصحراء وأحوالها »

وجاء فى كتاب الاسلام تأليف الكونت هنرى دى كاسترى ترجمة المرحوم احمد فتحى زغلول باشا :

« ان محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان ـ كما وصف نفسه مراراً ـ نبياً أمياً ، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل فى الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان ، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين من تلك الأقطار الخ »

---

(1) Dictionary of Islam by Thomas Patrick Hughes . 2nd. edition, P . 392

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً احتاج الى كتاب يكتبون له وقد ذكرهم الحافظ أبو القاسم فى تاريخ دمشق ، وروى ذلك كله بأسانيده وهم :

أبو بكر الصديق . وعمر بن الخطاب . وعثمان . وعلى . والزبير . وأبىّ بن كعب. وزيد بن ثابت . ومعاوية بن أبى سفيان . ومحمد بن مسلمة . والأرقم بن أبى الأرقم وأبان بن سعيد بن العاص . وأخوه خالد بن سعيد . وثابت بن قيس . وحنظلة بن الربيع . وخالد بن الوليد . وعبد الله بن الأرقم . وعبد الله بن زيد بن عبد ربه . والعلاء بن عتبة . والمغيرة بن شعبة . والسجل . وزاد غيره شرحبيل بن حسنة. وقالوا وكان أكثرهم كتابة زيد بن ثابت ومعاوية رضى الله عنهم

وسيأتى فى غزوة أحد أن العباس كان بمكة وكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم كتاباً يخبره بجمع قريش وخروجهم . فلما جاء كتاب العباس وكان أرسله مع رجل من بنى غفار ، فك رسول الله ختمه ودفعه لأبىّ بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبياً[1]

فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف القراءة لما دفع كتاباً يحوى أخباراً سرية الى أحد لقراءته

وذكر ابن ماكولا أن تميم بن جراشة وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه أنه قال : قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف فأسلمنا وسألناه أن يكتب لنا كتاباً فيه شروط فقال اكتبوا ما بدا لكم ثم ايتونى به فسألناه فى كتابنا أن يحل لنا الربا والزنا فأبى علىّ أن يكتب لنا فسألنا خالد بن سعيد بن العاص فقال له علىّ : تدرى ما تكتب ؟ قال أكتب ماقالوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بأمره . فذهبنا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال للقارئ اقر . فلما انتهى الى الربا قال ضع يدى عليها فوضع يده فقال ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ الآية. ثم محاها وألقيت علينا السكينة فما راجعناه

(١) راجع السيرة النبوية لدحلان . الجزء الأول ص ٢٥٨ طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٥ هـ

فلما بلغ « الزنا » وضع يده عليها وقال : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَة ﴾ الآية ثم محاها وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا [(١)]

وقد زعم بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلو الكتب الدينية القديمة ومنها إستقى معلوماته، وهذا الزعم لا أساس له، إذ لم يكن فى جزيرة العرب كتب دينية باللغة العربية فى ذلك الوقت . ومن المؤكد أنه ما كان يعرف أى لغة من اللغات الأجنبية

وقد قيل أيضاً انه صلى الله عليه وسلم إقتبس بعض تعاليم المسيحية أثناء سفره إلى الشام عند ما كان يتاجر، وبديهى أن التاجر العربى الذى لا يعرف اللغة الآرامية واليونانية كان يتعذر عليه الحصول على معلومات دينية من مسيحي الشام. أما الذين كانوا يتكلمون العربية من هؤلاء المسيحيين فقد كانوا جهالا أميين

وأما ماقيل من أن ورقة بن نوفل ترجم جزءا من الكتب المسيحية إلى العربية فغير محتمل بالمرة [(٢)] ومع ذلك يزعم درمنجم فى كتابه «حياة محمد» أن ورقة ترجم الأناجيل إلى العربية وهذا زعم لا أساس له انما هو مجرد ظن

---

(١) راجع أسد الغابة . الجزء الأول «تميم بن جراشة»

(٢) راجع الجزء الثانى من كتاب تاريخ القرون الوسطى لجامعة كامبردج ص (٣٠٥ — ٣٠٦)
The Cambridge Medieval History Vol . 2 (1931) pp. (305,306)

فترة الوحى [1]

جاء فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما [2] وهو يحدث عن فترة الوحى فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك [3] الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت [4] فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ [5] قُمْ فَأَنْذِرْ [6] وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ [7] فَاهْجُرْ ﴾ فحمى ٱلْوَحى [8] وتتابع

قال ابن اسحاق ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان بقول الله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ وَقَال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ .لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ حم وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ وَقَال تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

ولما فتر الوحى حزن النبى صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً غدا منه مراراً كى

---

(١) فترة الوحي . إحتباس الوحى عن النزول (٢) توفى جابر بعد أن عمى سنة أربع وسبعين وهو آخر الصحابة موتا بالمدينة وله فى البخارى تسعون حديثا (٣) جبريل (٤) إلى أهلى بسبب الرعب (٥) التدثير والتزميل بمعنى واحد (٦) إقتصر على الأنذار لأن التبشير إنما يكون لمن دخل فى الاسلام ولم يكن إذ ذاك من دخل فيه (٧) الأوثان (٨) كثر نزول الوحى بعد هذه الآية

يتردى من رءوس الجبال فكلما أوفى على ذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يامحمد انك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه . وكانت مدة فترة الوحى ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحاق ثم نزل عليه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ما ودعه وما قلاه ، فقال تعالى :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله أنه ماقطعه قطع المودع وما أبغضه .

روى أن الوحى لما تأخر عنه قال المشركون ـ ان محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت رداً عليهم . ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ فانها باقية خالصة من الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار .

أول من آمن به

أول من آمن به من الرجال البالغين الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان ، علىٌّ ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال .

قال أهل الأثر وعلماء السير ان أول الناس ايماناً به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضى الله عنها وصلى رسول الله معها آخر يوم الاثنين وهو أول يوم من صلاته وكانت الصلاة وقتئذ ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى

وكان علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه لم يبلغ الحلم حين أسلم وكان ابن عشر سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه يطعمه ويقوم بأمره وهو أصغر اخوته وسيأتى سبب اسلامه رضى الله عنه فى ترجمة حياته

وأول من أسلم من النساء بعد خديجة أم أيمن وأم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبى بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب

أبو بكر الصديق

واسلامه

هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى القرشى التيمى

ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م وهو أول الخلفاء . وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهى ابنة عم أبى قحافة . وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى الهجرة والخليفة بعده . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عنه عمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وحذيفة وزيد بن ثابت وغيرهم . وقد اختلف فى اسمه فقيل كان عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وقيل ان أهله سموه عبد الله ولا يبعد ذلك لأن التسمية بعبد الله كانت موجودة قبل الاسلام ويقال له عتيق أيضاً واختلفوا فى السبب الذى قيل له لأجله « عتيق » فقال بعضهم قيل له عتيق لحسن وجهه وجماله قاله الليث بن سعد وجماعة معه . وقال الزبير بن بكار وجماعة معه انما قيل له عتيق لأنه لم يكن فى نسبه شئ يعاب به . وقيل انما سمى عتيقاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنت عتيق الله من النار » وعن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « أنت عتيق من النار » فيومئذ سمى عتيقاً . وقيل له « الصديق » أيضاً . قالت عائشة رضى الله عنها لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان قد آمن وصدق وفتنوا به ، فقال أبو بكر انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك . أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة . فلذلك سمى أبو بكر الصديق ، وقال أبو محجن الثقفى :

وسميت صديقاً وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد ... وكنت جليساً فى العريش المشهر

وكان رضى الله عنه صديقاً لرسول الله قبـل البعثة وهو أصغر منه سناً بثلاث سنوات ، وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وقيل كنى بأبى بكر لابتكاره الخصال الحميدة فلما أسلم آزر النبى صلى الله عليـه وسلم فى نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وكان له لما أسلم أربعون ألف درهم أنفقها فى سبيل الله مع ما كسب من التجارة . قال تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ وقد أجمع المفسرون على أن المراد منه أبو بكر . قال الفخر الرازى رداً على من قال انها نزلت فى حق على رضى الله عنه :

« ولما ذكر ذلك بعضهم فى محضري قلت أقيم الدلالة العقليـة على أن المراد من هذه الآية أبو بكر . وتقريرها ان المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق فاذا كان كذلك وجب أن يكون المراد هو أبو بكر فهاتان المقدمتـان متى صحتا صـح المقصود الى أن قال ـ لأن الأمة مجمعة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله إما أبو بكر أو على ولا يمكن حمل هذه الآية على علىّ بن أبى طالب فتعين حملها على أبى بكر . وانما قلنا لا يمكن حملها على علىّ بن أبى طالب لأنه قال فى صفة هذا الأتقى « وما لأحـد عنده من نعمة تجزى » وهذا الوصف لا يصدق على علىّ بن أبى طالب لأنه كان فى تربية النبى صلى الله عليه وسلم ولأنه أخذه من أبيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه وكان الرسول منعما عليه نعمة يجب جزاؤها . أما أبو بكر فلم يكن للنبى عليه السلام عليه نعمة دنيوية بل أبو بكر كان ينفق على الرسول عليه السلام . بلى كان للرسول عليه السلام عليه نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا أن هذا لا يجزى لقوله تعالى « ما أسألكم عليه من أجر » والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فعلمنا أن هذه الآية لا تصلح لعلى » رضى الله عنه

كان أبو بكر رضى الله عنه من رؤساء قريش فى الجاهلية محبباً فيهم مؤلفـاً لهم وكان اليه الأشناق فى الجاهلية [1] كان اذا حمـل شيئا صـدقته قريش وأمضوا

---

(١) الاشناق : الديات

حمالته وحمالة من قام معه وان احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه فلما جاء الاسلام سبق اليه وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له وميلهم اليه حتى انه أسلم على يده خمسة من العشرة وقد ذهب جماعة الى أنه أول من أسلم . قال الشعبى سألت ابن عباس من أول من أسلم ؟ قال أبو بكر ، أما سمعت قول حسان :

اذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا

والثانىَ التالىَ المحمودَ مشهده ... وأول الناس قد ما صدق الرسلا

وكان أعلم العرب بأنساب قريش وما كان فيها من خير وشر وكان تاجراً ذا ثروة طائلة وكريماً حسن المجالسة عالماً بتعبير الرؤيا ، ولما أسلم جعل يدعو الناس الى الاسلام . قال ابن اسحاق بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبى بكر رضي الله عنه ماعتم عنه حين ذكرته له أى أنه بادر به . ونزل فيه وفى عمر « وشاورهم فى الأمر » فكان أبو بكر بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها ولما اشتد أذى كفار قريش لم يهاجر الى الحبشة مع المهاجرين بل بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر معه الى المدينة تاركا عياله وأولاده وأقام معه فى الغار ثلاثة أيام . قال الله تعالى ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

لما كانت الهجرة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وهو نائم فأيقظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذن لى فى الخروج . قالت عائشة فلقد رأيت أبا بكر يبكى من الفرح ثم خرجا حتى دخلا الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام . قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ سورة التوبة

وقد دلت هذه الآية على فضيلة أبى بكر لأن رسول الله لولا ثقته التامة بأبى بكر

لما صاحبه فى هجرته واستخلصه لنفسه وكل من سوى أبى بكر فارق رسول الله وانه تعالى سماه ثانى اثنين . وكان النبى صلى الله عليـه وسلم يكرمه ويجله ويعرّف أصحابه مكانه ويثنى عليه فى وجهه ، واستخلفه فى الصلاة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان بالحديبية وخيبروفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك وحجة الوداع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا » . ودفع أبو بكر عقبة بن أبى معيط عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لما خنق رسول الله وهو يصلى عند الـكعبة خنقاً شديداً وقال : « ياقوم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » وأعتق أبو بكر سبعة كانوا يعذبون فى الله تعالى منهم بلال وعامر بن فهيرة وكان أبو بكر اذا مُدح قال « اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون » وهذا من تواضعه رضى الله عنه ، ومما يدل على قوة ارادة أبى بكر ما قاله أبو السفر وهو : دخلوا على أبى بكر فى مرضه فقالوا ياخليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلىّ . قالوا : ما قال ؟ قال : « إنى فعال لما أريد »

قال عمر رضى الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته فجئت بنصف مالى . فقال : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت مثله ، وجاء أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت لا أسبقه الى شى أبداً

ومن أخبار تواضعه رضى الله عنه أنه كان يحلب للحى أغنامهم،فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا منائحنا. فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم وانى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه ، فـكان يحلب لهم فربما قال للجارية أتحبين أن أرغى لك أو أن أصرح ؟ فأى ذلك قالت فعل

والآن يقولون اننا فى عصر المدنية والحرية والديموقراطية ومع هذا نجد الموظف

الصغير يأنف أن يكلم الناس أو يقضى حوائجهم

وعن سالم بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم لما اشتد مرضه أغمى عليه فلما أفاق قال : مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس ؟ قال ثم أغمى عليه فقالت عائشة ان أبى رجل أسيف فلو أمرت غيره . فقال أقيمت الصلاة . فقالت عائشة : يارسول الله ان أبى رجل أسيف فلو أمرت غيره . قال : انكن صواحبات يوسف مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس . ثم أفاق فقال : أقيمت الصلاة ؟ قالوا نعم . قال ادعوا لى انسانا أعتمد عليه فجاءت بريرة وانسان آخر فانطلقوا يمشون به وان رجليه تخطان فى الأرض . قال فأجلسوه الى جنب أبى بكر فذهب أبو بكر يتأخر فحبسه حتى فرغ الناس فلما توفى ـ قال وكانوا قوماً أميين لم يكن فيهم نبى قبله ـ قال عمر : لا يتكلم أحد بموته الا ضربته بسيفى هذا . قال : فقالوا له اذهب الى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعه يعنى أبا بكر . قال فذهبت : فوجدته فى المسجد قال : فأجهشت أبكى . قال : لعل نبى الله توفى . قلت : ان عمر قال لا يتكلم أحد بموته الا ضربته بسيفى هذا . قال : فأخذ بساعدى ثم أقبل يمشى حتى دخل فأوسعوا له فأكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كاد وجهه يمس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر نفَسه حتى استبان أنه توفى . فقال : انك ميت وانهم ميتون قالوا ياصاحب رسول الله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . فعلموا أنه كما قال

قال ابن اسحاق توفى أبو بكر رضى الله عنه يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة (٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤) وصلى عليه عمر بن الخطاب

توفى بعد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر بالمدينة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وكان أبو بكر رجلا أبيض نحيفاً خفيف العارضين أحنى ، معروق الوجه . غائر العينين . ناتئ الجبهة . عارى الأشاجع . يخضب بالحناء والكتم ، وكان أول من أسلم من الرجال وأسلم أبواه . له ولوالديه ولولده وولد ولده صحبة رضى الله عنهم . واختلف فى

سبب موته . فقيل انه مات مسموماً . وقيل انه اغتسل فى يوم بارد فحم خمسة عشر يوماً ثم مات بعدها ، وقيل انه مات كمداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه ترجمة حياة أبى بكر أثبتناها هنا بمناسبة اسلامه وما كان له من الشأن العظيم والقدر الرفيع ،ولأنه قد بذل المجهود فى نصرة الرسول فدل بذلك على غاية الوفاء ومنتهى الاخلاص . ولم يكن ـ رضى الله عنه ـ رجلا ضعيفاً كما ظن بعض المستشرقين بل كان شجاعاً وكان مع شجاعته مخلصاً لا يبالى بالأهوال ويحتمل المشقات كما يستفاد من سيرته ، فبقى مع الرسول ولم يهاجر الى الحبشة مع المهاجرين عند اشتداد أذى الكفار على المسلمين ، ولما دعاه النبى صلى الله عليه وسلم الى الهجرة معه بكى من فرط السرور واشترك معه فى غزواته وهو ممن ثبت مع رسول الله فى غزوة أحد . ولما توفى النبى فقد الناس صوابهم وقال عمر : من قال ان محمداً مات ضربته بسيفى هذا . أما أبو بكر فملك شعوره ولم يفقده وقع المصاب الجلل صوابه ، فقال : انك ميت وانهم ميتون وسيأتى تفصيل ذلك عند ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا كانت هذه مواقف ضعف وخلال وهن فأين مواطن القوة ؟ ولم نذكر هنا أعماله الجليلة فى خلافته [1] (راجع كتاب أبى بكر الصديق للمؤلف)

يقول هؤلاء المستشرقون انه كان يصدق الرسول تصديقاً أعمى وانه كان كالنساء سريع البكاء ، وهو قول عجيب ، فكيف لا يصدق الرسول وهو يعلم أنه صادق لا يكذب، بل هو أعلم خلق الله بصدقه عليه الصلاة والسلام لصحبته له تلك الصحبة الطويلة . ان تصديقه لرسول الله فى كل ما قال نتيجة الثقة به ولأجل هذه الثقة المتينة كان لا يتردد فى التصديق به ، ولأجلها تحمل معه الشدائد والاضطهادات، ولأجلها أنفق أمواله كلها وهذا شأن العاقل الذى اذا ثبت يقينه على أساس قوى لم يبال بما يصادفه من عقبات فى سبيل نصرة الحق . أما بكاؤه عند سماع القرآن فهذا أظهر دليل على إخلاصه وتوقد

---

(١) كانت مدة خلافة أبى بكر سنتين قضى فيهـا على المرتدين قضاء مبرما وأخضع بنى غسان وبنى تغلب وهزم الفرس ودخلت جيوشه عاصمتهم وتغلب على العراق وجهز جيشا يبلغ عدده ثلاثين ألفا لمحاربة الروم فى الشام ــ كل ذلك فى سنتين !

ذكائه وقوة فهمه لكلام الله عز وجل اذ بقدر الفهم يكون التأثر . وقد أجمعوا على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه

كلماته المأثورة

كان رضى الله عنه يقول :

أكيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة . ان العبد اذا داخله العجب بشىء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينه . ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل . وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد

علي بن أبي طالب

وإسلامه

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٦٠٠ ـ ٦٠١ بعد الميلاد . وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وكنيته أبو الحسن وصهر رسول الله على ابنته فاطمة وأبو السبطين . وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين . والخليفة الرابع وأول خليفة من بني هاشم وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم . وقال ابن اسحق انه كان يومئذ ابن عشر سنين وكان في كفالة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه لأن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وضمه اليه وأخذ العباس جعفراً وضمه اليه تخفيفاً عن أبي طالب ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

وسبب إسلامه أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سواء . فقال : ما هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والكفر باللات والعزى . فقال علي رضي الله عنه : هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي سره قبل أن يستعلن أمره . فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا . فمكث عليٌّ ليلته ثم ان الله تعالى هداه الى الاسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه[1] . وكان عليّ رضي الله عنه يخفي إسلامه خوفاً من أبيه الى أن اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ . أما أبو طالب فلم يرض أن يفارق دين آبائه

---

(١) لم يكن علي رضي الله عنه حين أسلم يبلغ الحلم وكان يومئذ ابن عشر سنين وعلى ذلك لم يعبد الاصنام وقيل كان عمره ثمان سنين

وعن أنس بن مالك قال: بُعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلم علىّ يوم الثلاثاء. وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضطجع على فراشه ليلة خرج مهاجراً وقال: ان قريشاً لم يفقدونى ما رأوك فاضطجع على فراشه وسيأتى ذكر ذلك عند الكلام على الهجرة، ثم لحق برسول الله بالمدينة بعد قضاء ديون رسول الله ورد الودائع التى كانت عنده فلما وصل اليها كانت قدماه قد ورمتا من المشى وكانتا تقطران دما فاعتنقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما أصاب قدميه وتفل فى يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضى الله عنه. وشهد بدراً وغيرها من المشاهد ولم يشهد غزوة تبوك لا غير لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله. وأصابته يوم أحد ست عشرة ضربة. وكان على رضى الله عنه مع شجاعته الفائقة عالما. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وعنه أنه قال: اذا ثبت لنا الشىء عن على لم نعدل عنه الى غيره.

واستخلف على رضى الله عنه وبويع بالمدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان وذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين (٢٤ يونيه ٦٥٦)

قتله رضى الله عنه

انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادى وهو من حمير وعداده فى بنى مراد وهو حليف بنى جبلة من كندة والبرك بن عبد الله التميمى وعمرو بن بكير التميمى فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علىّ بن أبى طالب ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم. فقال بن ملجم أنا لكم بعلىّ وقال البرك أنا لكم بمعاويه وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا عليه وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذى سمى له ويتوجه له حتى يقتله أو يموت دونه. فحددوا ليلة سبع عشرة من رمضان ثم توجه كل رجل منهم الى المصر الذى فيه صاحبه. فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم مايريد وكان يزورهم ويزورونه فزار يوماً نفراً من بنى تيم الرباب

فرأى امرأة منهم يقال لها قطام بنت سخبة بن عدى بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد ابن ذهل بن تيم الرباب وكان على" قتل أباها وأخاها بالنهروان فأعجبته فخطبها. فقالت لا أتزوجك حتى تسنى لى . فقال لا تسأليني شيئاً الا أعطيتك . فقالت : ثلاثة آلاف وقتل على بن أبى طالب . فقال : والله ما جاء بى الى هذا المصر الا قتل على وقد أعطيتك ما سألت . ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعى فأعلمه ما يريد ودعاه أن يكون معه فأجابه الى ذلك وظل ابن ملجم تلك الليلة التى عزم فيها أن يقتل علياً فى صبيحتها يناجى الأشعث بن قيس الكندى فى مسجده حتى طلع الفجر . فقال له الأشعث فضحك الصبح فقام ابن ملجم الكندى وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا فى مقابل السدة التى يخرج منها على . فلما خرج اعترضه الرجلان فضرب الاثنان بسيفيهما، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه وكان قد سن سيفه شهراً . وأما سيف شبيب فوقع فى الطاق فسمع على" يقول لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليهما من كل جانب . فأما شبيب فأفلت وأُخذ ابن ملجم فأدخل على على" فقال « أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فأنا ولى دمى عفو أو قصاص وان أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين » ضرب على" رضى الله عنه فى السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين (٢٤ يناير سنة ٦٦١) واستشهد بعد ذلك بثلاثة أيام ودفن بالكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر. وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وكانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر

قال على" الباقر كان على" آدم اللون مقبل العينين عظيمهما ذا بطن . أصلع . ربعة لا يخضب . وقال أبو اسحاق السبيعى رأيته أبيض الرأس واللحية وكان ربما خضب لحيته . وقال أبو رجاء العطاردى : رأيت علياً ربعة . ضخم البطن . كبير اللحية قد ملأت صدره . أصلع . شديد الصلع

هذا وقد اقتصرت فى تاريخ حياة على رضى الله عنه على هذا القدر الضرورى لأن المقام لا يسع أكثر من ذلك والله أرجو أن يوفقنى فى المستقبل الى البحث بالتفصيل عن سير هؤلاء الأبطال ومناقبهم

زيد بن حارثة

واسلامه

زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى . ويقع فى نسبه خلاف وتغيير وزيادة ونقص وهو أشهر موالى رسول الله . ويقال له حِب رسول الله وهبته خديجة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وذلك أن أباه قد وجد لفقده وجداً شديداً وكان قد أخذ فى السبى . فلما علم أبوه أنه بمكة قدمها ليفديه فدخل حارثة وأخوه كعب على النبى صلى الله عليه وسلم فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه جئناك فى ابننا عندك فامنن علينا واحسن الينا فى فدائه . فقال من هو ؟ قالا : زيد ابن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا غير ذلك ؟ قالا ما هو . قال : ادعوه وخيروه فان اختاركم فهو لكم وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحداً. قالا قد زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه رسول الله صل الله عليه وسلم . فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال نعم . هذا أبى وهذا عمى قال : فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما . قال : ما أريدهما وما أنا بالذى أختار عليك أحداً. أنت منى مكان الأب والعم . فقالا : ويحك يازيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك ؟ ! قال نعم : ورأيت من هذا الرجل شيئاً ماأنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً . فلمارأى رسول اللهصلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه الى الحجر فقال يامن حضر اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا [1]

---

(١) زيد بن حارثة من أبوين مسيحيين لكنه لم يكن يعلم شيئا عن المسيحية لانه سبي صغيرا ووهبته خديجة للنبى قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين

وهاجر زيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينـة وشهد بدرا وأحد والخندق والحديبية وخيبر . وكان هو البشير إلى المدينة بنصر المؤمنين يوم بدر وكان من الرماة المذ كورين وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن فولدت له أسامة ، وتزوج زينب بنت جحش أم المؤمنين [١] ثم طلقها ثم تزوجها رسـول الله ﷺ . وعن عائشة رضى الله تعـالى عنها قالت : « لو كان رسول الله ﷺ كاتمـاً شيئاً من الوحى لـكتم هذه الآية (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) إلى قوله تعالى (وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً) فان رسول الله ﷺ لما تزوجها ـ يعنى زينب ـ قالوا انه تزوج حليلة ابنه فأنزل الله تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَـكِنْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ) وكان زيد يقال له زيد بن محمـد فأنزل الله تعـالى : (ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ) الآية

قال العلماء ولم يذ كر الله عز وجل فى القرآن باسمه العلم من أصحاب نبينا وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم إلا زيداً فى قوله تعـالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا)

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين حمزة . وأرسله رسول الله أخيراً أميراً على الجيش فى غزوة مؤتة فقاتل فيها حتى قتل وذلك فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة . وكان زيد أبيض أحمر وكان ابنه أسامة آدم شديد الأدمة

---

(١) وهى ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدعوة الى الاسلام خفية

بعد أن نزلت سورة « ياأيها المدثر » أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الله تعالى وتتابع الوحى . ونزول هذه السورة ابتداء رسالته صلى الله عليه وسلم فهى متأخرة عن نبوته . وصار عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى الاسلام خفية ثلاث سنين لعدم الأمر بالاظهار الى أن أُمر باظهار الدعوة . وكان من أسلم اذا أراد الصلاة ذهب الى بعض الشعاب ليستخفى بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبى وقاص وهو فى نفر من المسلمين يصلون فى بعض الشعاب فنا كروهم وعابوا عليهم مايصنعون وقاتلوهم فضرب سعد رجلاً منهم فشجه وهو أول دم أهريق فى الاسلام . فعند ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم الى أن أمره الله تعالى باظهار الدين . ودار الأرقم هى دار للأرقم بن أبى الأرقم من السابقين فى الاسلام وهى فى أصل الصفا

وقد أسلم من الصحابة بدعاء أبى بكر عثمان بن عفان . والزبير بن العوام . وعبد الرحمن بن عوف . وسعد بن أبى وقاص . وطحلة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا (١) وهنا يجب أن نذكر شيئاً عنهم لرفعة شأنهم :

١ — فعثمان بن عفان هو الخليفة الثالث . هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ويقال له ذو النورين لأنه تزوج بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم بعد وفاة رقية . ولد فى السنة السادسة بعد الفيل وقتل شهيداً يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ٨٢ سنة وكانت خلافته ثنتى عشرة سنة .

---

(١) كان كل من أبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازاً ، وكان الزبير جزاراً وسعد بن أبى وقاص يصنع النبل

وفى زمنه كانت غزوة الاسكندرية ثم سابور ثم افريقيـة ثم قبرس واصطخر الآخرة وفارس الأولى ثم خوز وفارس الآخرة ثم طبرسـتان ودارا بجرد وكرمان وسجستان ثم الأساودة فى البحر وغيرهن ثم مرو

وكان رضى الله عنه حسن الوجه رقيق البشرة كث اللحية أسمر كثير الشعر بين الطويل والقصير وكان محبباً من قريش (١)

٢ — الزبير بن العوام كان عمره حين أسلم ثمان سنين ، وهو أحد الستة أصحاب الشورى الذى جعـل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة فى أحـدهم : عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . هاجر الزبير الى الحبشة ثم الى المدينة وهو أول من سل سيفاً فى سبيل الله ، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة وحصار الطائف والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم وشهد اليرموك وفتـح مصر . وكان أسمر ربعـة معتدل اللحم خفيف اللحية . وكان الزبير يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف فلحقه جماعة من الغوغاء فقتلوه بوادى السباع بناحية البصرة وقبره هناك قتل فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وكان عمره حينئذ سبعاً وستين وقيل ستاً وستين سنة

٣ — عبد الرحمن بن عوف ولد بعد الفيل بعشر سنين قبل دخول رسول الله دار الأرقم . أحـد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين هم أهـل الشورى الذين أوصى اليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة . هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد مع رسول الله بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسـائر المشاهد . وجرح يوم أحد احـدى وعشرين جراحة وجرح فى رجله وسقطت ثنيتاه . وكان كثير الانفاق فى سبيل الله . أعتق فى يوم أحداً وثلاثين عبداً . وكان كثير المال محظوظا فى التجارة ، غنياً. وكان أبيض مشرباً بحمرة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة أعين أهدب الاشفار أقنى له جمة . ضخم الـكفين غليظ الأصابع لاتغير بشعره . توفى سـنة ثنتين وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين ودفن بالبقيع

---

(١) انظر كتاب « عثمان بن عفان » للمؤلف

٤ — سعد بن أبى وقاص — وكان عمره حين أسلم تسع عشرة سنة وهو أحد العشرة وأحد الستة أصحاب الشورى وهو أول من رمى بسهمه فى سبيل الله وأول من أراق دماً فى سبيل الله . هاجر الى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ اليها . شهد مع رسول الله بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد . وكان يقال له فارس الاسلام . وأبلى يوم أحد بلاء شديدا وكان مجاب الدعوة . استعمله عمر بن الخطاب على الجيوش التى بعثها الى بلاد الفرس ، وكان أمير الجيش الذى هزم الفرس بالقادسية وبجلولاء وغنمهم وفتح مدائن كسرى وبنى الكوفة وولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه العراق . ورمى سعد يوم أحد ألف سهم . ولما قتل عثمان رضى الله عنه اعتزل سعد الفتن فلم يقاتل فى شىء من تلك الحروب . توفى سنة خمس وخمسين بقصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع وكان آدم طوالا ذا هامة

٥ — طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وسماه رسول الله ﷺ طلحة الخير وطلحة الجود وهو من المهاجرين الأولين لم يشهد بدرا وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد . قتل يوم الجمل لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وكان عمره أربعا وستين سنة وقبره بالبصرة مشهور يزار ويتبرك به

هذا جزء يسير من تراجم الخمسة الذين أسلموا بدعاء أبى بكر وهم من الرجال الذين ذاع صيتهم فى الاسلام لما قاموا به من جلائل الأعمال ، وقد أسلم بعد هؤلاء أبو عبيدة الجراح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب وأسماء بنت أبى بكر وعائشة بنت أبى بكر وهى صغيرة وخباب ابن الأرتّ حليف بنى زهرة وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن مسعود ومسعود بن القارى وهو مسعود بن ربيعة وسليط بن عمرو وأخوه حاطب بن عمرو وعيّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة وامرأته أسماء بنت سلامة وخُنيس

ابن حذافة بن قيس وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عُمَيس وحاطب بن الحارث وغيرهم .

قدمنا أن عثمان بن عفان قد أسلم اجابة لدعوة أبي بكر لكن الأستاذ مرجوليت فى كتابه محمد (١) يزعم أن سبب اسلامه أنه كان يحب رقية بنت رسول الله ﷺ ويريد أن يتزوجها . فلما بلغه أنها خطبت لغيره حزن وأخبر أبا بكر بما بلغه وصادف مرور رسول الله ﷺ فأسر أبو بكر كلمات فى أذن الرسول وبذلك انتهى الأمر وأسلم عثمان وتزوج رقية ، ولم يذكر لنا مستر مرجوليث المصدر الذى استقى منه هذا الخبر حتى نناقشه والراجح أنه من ظنونه وأوهامه التى يدسها للطعن على الاسلام والمسلمين . ثم تعرض بعد ذلك إلى خالد بن سعيد وسبب اسلامه . فقد كان خالد من السابقين الى الاسلام فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً فى الاسلام . وسبب اسلامه أنه رأى فى النوم أنه وقف على شفير النار فذكر من سعتها ما الله أعلم به وكأنّ أباه يدفعه فيها ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لايقع فيها ففزع وقال : أحلف أنها لرؤيا حق ولقى أبا بكر رضى الله عنه فذكر ذلك له . فقال له أبو بكر أريد بك خير . هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فانك ستتبعه فى الاسلام الذى يحجزك من أن تقع فى النار وأبوك واقع فيها فلقى رسولَ الله ﷺ وهو بأجياد . فقال : يا محمد الى من تدعو ؟ قال : أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدرى من عبده ممن لم يعبده . قال خالد فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فسر رسول الله ﷺ باسلامه . وبعد أن ذكر مرجوليث رؤيا خالد باختصار وتعبير أبى بكر لها وان هذه الرؤيا كانت سبب اسلام خالد بن سعيد تساءل هل الناس حقيقة يحلمون هكذا ؟ لكنه قال « ان فلاماريون وميرز (Flammarion and Myers) يجيبان نعم انهم يرون مثل ذلك » وهما من العلماء المشهورين . والمدهش أن الأستاذ مرجوليث لايعلم أن الناس يرون أحلاماً هكذا مع اقرار علماء النفس فى أوربا وأمريكا بذلك والأحلام على العموم شائعة بين الناس . وليست رؤيا خالد من الأحلام المستغربة حتى يشك فيها مثل مرجوليث . أما اذا كان الشك لغرض فهذا أمر آخر

(1) Mohammed by D. S. Margliouth , 3 rd. edition, Page 97

ايذاء المشركين

لأبى بكر الصديق

عبادة الأصنام مع انها واضحة البطلان فان العرب كانوا متمسكين بهـا تمسكا شديداً لرسوخها فى نفوسهم منـذ زمن طويل فلا يطيقون سماع من يعيبها أو يطعن فيها بل لايقبلون ارشاد ناصح يخاطبهم بالحسنى ويناقشهم بالعقل والبرهان . فاذا قيل لهم كيف تعبدون الحجارة التى لا تنفع ولا تضر ، ولا تبصر ولا تسمع ، ولا تعـلم من يعبدها ، ومن لايعبدها، ثارت ثائرتهم. وقالوا : هذا ماوجدنا عليه آباءنا واعتدوا على أعز الناس لديهم وأشرفهم وأعقلهم وأسهلهم أخلاقاً . فلم يكن من الحـكمة وأصالة الرأى أن يجهر النبى ﷺ وأصحابه القليلون بالاسلام ويؤدوا شعائرهم الدينية أمام أمة بأسرها متعصبة لدينها الوثنى تعصباً أعمى

وقد أدرك بعض أفراد بعقلهم الثاقب أن قومهم فى خطأ مبين فمنهم من مات وهو منكر لعبادة الأصنام قبل الاسـلام . ومنهم من آمن برسول الله عنـد ما بلغه رسالته كسلمان الفارسى أو عند مادعاه رسول الله الى اتباع الدين القويم كأبى بكر ومن أسلم بدعائه وغيرهم ولم يبالوا بمـا يصيبهم من سخط قومهم وايذائهم مع ما يعلمونه من قلة عدد المؤمنين فى بادىء الأمر

فمما وقع لأبى بكر رضى الله عنه من الأذية ما ذكره بعضهم كما فى السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سراً ألح أبو بكر رضى الله عنه فى الظهور (١) فقال له النبى ﷺ ياأبا بكر انا قليل . فلم يزل

---

(١) هذا دليل على أن أبا بكر لم يكن ضعيفاً لأنه لو كان كذلك لما ألح فى الظهور وهو يعلم عداء قريش للمسلمين ودليل على قوة ايمانه بصدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم

به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ودعا الى رسول الله. فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبى بكر رضى الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر بالأرجل وضرب ضرباً شديدا . وصار عتبة بن ربيعة [1] يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه . فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر إلى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته . ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة . ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار . ثم تكلم وقال : مافعل رسول الله ﷺ فعذلوه فصار يكرر ذلك . فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبى الى أم جميل فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها أن تسأل عن محمد بن عبد الله . فقالت لا أعرف محمداً ولا أبا بكر . ثم قالت تريدين أن أخرج معك ؟ قالت نعم . فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعاً فصاحت وقالت : ان قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق . وانى لأرجو أن ينتقم الله منهم . فقال لها أبو بكر رضى الله عنه : ما فعل رسول الله ﷺ . فقالت له هذه أمك تسمع . قال فلا عين عليك منها أى انها لاتفشى سرك . قالت سالم هو فى دار الأرقم . فقال والله لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله ﷺ . قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علىّ حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك. فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله مابى من بأس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها الى الاسلام فأسلمت .

---

(١) عتبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر كافراً

لاشك أن المسلمين فى ذلك الوقت كانوا فى خطر شديد . فقد كان لايهدأ للمشركين بال الا اذا أساءوا اليهم ولذلك كان الاستخفاء فى غاية الحكمة وبقى المسلمون مستخفين فى دار الأرقم حتى كملوا أربعين رجلا ، وكان آخرهم اسلاماً عمر بن الخطاب . فلما كملوا به أربعين خرجوا وأظهروا اسلامهم .

تلك شجاعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقوة ايمانه وصدق يقينه . لقد وقف أمام المشركين وجهاً لوجه ولم يبال بكثرتهم وعرض حياته الغالية للخطر ليدعوهم الى الحق ، الى عبادة الله الواحد القهار ونبذ الشرك وخلع الوثنية فأصيب بشر ما يصاب به انسان وكاد يقضى عليه . فلما أفاق كان أول ما تلفظ به السؤال عن رسول الله . ولم ترتح نفسه وتطمئن حتى رآه بعينيه سالما معافى . فأين هذا من الذين يخالفون عقائدهم ويميلون مع الأهواء وينضمون الى من يأنسون فيه القوة ويمينون على الباطل لمتاع موقت لايلبث أن يزول ؟

لو كان المسلمون فى بادىء أمرهم متهاونين مذبذبين لما ثبتت دعائم الاسلام وصار قوى الأركان ، متين البنيان . بل لقبر فى مهده ، لكنه ارتفع على كواهل رجال أقوياء صادقين أدهشوا العالم بأعمالهم وجهادهم حتى خضعت لهم أمم الأرض ! فبمثل عمل هؤلاء فليهتد المصلحون

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY OF BEIRUT

اظهار الاسلام

أمر الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ أن يصدع بما جاءه منه وأن يدعو الناس اليه ويأمرهم به . وكان بين اخفاء رسول الله ﷺ أمره واستتاره به وبين أمر الله تعالى إياه باظهار دينه ثلاث سنين من بعثه ثم قال الله تعالى له ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١) ﴾ أى لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لومهم إياك على إظهار الدعوة . وقال تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ . فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا (٣) . فقال : يامعشر قريش . فقالت قريش محمد على الصفا يهتف . فأقبلوا واجتمعوا . فقالوا مالك يا محمد ؟ قال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أ كنتم تصدقونى ؟ قالوا نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط . قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . يابنى عبد المطلب . يابنى عبد مناف . يابنى زهرة ـ حتى عدد الأفخاذ من قريش ـ إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله . فقال أبو لهب « تبالك » سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ السورة كلها . فلما سمع أبو لهب قوله ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ قال ان كان ما يقول محمد حقاً افتديت منه بمالى وولدى فنزل ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وكان أبو لهب اذا سأله وفد عن النبي ﷺ قال انه ساحر ومجنون لينصرفوا عنه قبل لقائه . وقد أغضبت هذه السورة أبا لهب فأظهر شدة العداوة وصار متهماً فلم يقبل قوله فى رسول الله ﷺ فكأنه خاب سعيه وبطل غرضه . وروى عن طارق المحاربى أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى السوق يقول أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا

(١) سورة الحجر (٢) سورة الشعراء (٣) مكان مرتفع من جبل أبى قبيس بمكة

ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد أدمى عقبيه . وقال لاتطيعوه فانه كذاب . فقلت من هذا ؟ قال محمد وعمه أبو لهب . أما امرأته فهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب عمة معاوية فكانت أيضاً فى غاية العداوة لرسول الله ﷺ وترمى الشوك فى طريقه

وعن الزهرى أنه قال : دعا رسول الله ﷺ الى الاسلام سراً وجهراً فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول . فكان إذا مرّ عليهم فى مجالسهم يشيرون إليه أنه غلام بنى عبد المطلب ليكلم من السماء فكان ذلك حتى عاب آلهتهم التى يعبدونها وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنفوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادوه

وعن ابن عتبة أنه قال . لما أظهر رسول الله ﷺ الاسلام ومن معه وفشا أمره بمكة ودعا بعضهم بعضاً فكان أبو بكر يدعو ناحية سراً وكان سعيد بن زيد مثل ذلك وكان عثمان مثل ذلك وكان عمر وحمزة بن عبد المطلب وأبو عبيدة بن الجراح يدعون علانية، فغضبت قريش من ذلك وظهر منهم لرسول الله ﷺ الحسد والبغى وأشخص به منهم رجال فبادوه وتستر آخرون وهم على ذلك الرأى إلا أنهم ينزهون أنفسهم عن القيام والاشخاص برسول الله ﷺ . وكان أهل العداوة والمباداة لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل: أبو جهل بن هشام وأبو لهب بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس بن عدى وهو ابن الغليطة والوليد بن المغيرة وأبىّ بن خلف وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والعاص بن وائل والنضر ابن الحارث ومنبه بن الحجاج وزهير بن أبى أمية والسائب بن صيفى بن عابد والأسود ابن عبد الأسد والعاص بن سعيد بن العاص والعاص بن هاشم وعقبة بن أبى مُعَيط وأبو الأصدى الهُذلى والحكم بن أبى العاص وعدى بن الحمراء . وذلك انهم كانوا جيرانه والذين كانت تنتهى عداوة رسول الله إليهم أبوجهل وأبو لهب وعقبة بن أبى معيط . وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب أهل عداوة ولكنهم

لم يشخصوا بالنبى ﷺ نحو قريش ولم يسلم منهم أحد إلا أبو سفيان (١)

أول من جهر بالقرآن

عبد الله بن مسعود

كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود . اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ : فقالوا : والله ماسمعت قريش هذ القرآن يجهر لها به قط . فمن رجل يسمعهم ؟فقال عبد الله بن مسعود (٢) . أنا. فقالوا انا نخشاهم عليه انما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم ان أرادوه . فقال دعونى : فان الله سيمنعنى فغدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام . فقال رافعاًصوته (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) . فاستقبلها فقرأ بها فتأملوا . فجعلوا يقولون: مايقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه . فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء الله قط أهون علىّ منهم الآن ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً . قالوا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

وقيل ان أبا جهل لطمه فشق أذنه وأدماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى عليه السلام رق قلبه وأطرق رأسه مغموماً . فاذا جبريل عليه السلام يجىء ضاحكاً مستبشراً فقال ياجبريل تضحك وابن مسعود يبكى ؟ فقال : ستعلم ،فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد فقال عليه السلام : خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين . فأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه (٣)

---

(١) راجع طبقات ابن سعد (٢) كان عبد الله بن مسعود قصيراً جداً طوله نحو ذراع خفيف اللحم دقيق الرجلين . يقال ان عبد الله سادس من أسلم . وقد هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله (٣) تفسير الفخر الرازى جزء ٦ ص ٥٨٥

القرآن

يحير ألباب العرب

تحيرت ألبـاب العرب فى القرآن الذى نزل بلغتهم وهم أهل فصاحة وبلاغة . وخشيت قريش أن ينتشر الاسلام وينتصر النبى ﷺ بدينه على الأصنام . فاتفقوا على اطلاق اسم على رسول الله ﷺ ينفر القبائل منه ، ويشوه سمعته ، ويكون عقبة فى سبيل نشر دعوته . ذلك أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفرمن قريش وكان ذا سن فيهم . وقد حضر الموسمُ فقال لهم : يامعشر قريش انه قد حضر هـذا الموسمُ . وان وفود العرب ستقدم عليـكم فيه . وقد سمعوا بأمرصاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيـكذب بعضـكم بعضاً ، ويُرد قولـكم بعضه بعضاً . فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به . قال : بل أنتم قولوا أسمع . قالوا نقول كاهناً قال والله ما هو بكاهن : لقد رأينا الـكهان فمـا هو بزمزمة الـكاهن ولا سجعه[(١)] قالوا فنقول مجنون . قال ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنقه ولا تخالجه ولاوسوسته[(٢)] . قالوا فنقول شاعر . قال : ما هوبشاعر ، لقد عرفنا الشعركله رَجَزَه ، وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ، ومبسوطه[(٣)] فمـا هو بالشعر . قالوا فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السّحار وسحرهم فما هو بنفْثه ولا عقده[(٤)] . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعَذْق[(٥)] وان فرعه لجَنَاةٌ[(٦)] وما أنتم بقائلين من هـذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وان أقرب القول لأن

(١) الزمزمة كلام خفى لا يفهم . والسجع أن يكون الـكلام المنثور له نهايات كنهايات الشعر (٢) بخنقه . يريد الاختناق الذى يصيب المجنون .والتخالج اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير ارادة والوسوسة مايلقيه الشيطان فى نفس الانسان (٣) هذه كلها أنواع من الشعر (٤) اشارة الى ما كان يفعل الساحرمن أن يعقد خيطا ثم ينفث عليه . ومنه قوله تعالى : «ومن شرالنفاثات فى العقد» يعنى الساحرات (٥) العذق الـكثير الشعب والاطراف فى الارض (٦) أى فيه ثمر يجنى

تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك . فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر أحد الا حذروه إياه . لكن النتيجة جاءت عكس ذلك فقد انتشر ذكره ﷺ فى بلاد العرب

وقد كان ضماد بن ثعلبة الأزدى صديقاً للنبى ﷺ فى الجاهلية . وكان رجلاً يتطبب ويرقى ويطلب العلم . فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمداً مجنون . فجاءه وقال انى راق فهل بك من شىء فأرقيك ؟ فأجابه ﷺ بقوله : « الحمد لله نحمده ونستعينه . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له . وأشهدأن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد » فقال له ضماد أعد علىّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن النبى ﷺ ثلاثاً . فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وسمعت قول السحرة ، وسمعت قول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات . لقد بلغت ناعوس البحر [1] فمد يدك أبايعك على الاسلام فمد النبى ﷺ يده فبايعه وأسلم .

(١) هكذا جاء فى رواية مسلم « ناعوس البحر » وفى غيره « قاموس البحر » وهو الصحيح كما فى الروايات الأخرى . وقاموس البحر : وسطه ولجته . والمعنى بلغت غاية الغايات

قريش تفاوض أبا طالب

فى أمر رسول الله ﷺ

المفاوضة الاولى

لما رأت قريش أن أبا طالب قد قام دون النبي ﷺ ولم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشرافهم الى أبي طالب : عُتبة وشيبة ابنا ربيعة . وأبو البَختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونُبيه ومنبهٌ ابنا الحجاج ، وغيرهم . فقالوا يا أبا طالب : ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ،وضلل آباءنا ؛ فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه . فقال لهم أبو طالب قولاً جميلا ، وردهم رداً رقيقاً ، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ لما هو عليه . هذه هى المفاوضة الأولى ، لكنها لم تثمر شيئاً ، اذ ظل الرسول يدعو الى عبادة الله كما كان

المفاوضة الثانية

ثم لما تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ فكروا فى مفاوضة أبي طالب مرة أخرى . فمشوا اليه وقالوا : يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً وانا قد اشتهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل . وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا ، وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه . ومعنى ذلك أنهم هددوا أبا طالب فى هذه المرة وأظهروا له العداوة ، فعظم عليه فراق قومه وعداوتهم ، ولم تطب نفسه باسلام رسول الله ﷺ وخذلانه ، فبعث الى رسول ﷺ فأعلمه ما قالت قريش ، وقال له :

أبق على نفسك وعلىّ ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق . فظن رسول الله ﷺ أن عمه قد خذله وضعف عن نصرته . فقال له « ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم بكى رسول الله ﷺ وقام . فلما ولى ناداه أبو طالب فأقبل عليه وقال : (اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشئ أبداً)

المفاوضة الثالثة

أصر أبو طالب على الدفاع عن ابن أخيه قياماً بالواجب عليه نحو من تربى فى كفالته ونشأ فى بيته وعملا بالمروءة . ولكنه مع ذلك بقى على دينه ولم يعتنق الاسلام لذلك صارت مهمته شاقة ومركزه حرجاً فأمامه قريش متعصبة لدينها وقد أغضبها قيام محمد ﷺ بنشر الاسلام ومحاربة الأصنام . وصاحب الدعوة لا يثنيه عن القيام بما أمر به سخرية ساخر أو اضطهاد مضطهد ، فلو أن أبا طالب أسلم لكان دفاعه أعظم وحجته أبلغ أمام العرب وأحكم

وفى هذه المرة مشوا الى أبى طالب بعمارة بن الوليد . فقالوا يا أبا طالب : هذا عمارة ابن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم فخذه فلك عقله ونصرته فاتخذه ولداً وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى سفه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك نقتله فانما رجل برجل . فقال والله لبئس ما تسوموننى ! أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله لا يكون أبداً . فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : لقد أنصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم . فقال والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك . وكل عاقل يرى أن ما عرضته قريش على أبى طالب فى غاية السخف لكنهم كانوا يتلمسون الحيل للخلاص من صاحب الدعوة ﷺ بأى حال ، فلما يئسوا من إجابة طلبهم اشتدت قريش على من أسلم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم . وقام أبو طالب فى بنى هاشم فدعاهم الى منع رسول الله ﷺ فأجابوا الى ذلك واجتمعوا اليه

تعذيب المسلمين

أخذت قريش تؤذى النبي ﷺ وتؤذى من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين عذاباً شديدا يدل على مقدار تعصبهم وقسوتهم .

فمن الذين عذبوا لأجل إسلامهم بلال بن رَباح الحبشي مولى أبى بكر . وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضاً وهو من مولدى السراة وكنيته أبو عبدالله فصار بلال لأمية بن خلف الُجمحى فكان اذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه فى الرمضاء على وجهه وظهره [1] ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فكان بلال وهو فى هذه الحال يقول: «أحد. أحد» فرآه أبو بكر يعذب، فقال لأمية بن خلف الجمحى ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ فقال أنت أفسدته فأبعدته. فقال : عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به قال : قبلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه . وقيل اشتراه أبو بكر بخمس أواق . أما أمية بن خلف فقتله بلال ، واشترك مع معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف . قال ابن إسحاق : أما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وذلك فى موقعة بدر

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسيّ وهو بطن من مُراد . وعنس هذا أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديماً ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً . أسلم هو وصهيب فى يوم واحد . وكان ياسر حليفاً لبنى مخزوم فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأمه الى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء فمرّ بهم النبي ﷺ . فقال : « صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة » فمات ياسر فى العذاب وأغلظت امرأته سمية القول لأبى جهل فطعنها فى فرجها بحربة فماتت. وهى أول شهيد فى الاسلام وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر فى شدة الحر على صدره

(١) ويكفي ذلك تعذيباً لشدة حر مكة فى فصل الصيف

تارة أخرى. فقالوا لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول فى اللات والعزى خيراً. ففعل فتركوه. فأتى النبى ﷺ يبكى فقال: ماوراءك؟ فقال: شر يارسول الله كان الأمر كذا وكذا فقال: فكيف تجد قلبك؟ قال أجده مطمئناً بالايمان فقال يا عمار ان عادوا فعد. فأنزل الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾

ومنهم خبَّاب بن الأرت وكان إسلامه قديماً. قيل سادس ستة قبل دخول رسول الله دار الأرقم فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديدا فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف وهى الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبهم الى شىء مما أرادوا وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين

ومنهم صُهيب بن سنان الرومى كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا يحيى قبل أن يولد له. وكان ممن يعذب فى الله، فعذب عذاباً شديداً فلما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله أجمع وجعله عمر بن الخطاب عند موته يصلى بالناس الى أن يستخلف بعض أهل الشورى

ومنهم عامر بن فهيرة مولى الطفيل بن عبد الله. وكان الطفيل أخا عائشة لأمها أم رومان أسلم قديماً قبل دخول رسول الله دار الأرقم وكان من المستضعفين يعذب فى الله فلم يرجع عن دينه واشتراه أبو بكر وأعتقه. ولما خرج رسول الله وأبو بكر الى الغار مهاجرين أمر أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة أن يروح بغنم أبى بكر عليهما وكان يرعاها وهاجر معهما الى المدينة يخدمهما. وشهد عامر بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة

ومنهم لبيبة جارية بنى مؤمل بن حبيب بن كعب اسلمت قبل اسلام عمر بن الخطاب وكان يعذبها حتى تفتن ثم يدعها ويقول انى لم أدعك إلا سآمة فتقول كذلك يفعل الله بك ان لم تسلم فاشتراها أبو بكر فأعتقها

هذه أمثلة ذكرتها ليتضح للقارئ اشتداد العذاب على هؤلاء المساكين رجالا ونساء.

ومما أصاب النبي ﷺ من الايذاء ماقاله ابن عمر وكما فى البخارى : بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة اذا أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ .وفى رواية ثم قال : أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله !

وفى رواية البخارى كان رسول الله ﷺ يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم اذ قال قائل منهم ألا تنظرون الى هذا المرائى ؟ أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه . فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجداً فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق إلى فاطمة فأقبلت تسعى وثبت النبى ﷺ ساجداً حتى ألقته عليهم تسبهم. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال اللهم عليك بعمرو بن هاشم وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد . وقد سقطوا جميعهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى قليب بدر أما عقبة بن أبى معيط فكان من أسرى بدر وأمر رسول الله بقتله

ما عرضته قريش

على رسول الله ﷺ

قال عتبة بن ربيعة يوماً وهو جالس فى نادى قريش والنبى عليه الصلاة والسلام جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون . فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه . فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله فقال يا بن أخى انك منا حيث قد علمت من السّطة فى العشيرة (١) والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد أسمع . قال يابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وان كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه، حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله يسمتع منه قال: أقد فرغت ياأبا الوليد ؟ قال نعم. قال فاسمع منى . قال افعل . قال :

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . حم تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

---

(١) من السطة مثل العدة والعظة من الوعد والوعظ والوسط بمعنى الخيار ؟ قال تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطاً

ثم مضى رسول الله فيها يقرأها عليه فلما سمعها عتبة منه أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد . ثم قال . قد سمعت ياأبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك

فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك ياأبا الوليد ؟ قال ورائى انى قد سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط . والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم فان تصبه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكهُ ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال هذا رأيى فيه فاصنعوا مابدا لكم [١]

لقد ظن أبو اليد فى بادئ الأمر أن النبى ﷺ يقبل ما يعرضه عليه من مال وجاه وملك فأظهر له استعداد قريش لمنحه كل ما يبغى على أن لا يتعرض لدينهم ولا يدعوهم الى ترك عبادة الاصنام. ظن ذلك لأن الانسان ولا سيما الفقير المحتاج يطمع فى المال وتغره أبهة الملك فيتشبث بهما ويسعى اليهما ما وجد للسعى سبيلا ولو كان أبو الوليد عرض ذلك كله أو بعضه على غير النبى ﷺ لاغتبط به واتفق مع قريش فى الحال وأراح نفسه وأصحابه من العناء والايذاء والتعذيب والتهديد بالقتل فى كل وقت.ولكن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن طامحاً الى شيء من ذلك أصلا ولم يكن فى وسعه أن يتنحى عن الدعوة الى الاسلام مهما حاولت قريش صرفه عنها . ألا ترى انه قال لعمه أبى طالب « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » - وما ذلك الا لأن الله سبحانه وتعالى قد أمره بنشر الدعوة حيث قال (يَٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ) وقال عز شأنه (وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ) أى اصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين . فكيف بعد هذا الأمر

---

(١) راجع سيرة ابن هشام

الالهى تخور عزيمته وتفتر قوته ولا يصبر على كل ما يصيبه من الايذاء ؟ بل كيف يغتر بحطام الدنيا وينخدع لما تعرضه عليه قريش من ملك وجاه ومال ؟

ولما رأت قريش أن رسول الله قد رفض ما عرضوه عليه قالوا له يا محمد ان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك ، فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول. فقال ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم . قالوا فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك مَلكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله ما أنا بفاعل وما أنا بالذى يسأل ربه هذا . وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم . قالوا فأسقط السماء علينا كِسفاً كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا أن تفعل. فقال رسول الله ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل. قالوا يا محمد فما علم ربك انا سنجلس معك و نسألك عما سألناك عنه و نطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ماهو صانع فى ذلك بنا اذ لم نقبل منك ما جئتنا به ، انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد اعتذرنا اليك يا محمد ، وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا . وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم

لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك لرسول الله قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، ثم قال له فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول . وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت انى أصدقك. ثم انصرف رسول الله الى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه (١)

ان هذه المطالب التى طلبتها قريش من النبى صلى الله عليه وسلم مطالب مدهشة تدل على شدة تعنتهم وعنادهم وعلى انهم لا يريدون أن يؤمنوا الا اذا شاهدوا المستحيلات ورأوا خوارق العادات ولذلك سألوا رسول الله أشياء عجيبة لا تخطر على البال بقصد تعجيزه والتشهير به فسألوه أن يغير الطبيعة فيسير الجبال ويفجر الأنهار ويحيي الموتى وأن يجعل الله له الجنان والقصور ويعطيه الكنوز. فهذه مطالب عبّاد المادة عباد الأصنام. ثم ما أسخف ما سأله عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة الذى طلب أن يتخذ النبى عليه الصلاة والسلام سلماً الى السماء ويأتى بصك وأربعة ملائكة يشهدون معه على صحة ما يقول. ولماذا كل هذا ؟ ليؤمن عبد الله بن أبى أمية! هذا وقد قاسى الأنبياء صلوات الله عليهم الصعاب فى سبيل هداية الكفار الذين كانوا يرمونهم بالضلال والسفاهة والجنون والسحر . قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فبماذا أجابوه على ذلك ؟ (قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ)

---

(١) راجع سيرة ابن هشام . وسيأتى ذكر اسلام عبد الله بن أبى أمية عند فتح مكة

ولما دعا هود عليه السلام قومه الى عبادة الله رموه بالسفاهة والكذب. قال تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)

ولما أظهر موسى عليه السلام المعجزة وألقى العصا فانقلبت ثعبانا ادعوا أنه ساحر. قال تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ . قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرٌ عَلِيمٌ) فالمتعنتون لايؤمنون مهما رأوا من الآيات البينات وخوارق العادات (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) فهل بعد ذلك مكابرة واصرار على الكفر ؟!

حماقة أبي جهل

لما عاد رسول الله آسفاً من عناد قومه وتشبثهم بالكفر قال أبو جهل : يا معشر قريش ان محمداً قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه آلهتنا ، وانى أعاهد الله لأجاسن له غداً بحجر ماأطيق حمله فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه . ومن هذا تظهر شدة عداوة أبي جهل للنبي ﷺ وهذه العداوة أخرجته عن حد العقل فأخذ يسلك سلوك الجهال ولكن الله سبحانه وتعالى أنقذ النبي من شره ونجاه من غدره

كان أبو جهل فرعون هذه الأمة اسمه عمرو بن هشام، قتل يوم بدر كافراً وكانت بدر فى السنة الثانية من الهجرة . قتله عمرو بن الجموح وابن عفراء الانصاريان وكانا حدثين وحديثهما فى الصحيح مشهور . وفى كتب السنن ان رسول الله ﷺ حين رآه مقتولا قال (قتل فرعون هذه الأمة) وقد كان سيء الخلق فظاً غليظ القلب فمن

ذلك انه ظلم تاجراً قدم من زبيد بثلاثة أجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها ثم لم يسمها لأجله سائم فأكسد عليه سلعته ولم ينصفه غير رسول الله لأنه ساومه حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله فباع جملين بالثمن وأفضل بعيراً باعه وأعطى أرامل بنى عبد المطلب ثمنه . وكان وصياً على يتيم فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه ورد اليه ماله منه

وابتاع من شخص يقال له الأراشى أجمالا بأثمانها فلما استعان الرجل برسول الله وذكر له أنه غريب وابن سبيل وان أبا جهل غلبه على حقه قام معه الى أبى جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا ؟ قال محمد فخرج اليه وقد امتقع لونه . فقال أعط هذا الرجل حقه فامتلأ رعباً وأعطى الرجل حقه . هذا هو أبو جهل وهذا شيء من غلظته وجوره وهضمه للحقوق

وفى كتاب قاموس الاسلام الطبعة الثانية سنة ١٨٩٦ ص ٨ « ان أبا جهل كان فخوراً فاجراً » Dicti onary of Islam. 2nd edition. (1896) page8.

قريش تمتحن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم تكتف قريش بهذا كله بل أرادوا احراجه عليه الصلاة والسلام بالأسئلة فبعثوا النضر بن الحارث [١] وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالوا لهم انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل . وان لم يفعل فالرجل متقوّل فروا

(١) صحة نسبه النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بخلاف مارواه ابن اسحاق ثم ابن منده وأبو نعيم عن ابن اسحاق من أنه كلده بن علقمة . وأجمع أهل السير على أنه قتل يوم بدر كافراً . قتله على ابن أبى طالب

فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجب . وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه . وسلوه عن الروح وما هى . فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى وان لم يفعل فهو رجل متقوّل ، فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا يامعشر قريش قدجئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء فان أخبركم عنها فهو نبى وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم .

فجاءوا رسول الله فقالوا يامحمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب . وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . واخبرنا عن الروح وما هى

فقال لهم رسول الله أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثن . فانصرفوا عنه فمكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لايخبرنا بشىء مما سألناه عنه فشق على رسول الله تأخير الوحى وما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ماسألوه عنه .

قال المفسرون ان القوم لما سألوا النبى ﷺ عن المسائل الثلاثة قال عليه السلام أجيبكم عنها غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحى خمسة عشرة يوماً ثم نزل قوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) والسبب فى أنه لابد من ذكر هذا القول ـ ان شاء الله ـ هو أن الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلانى غداً لم يبعد أن يموت قبل مجىء الغد ولم يبعد أيضاً لو بقى حياً أن يعوقه عن ذلك الفعل شىء من العوائق فاذا كان لم يقل ان شاء الله صار كاذباً فى ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لايليق بالأنبياء عليهم السلام .

جاء جبريل من الله عز وجل بخبر ماسألوه عنه ، فقال تعالى فى شأن الفتية

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) إلى آخر القصة

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

وقد أيد هذه الرواية الدكتور ولفنسون الاسرائيلى مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية ودار العلوم فقال فى رسالته (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) صفحة ٩٨ ما يأتى :

« وينفى بعض المستشرقين صحة هذه القصة الخطيرة دون أن يأتوا بدليل نطمئن اليه . والحق ان من العسير انكار رواية تاريخية كانت سبباً فى نزول سورة الكهف والآيات الخاصة بالروح وذى القرنين . وعندنا دليل يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون واقعية (١) وهى أن فى التلمود قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف ومن هذه القصة أخذ أحبار اليهود الأسئلة التى وجهوها للرسول بواسطة وفد قريش . ويؤيد هذه القصة ما ذهبنا اليه من أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود إذ لو وجد منهم فى مكة ما أوفد قريش وفدهم الى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبى صلى الله عليه وسلم واذا وجد منهم أحد فلابد أن يكون غير عالم »

---

(١) قوله من المحتمل أن تكون واقعية — تعبير ضعيف لأنه يرد على المستشرقين الذين أنكروا هذه الرواية بلا بينة ويثبتها بأن لها شبها فى التلمود فكان الأجدر به أن يقول « انها واقعية» ولابد أن نذكر أن الأستاذ مرجوليث أنكر صدور هذه الأسئلة من اليهود وعدا ذلك فقد أخطأ وقال « الاسكندر الأكبر » بدلا من ذى القرنين وفرق بين الاثنين فالأول رومى والثانى يمنى كما أثبت ذلك المقريزى وغيره . واسم ذى القرنين الصعب بن ذى مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذى سدد

وأنزل الله عليه ﷺ فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَى بَلْ لِلّٰهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ أى لا أصنع من ذلك الا ماشئت

وأنزل عيله فى قولهم خذ لنفسك ماسألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه ﴿ وَقَالُوا مَا لِهٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا . تَبَارَكَ ٱلَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ ﴾ أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴾

وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّٰهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ . قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

وأنزل عليه فى قولهم أنا قد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا ﴿ كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وماهم به ﴿ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى ٱلْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

وأنزل الله عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم . ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

اسلام جابر بن عبدالله

بحث الأستاذ مرجوليث وأجهد نفسه فى البحث على ما يظهر فى كتابه (محمد) صفحة ١٠٦ عن الأساتذة الذين كانوا يعلمون رسول الله الكتب المقدسة فقال ما ترجمته :

« كان جابر بن عبد الله مولى بنى عبد الدار يهودياً صائغاً فى مكة فكان يجلس هو وياسر - يهودى آخر - يقرآن الكتاب المقدس أثناء اشتغالهما بالتجارة وكان النبي يمر عليهما ويستمع منهما » ومعنى ذلك حسب رأيه أنه كوّن أفكاره الخاصة بالتوراة من سماع جابر بن عبد الله وهو يتلو عليه لكنه قال بعدئذ « ان جابراً اعتنق الاسلام عند سماعه النبى يقرأ سورة يوسف » فاذا كان جابر اليهودى قد أسلم عند سماعه قصة يوسف وهى فى التوراة التى كان يتلوها على النبى كما ادعى فلا بد أن القصة مذكورة فى القرآن بغاية الدقة والاحكام والتفصيل المدهش حتى انها حيرت لب جابر الذى ذكره مرجوليث كمعلم لرسول الله ، على أن الأستاذ مرجوليث اعترف باسلام جابر لأنه مذكور فى كتب السير وانا نعد اسلامه دليلا على إعجاز القرآن الكريم وعلى أنه منزل على رسول الله . أما ياسر فقد أسلم أيضاً وعذّب لاسلامه عذاباً شديداً حتى مات .

وقال الأستاذ مرجوليث « ويُظن أن الجزء الخاص بالمسيحية فى القرآن قد تعلمه النبي من صهيب الذى أسلم قديماً وقد كان رومياً من الموصل » وانا نقول ان اسلام هؤلاء دليل على رسالة رسول الله وصدقه وقد أسلم صهيب ورسول الله فى دار الأرقم وكان من المستضعفين بمكة المعذّبين فى الله عز وجل وهاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله . هذا وقد ذكرنا أن الأستاذ نولدكه اعترف بأن رسول الله ما كان يعرف الأسفار القديمة

وما قاله مرجوليث قاله كفار قريش . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ قال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر ابن الحارث فهو الذى قال هذا القول وأعانه عليه قوم آخرون ، يعنى عدّاساً مولى حويطب بن عبد العزى ويسارا غلام عامر بن الحضرمى وجبراً مولى عامر وهؤلاء الثلاثة كانوا من أهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدثون أحاديث منها فلما أسلموا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعهدهم ومن أجل ذلك قال النضر ما قال

الهجرة الأولى الى الحبشة

شهر رجب السنة الخامسة من المبعث (سنة ٦١٥ م)

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل ودفاع أبى طالب عنه وأنه لا يقدر أن يمنعهم ، قال : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان فيها ملكا لا يُظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه »

وكان اسم النجاشي وقتئذ أصحمة بن أبجر ،ومعنى أصحمة بالعربية عطية . والنجاشي اسم لكل ملك يلى الحبشة . فخرجوا متسللين سراً وذلك فى شهر رجب سنة خمس من بعد النبوة (سنة ٦١٥ م)

وكانوا اثنى عشر رجلا وأربع نسوة حتى انتهوا الى الشُّعيبة[1] ، فمنهم الراكب والماشي وأوقف الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيها الى أرض الحبشة وخرجت قريش فى اثرهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .

قالوا قدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه

كان عدد المهاجرين قليلا ولكن كان لهجرتهم هذه شأن عظيم فى تاريخ الاسلام فانها كانت برهاناً ساطعاً لأهل مكة على مبلغ إخلاص المسلمين وتفانيهم فى احتمال ما يصيبهم من المشقات والخسائر فى سبيل تمسكهم بعقيدتهم . وكانت هذه الهجرة مقدمة للهجرة الثانية الى الحبشة ثم الهجرة الى المدينة . وهذه أسماء المهاجرين والمهاجرات :

عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله . أبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل ·مصعب بن عمير · الزبير بن العوام . عبد الرحمن بن عوف · أبو سلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة . عثمان بن مظعون . عبد الله بن مسعود · عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى هيثمة · أبو سبرة · حاطب بن عمرو · سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب

---

(١) مرفأ مكة قبل جدة

شفاعة الغرانيق (1)

افتراء الزنادقة على رسول الله ﷺ

روى بعض المؤرخين ونقل عنهم المفسرون أن رسول الله ﷺ لما رأى من قومه كفاً عنه ، جلس خاليا وتمنى فقال ليته لاينزل علىّ شيء ينفرهم عنى وقارب رسول الله ﷺ قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوماً مجلساً فى ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » فتكلم رسول الله ﷺ بها ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعاً ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيراً لا يقدر على السجود ، ويقال ان أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ ترابا ورفعه الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيراً . فبعض الناس يقول انما الذى رفع التراب الوليد وبعضهم يقول أبو أحيحة ، وبعضهم يقول كلاهما فعل ذلك فرضوا بما تكلم به رسول لله وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق . ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده . وأما إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك . فكبر ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم حتى جلس فى البيت ، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة ، فقال جبريل جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله ﷺ قلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا) الى قوله (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)

---

(1) الغرانيق فى الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى به لبياضه وقيل هو الكركى . والغرنوق أيضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترفع

نقل هذه الرواية ابن سعد فى طبقاته عن عبد الله بن حنطب . وقد قال الترمذى ان عبد الله بن حنطب لم يدرك النبى ﷺ أخرجه الثلاثة [١] أما الآية التى قيل انها نزلت بسبب ان رسول الله ﷺ قد قال على الله مالم يقل بذكره شفاعة الغرانيق وهى (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) الآية فلم تنزل بهذه المناسبة . فقد قال ابن عباس فى رواية عطاء نزلت هذه الآية فى وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فسألوه شططا وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرّمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى رسول الله ﷺ ولم يجبهم فكرروا ذلك الالتماس وقالوا انا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فان كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله ﷺ قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية [٢]

وروى صاحب الكشاف انهم جاءوا بكتابهم فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى ثقيف لايعشرون ولا يحشرون ولايجبون ، فسكت رسول الله ﷺ ثم قالوا للكاتب اكتب ولايجبون والكاتب ينظر الى رسول الله ﷺ . فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه وقال : أسعرتم قلب نبينا يامعشر قريش أسعر الله قلوبكم ناراً . فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمداً . فنزلت هذه الآية . وهذه القصة انما وقعت بالمدينة فلهذا السبب قالوا ان هذه الآية مدنية

وذكر الطبرى مسألة شفاعة الغرانيق فقال : حدثنى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد المدنى عن محمد بن كعب القُرَظى . ثم سرد رواية محمد بن كعب القرظى بمايقارب رواية عبد الله بن حنطب التى نقلناها عن طبقات ابن سعد الا أنه قال فأنزل الله

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتاب أسد الغابة

(٢) تفسير الفخر الرازى

عزوجل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فأذهب الله عز وجل عن نبيه الحزن وآمنه من الذى كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم انها الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى بقول الله عز وجل حين ذكرت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى [(١)] إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) الى قوله (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده الخ

أما محمد بن كعب القُرَظِىّ — منسوب الى بنى قريظة الطائفة المعروفة من اليهود — فهو تابعى توفى سنة ثمان ومائة . جاء فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ما يأتى:

« وما تقدم نقله عن قتيبة من أنه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لاحقيقة له وانما الذى ولد فى عهده هو أبوه فقد ذكروا أنه من سبى قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت فخلوا سبيله . حكى ذلك البخارى فى ترجمة محمد . قال الفخر الرازى فى تفسيره الآية المتقدمة بعد أن ذكر قصة شفاعة الغرانيق : هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين . أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول.

أما القرآن فمن وجوه :

أحدها — قوله تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

وثانيها — قوله(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ)

وثالثها — قوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية : تلك الغرانيق العلى ، لكان قد ظهر كذب الله تعالى فى الحال . وذلك لا يقوله مسلم

---

(١) أى عوجاء

ورابعها قوله تعالى : (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِى أَوْحينا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِى عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً) وكلمة كاد معناها قرب أن يكون الأمر كذلك مع انه لم يحصل

وخامسها ـ قوله (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)

وكلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل

وسادسها ـ قوله (كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ)

وسابعها ـ قوله (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)

أما السنة فهى ماروى عن محمد بن اسحاق بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتابا

وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم . وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيها حديث الغرانيق .

وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها ـ ان من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان

وثانيها ـ انه عليه السلام ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم اليه وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلا أو فى أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم

وثالثها ـ ان معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم ؟

رابعاً - قوله ﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ﴾ وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة مايلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تبقى الشبهة معها فاذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ماليس بقرآن بالقرآن فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى

وخامسها - وهو أقوى الوجوه - إنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فانه لافرق فى العقل بين النقصان عن الوحى وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة موضوعة وكل ما فى الباب ان جمعاً من المفسرين ذكروها هنا لكنهم مابلغوا حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة

ثم ذكر الفخر الرازى تفصيلات فليراجع . وانا نعتقد أن هذه القصة باطلة ومدسوسة ومن وضع الزنادقة الذين يريدون بالاسلام سوءاً ومع هذا فليس من المعقول أن يعترف النبى صلى الله عليه وسلم بشفاعة الغرانيق وهو يدعو إلى عبادة الله تعالى ويحارب الأصنام ولو كان الشيطان له سلطان عليه صلى الله عليه وسلم بدرجة أنه يملى عليه ويحرك لسانه بالكفر لكان ألعوبة له ليس فى هذه القصة فقط بل فى غيرها أيضاً والنبى معصوم من الشيطان . قال البيضاوى فى تفسيره بعد ذكر قصة الغرانيق : (ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه) قال اسماعيل القنوى فى حاشيته وهو مردود عند المحققين ، بل يجب أن يكون مردوداً عند جميع المسلمين لما عرفته من أمارات الكذب . قوله وان صح الخ اشارة إلى منع صحته رواية لما قاله القاضى عياض فى الشفا انه لم يوجد فى شئ من الكتب المعتمدة بسند صحيح وقال انه من وضع الزنادقة . وقال القاضى عياض ان هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل انما أولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب

قال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل جزء ٤ ص ٢٣ : والحديث الذى فيه وانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فـكذب بحت لأنه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به إذ وضع الـكذب لايعجز عنه أحد

وقال البيهقى : رواة هذه القصـة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووى نقلا عنه وأما مايرويه الاخباريون والمفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله صـلى الله عليه وسلم ماجرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لايصح منـه شىء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لأن مدح إله غيرالله كفر ولايصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يقوله الشيطان على لسانه صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسلط الشيطان عليه والا لزم عدم الوثوق بالوحى . اه

فأمثال هذه القصص المدسوسة المـكذوبة على رسول الله هى التى جعلت للطاعنين فى الاسلام مجالاً للنقد وتشويه الحقائق وتقبيح المحاسن وقد حشرت فى كتبنا من غير تحقيق

وهاك دليلا آخر على كذب هذه القصة من الوجهة التاريخية وهو :

ان الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت فى رجب سنة خمس من النبوة وكانت السجدة فى رمضـان من السنة نفسها (١) أى قبل اسلام حمزة وعمر لأنهمـا أسلما فى السنة السادسة (٢)

وقد أجمـع المؤرخون على أن المسلمين قبـل اسلام عمر كانوا يستخفون فى دار الأرقم ويؤدون شعائرهم الدينية فى منازلهم ، وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقدرون أن يصلوا عند الـكعبة حتى أسلم عمر . فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الـكعبة وصلوا معه واتفقوا على تسميته «الفاروق»

فاذا كان المسلمون قبل اسلام عمر ما كانوا يستطيعون الصلاة عند الـكعبة فـكيف

(١) راجع الجزء الأول من طبقات ابن سعد طبع ليدن سنة ١٩١٧ ص ١٣٨

(٢) راجع تهذيب الأسماء للنووى طبع جوتنجن ص ٤٤٩ وراجع ابن اسحاق وكتاب موير الجزء الثانى ، وراجع قاموس الاسلام Dictionary of Islam p. 650

مع هذا يقال ان رسول الله سجد عند الكعبة وسجد معه القوم جميعاً ؟ ؟ الحقيقة ان الرواية كذب واختلاق محض

قال موير فى الجزء الثانى من حياة محمد : ان حمزة وعمر أسلما فى السنة السادسة من النبوة ، وقال ان المسلمين لم يعودوا يخفون صلاتهم فى منازلهم بل كانوا بعدئذ يجتمعون حول الكعبة ويصلون وهم آمنون مطمئنون

ان المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة عادوا الى مكة بسبب ما بلغهم من تحسن الأحوال أو أنهم سمعوا اشاعة كاذبة تطمئنهم فقدموا فى شوال سنة خمس إلا أنه لم يدخل أحد منهم الا بجوار إلا عثمان بن مظعون فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع إلى الحبشة لأن المسلمين كانوا لا يزالون يضطهدون وكان النبى ﷺ يعيب الأصنام

فكل هذه البراهين تؤيد ان قصة شفاعة الغرانيق أو أن النبى ﷺ ذكر آلهة قريش بخير ، افتراء واختلاق ولا يمكن أن يصدق هذه القصة أحد من المؤرخين المحققين وقد ذكرت فى كتاب تاريخ القرون الوسطى لجامعة كامبردج الجزء الثانى ص (٣١٠ ـ ٣١١) [١] باعتبار انها صحيحة . وانه ﷺ ندم على ما قال ونسخ ماألقى الشيطان على لسانه ، واستنتج الكاتب انه (عليه الصلاة والسلام) لم يكن يعتقد انه انما يتبع أمراً إلهياً سواء عند تلفظه بهذه الكلمات أو عند عدوله عنها . لكنه علق فى الهامش بما يأتى :

« إن كثيراً من المحققين المسلمين يعتبرون هذه القصة خرافية وهذا ما كان ينتظر منهم . لكن من المدهش ان مؤرخاً غير متحيز مثل (كايتانى) ينكرها أيضاً »

وأنا أقول لاوجه للدهشة لأن المؤرخ الذى يقدرموقفه ولا يتحيز لأحد يعترف بالحقيقة بغض النظر عن أى اعتبار آخر فاذا كان الأستاذ (كايتانى) وهو ذلك المؤرخ الايطالى الكبير الذى يصدر المؤلفات الضخمة عن تاريخ الاسلام ينكر هذه القصة فما ذلك إلا أنه لم يرد أن يثبت إلا ما وصل إليه تحقيقه فى هذه المسألة دون تحيز

---

(1) Cambridge MedievalHistory olv 2. (1913)pp.(310-311)

اسلام حمزة

حمزة بن عبد المطلب . وأمه هالة بنت وهيب . وهو عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب . وكان رضي الله عنه أسن من رسول الله بسنتين ، وهو سيد الشهداء وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة. أسلم سنة ست من النبوة وكنيته أبو عمارة

وكان سبب اسلامه أن أباجهل اعترض رسول الله ﷺ فآذاه وشتمه ونال منه مايكره من العيب لدينه والتضعيف له فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه فعمد الى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له فكان إذا رجع من قنصه لم يرجع الى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدّها شكيمة وكان يومئذ مشركا على دين قومه . فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع الى بيته قالت له يا أبا عمارة لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفاً قبيل وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . فاحتمل حمزة الغضب فخرج سريعاً لايقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت معداً لأبي جهل أن يقع به . فلما دخل المسجد نظر اليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقالوا ما نراك ياحمزة إلا قد صبأت [1] . فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لى منه ذلك . أنا أشهد

---

(١) كان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد صبأ يعنون أنه خرج من دين الى دين كما تصبأ النجوم أى تخرج من مطالعها . وكانت العرب تسمي النبي صلى الله عليه وسلم الصابئ لأنه خرج من دين قريش الى الاسلام

أنه رسول الله ﷺ وأن الذى يقول الحق فوالله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين. قال أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً وثبت حمزة على اسلامه. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولونه به ثم هاجر الى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء عظيما مشهوراً . وقاتل يوم بدر بسيفين وشهد أحداً فقتل بها يوم السبت النصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل جماعة من المشركين ودفن عند أحد فى موضعه وكان عمره تسعاً وخمسين سنة

عمر بن الخطاب

وسبب إسلامه

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى وأمه حنتمة بنت هاشم . ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة . روى عن عمر أنه قال ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين ويوافق مولده سنة ٥٨١ م . وكان مديد القامة تاجراً مشهوراً من أشراف قريش . وكانت اليه السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشاً إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، وان نافرهم منافر أوفاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافراً ومفاخراً ولما بعث رسول الله ﷺ كان شديداً عليه وعلى المسلمين . وقد ذكرنا أنه كان يعذب جارية بنى مؤمل لاسلامها فاشتراها أبو بكر وأعتقها

اسلامه رضى الله عنه

عن ابن عباس أنه قال : « أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم ان عمر أسلم فصاروا أربعين » وروى أن النبى ﷺ قال : « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » يعنى أبا جهل

وحكى عمر عن سبب إسلامه فقال :

كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش فقال أين تذهب يابن الخطاب أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال أختك قدصبأت [1] . قال فرجعت مغضباً . وقدكان رسول اللهصلى الله عليهوسلم

---

(١) أخت عمر فاطمة بنت الخطاب أسلمت قبله هى وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقد تقدم الكلام عن زيد وهو أحد الأربعة الباحثين عن دين ابراهيم قبل رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا غرابة اذا بادر سعيد الى اعتناق الاسلام فان أباه كان فى الجاهلية رفض عبادة الأصنام وبحث عن خير الأديان

يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه، وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين فجئت حتى قرعت الباب . فقيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب . وكان القوم جلوساً يقرءون فى صحيفة معهم . فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم . فقامت المرأة ففتحت لى . فقلت : ياعدوة نفسها قد بلغنى أنك صبأت . قال فأرفع شيئاً فى يدى فأضربها به فسال الدم فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت يابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت . فدخلت وأنا مغضب فجلست على السرير فنظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت . فقلت ماهذا الكتاب ؟ أعطنيه — وكان عمر كاتباً — فقالت لاأعطيك . لست من أهله . أنت لاتغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لايمسه الا المطهرون. قال لم أزل بها حتى أعطتنيه — بعد أن اغتسل — فاذافيه (بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ). فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى ثم رجعت إلىّ نفسى فاذا فيها (سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) قال فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم ترجع الىّ نفسى حتى بلغت (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) حتى بلغت الى قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بماسمعوه منى وحمدوا الله عزوجل . ثم قالوا يابن الخطاب أبشر فان رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال : اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين اما عمرو بن هشام واما عمر بن الخطاب . وانا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك فأبشر . قال فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبرونى بمكان رسول الله ﷺ . فقالوا هو فى بيت فى أسفل الصفا وصفوه . فخرجت حتى قرعت الباب . قيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب ، قال وقد عرفوا شدتى على رسول الله ﷺ ولم يعلموا باسلامى . فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب . فقال رسول الله ﷺ : افتحوا له فانه ان يرد الله به خيراً يهده . ففتحوا لى وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى ﷺ فقال أرسلوه . فأرسلونى . فجلست بين يديه . فأخذ بمجمع قميصى فجبذنى اليه . ثم قال أسلم

يابن الخطاب اللهم اهده ، قال قلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة

وكان اسلام عمر فى السنة السادسة من النبوة وكان فى السادسة والعشرين من عمره بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام . وسماه رسول الله الفاروق لأنه لما أسلم قال لرسول الله ألسنا على الحق ان متنا أو حيينا ؟ قال بلى والذى نفسى بيده انكم لعلى الحق ان متم وان حييتم . قال فقلت ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت الىّ قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها . فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق وفرق بين الحق والباطل .

قال عمر رضى الله عنه : لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أىّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أنى أسلمت . قال قلت أبو جهل ، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج الىّ أبو جهل . فقال مرحباً ماجاء بك ؟ قال جئت لأخبرك أنى آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به . فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله وقبح ماجئت به ! (١)

لاشك أن عمر رضى الله عنه قد أسلم لسماعه آى الذكر الحكيم مع أنه كان قبل اسلامه يعذب جارية بنى مؤمل لاسلامها أشد العذاب بلا رحمة ولا شفقة ولايتركها إلا إذا ملّ وكلّ ، وهذا يدل على أنه كان شديد البغض للاسلام شديد التعصب لدينه وقد تعدى على أخته وشجها ، ولم يكن أحد يتصور أن صاحب هذا الخلق الشديد الحانق على الاسلام والمسلمين والمعتدى على الرجال والنساء بالتعذيب والضرب يسلم بمجرد سماع آى القرآن . نعم لم يكن أحد يتصور ذلك لكن لما كان القرآن ليس كلام البشر بل كلام الله سبحانه وتعالى كان له تأثير عجيب فى النفوس ولابد أن سامعه يرق قلبه مهما كان قاسياً . لذلك لم يسع عمر بن الخطاب هذا العربى الصميم الا الاعتراف بأن ماسمعه هو كلام الله سبحانه وتعالى وليس فى استطاعة البشر الاتيان بمثله فصدق بما جاء به محمد ﷺ وان فى ذلك لعبرة لأولى الألباب . وعمر رضى الله عنه ثانى الخلفاء الراشدين وقد ضرب المثل الأعلى بعدله وزهده . (٢)

---

(١) أبو جهل عم عمر (٢) للمؤلف كتاب واف فى سيرته

قال على رضى الله عنه : ما علمت أحداً هاجر الا مختفياً إلا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة وقال : شاهت الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلحقنى وراء هذا الوادى فما تبعه منهم أحد

ومن مناقب عمر بن الخطاب العظيمة رضى الله عنه أن الوحى نزل على وفق قوله فى آيات كثيرة منها (١) آية أخذ الفداء عن أسارى بدر (٢) آية تحريم الخمر (٣) آية تحويل القبلة (٤) آية أمر النساء بالحجاب (٥) النهى عن القيام على قبر من مات من المنافقين

وطعن عمر رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين (يوافق سنة ٦٤٤ م) وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور

والذى طعن عمر : العلج أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو قائم من صلاة الصبح حين أحرم بالصلاة طعنه بسكين ذات طرفين فضربه فى كتفه وخاصرته وقيل ضربه ضربات فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام . والظاهر أن العلج هذا كان مجنوناً لأنه طعن مع عمر ثلاثة عشر رجلا توفى منهم سبعة وعاش الباقون ، ولما أحس أنه مقتول قتل نفسه

وكانت خلافته ـ رضى الله عنه ـ عشر سنين وخمسة أشهر وأحداً وعشرين يوماً

وثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه أول من جمع الناس لصلاة التراويح فجمعهم على أبىّ بن كعب رضى الله عنه وأجمع المسلمون فى زمنه وبعده على استحبابها . وروى عن على رضى الله عنه أنه مر على المساجد فى رمضان وفيها القناديل فقال « نوّر الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا »

الهجرة الثانية

إلى الحبشة

لما قدم أصحاب النبى ﷺ مكة من الهجرة الأولى (بسبب إسلام عمر واظهار الاسلام) اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديداً فأذن لهم رسول الله ﷺ فى الخروج الى أرض الحبشة مرة ثانية فكانت خرجتهم الآخرة أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشى من حسن جواره لهم وتخوفوا من حماية دولة أجنبية قوية للمسلمين المهاجرين . فقال عثمان يارسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة الى النجاشى ولست معنا · فقال رسول الله أنتم مهاجرون الى الله وإلىّ . لكم هاتان الهجرتان جميعاً · قال عثمان فحسبنا يارسول الله . وكان عدة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً ومن النساء احدى عشرة امرأة قرشية وسبعاً غرائب فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشى فى أحسن جوار . فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ الى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ومن النساء ثمانى نسوة فمات منهم رجلان بمكة وحبس بمكة سبعة نفر

حصار الشعب وخبر الصحيفة

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وجعل الاسلام ينتشر فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله للقتل . أعنى

أنهم اتفقوا وتعاهدوا على مقاطعتهم مقاطعة تامة انتقاماً منهم لاسلامهم ودفاعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوا بذلك صحيفة توكيداً لأنفسهم وعلقوها فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة (٦١٧ م). وكانت الصحيفة مكتوبة بخط بغيض ابن عامر بن هاشم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت يده وانحاز بنو المطلب ابن عبد مناف الى أبى طالب فى شعبه مع بنى هاشم وخرج أبو لهب الى قريش فظاهرهم على بنى هاشم وبنى المطلب وقطعوا عنهم الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب. فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقال انظروا ما أصاب بغيض بن عامر فأقاموا فى الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خديجة مالها وصاروا إلى حد الضر والفاقة. ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقى ما كان فيها من ذكر الله، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب فذكر أبو طالب لأخوته وخرجوا إلى المسجد. فقال أبو طالب لكفار قريش إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكن يكذبنى قط أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست ما كان فيها من جور أوظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها كل ما ذكر به الله فان كان ابن أخى صادقا نزعم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أواستحييتموه. قالوا قد أنصفتنا فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فاذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط فى أيديهم ونكسوا على رءوسهم. فقال أبو طالب علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل مايحرم الله منا ثم انصرفوا إلى الشعب وتلاوم رجال من قريش على ماصنعوا ببنى هاشم فيهم مطعم بن عدى وعدى بن قيس وزمعة بن الأسود وأبو البخترى بن هشام وزهير ابن أبى أمية ولبسوا السلاح ثم خرجوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا. فلما رأت قريش ذلك سقط فى أيديهم وعرفوا أن لن يسلموهم وكان خروجهم من الشعب فى السنة العاشرة

وفى سيرة ابن هشام أنهم أقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سراً مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ومعه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم؟ والله لاتبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبو البخترى وقال طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه. فأخذ له أبو البخترى لحىَ بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً مباديا بأمر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس . هذا ومن المدهش أن مرجوليث يقول ان أبا جهل كان مشهورا بالعقل والذكاء [1] ، وهل تدرى لماذا أيها القارىء ؟ لأنه كان معادياً لرسول الله لأن أعماله وصفاته التى ذكرناها لاتدل على أنه كان عاقلا ذكياً . ان النبى ﷺ كان يدعو العرب الى مافيه خيرهم وسعادتهم فى دنياهم وأخراهم . كان يدعو إلى عبادة الله الواحد وإلى نبذ عبادة الحجارة. ومعنى ذلك أنه كان يعمل على انتشالهم من الانحطاط الدينى الذى كانوا غارقين فيه ورفعهم إلى أعلى المراتب وأسمى العقائد . وعدا ذلك فقد كان عليه السلام يهذبهم ويعلمهم مكارم الأخلاق ويبث فى نفوسهم الآداب الاجتماعية العالية ، فهل يقال عن رجل اتصف بشدة عداوته لرسول الله ﷺ انه عاقل ؟ ثم إن مرجوليث يظهر حنقة على من أسلموا ولا سيما إذا كانوا من الأبطال الأشداء فيرميهم بأوصاف ذميمة منفرة !!

(١) راجع هذا الكتاب صفحة ١٦٢

الطفيل بن عمرو الدوسى

شاعر يحكّم عقله ويسلم

كانت قريش إذا سمعت بقدوم أحد من العرب يقابلونه ويحذرونه من رسول الله ويصفونه بكل نقيصة خشية أن يسلم ويعود إلى بلاده ويدعوهم إلى الاسلام . لكن الطفيل بن عمرو الدوسى لم يعبأ بتحذيرهم بل حكم عقله وتقابل مع رسول الله وسمع منه القرآن ففكر فيه وتذوقه لأنه شاعر فأسلم وهذه قصته :

هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر بن الأزد الدوسى . يلقب ذا النون

كان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفل شريفا شاعراً لبيباً . فقالوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا(١) وفرق جماعتنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبينه وبين زوجه ، وانما نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه . قال فو الله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذنى كرسفاً (٢) فرقاً أن يبلغنى من قوله وأنا أريد أن لا أسمعه . قال. فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة . قال فقمت قريباً منه فابى الله الا أن يسمعنى قوله . فسمعت كلاما حسناً ، فقلت فى نفسي واثكل أمى والله انى لرجل شاعر لبيب ما يخفى علىّ الحسن من القبيح فما عنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول ؟ ان كان الذى يأتى حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته . فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته

---

(١) قد أعضل بنا أى اشتد أمره (٢) الكرسف القطن

دخلت عليه فقلت يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا ثم ان الله أبى الا أن أسمع قولك فسمعت قولا حسناً فاعرض علىَّ أمرك . فعرض علىّ الاسلام وتلى علىّ القرآن فو الله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وقلت يارسول الله إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم وداعيهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه . فقال اللهم اجعل له آية . قال . فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر (١) وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشي أن يظنوها مثلة لفراقى دينهم فتحولت فى رأس سوطى فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيراً فقلت إليك عنى ياأبت فلست منك ولست منى . قال ولم أى بنى ؟ قلت انى أسلمت . قال أى بنى فدينى دينك . فأسلم . ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها مثل ذلك فأسلمت وقالت أيخاف علىّ من ذى الشرى - صنم لهم - فقلت لا . أناضامن لذلك . ثم دعوت دوساً فأبطأوا عن الاسلام . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت يارسول الله قد غلبنى على دوس الربا فادع الله عليهم . فقال اللهم اهد دوساً الىّ . ارجع الى قومك فادعهم ورافق بهم . قال فرجعت فلم أزل بأرض قومى دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجروا الى النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقضى بدراً وأحداً والخندق . ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو بثمانين بيتاً من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عز وجل عليه مكة فقلت يارسول الله ابعثنى الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . فخرج اليه فجعل طفيل يقول وهو يحرقه وكان من خشب :

ياذا الكَفَّيْنِ لست من عُبَّادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا

ثم رجع طفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم (٢)

---

(١) الثنية الفرجة بين الجبلين . والحاضر القوم النازلون على الماء (٢) راجع أسد الغابة والسيرة النبوية لابن هشام

وفاة أبى طالب

سنة ٦٢٠ م

كان أبو طالب بن عبد المطلب من أشد الناس دفاعاً عن رسول الله ﷺ لكن نفسه لم تطاوعه على اعتناق الاسلام وفراق دين آبائه . روى أن النبى ﷺ قال : « مازالت قريش كاعة عنى[1] حتى مات عمى » وكان النبى ﷺ يحب أن يسلم عمه لأنه هو الذى كفله وذاد عنه الى آخر لحظة من حياته

ولما اشتد مرضه قال له رسول الله ﷺ ياعم قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة (يعنى قل الشهادة) فقال له أبو طالب : ياابن أخى لو لا مخافة المسبة وأن تظن قريش انما قلتها جزعاً من الموت لقلتها فأنزل الله تعالى (إنك لاتهدى من أحببت الآية) على أن الذى منعه من الاسلام هو خوف الملام والشتم وأنه فارق دين آبائه واتبع دين ابن أخيه وقد رباه صغيراً ، فالمشهور أنه مات كافراً وكان له من الولد جعفر وعلىّ وعقيل وطالب وأم هانئ واسمها فاختة وجمانة وكلهم أعقب إلا طالباً وكان أبو طالب أعرج وتوفى بعد النبوة بعشر سنين وقبل الهجرة بثلاث سنين بالغاً من العمر نحو ثمانين سنة

وفى أسد الغابة ـ لما اشتد بأبى طالب مرضه دعا بنى عبد المطلب فقال انكم لن تزالوا بخير ماسمعتم قول محمد واتبعتم أمره فاتبعوه وصدقوه ترشدوا

ولما مات أبو طالب قال له رسول الله ﷺ ـ رحمك الله وغفر لك لا أزال أستغفر لك حتى ينهانى الله . فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون فأنزل الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)

---

(١) الكاعة جمع كائع وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن أذى النبى فى حياته

وفاة خديجة

سنة ٦٢٠ م

توفيت خديجة زوجة رسول الله بعد أبى طالب بثلاثة أيام وقيل بأكثر من ذلك . فى شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون سنة وكان مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوجها أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ودفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ . وحزن عليها النبى ونزل فى حفرتها وتتابعت على رسول الله بموت أبى طالب وخديجة المصائب لأنهما كانا من أشد المعضدين له المدافعين عنه . فاشتد أذى قريش عليه حتى نثر بعضهم التراب على رأسه وطرح بعضهم عليه سلى الشاة وهو يصلى . وسُمى العام الذى مات فيه أبو طالب وخديجة « عام الحزن » ولم ينس رسول الله محبته لخديجة بعد وفاتها وكان دائما يثنى عليها

سفره إلى الطائف

الطائف بلدة فى الحجاز على مسافة ٦٥ ميلا جنوبا شرقياً من مكة وهى مشهورة بجودة مناخها وخصب أرضها وفواكهها ولا سيما العنب والبرقوق والرمان والخوخ وهى مصيف أغنياء مكة (١) وقد سافر اليها النبى صلى الله عليه وسلم لثلاث بقين من شوال سنة عشر من المبعث (يناير فبراير سنة ٦٢٠ م) ومعه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النصرة فعمد إلى جماعة من أشراف ثقيف ودعاهم الى الله فقال واحدمنهم . أما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال الآخر والله لا أكلمك أبداً لأنك إن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب

---

(١) وكان يطلق اسم الطائف على ما اكتنفها من البلاد واسمها القديم «وج» ثم سميت بالطائف بحائطها المطيف بها وموقعها ببطن من جبل غزوان وهو أبرد مكان فى الحجاز لأن الثلج يقع أحيانا على ذروة الجبل فوق البلدة

على الله ما ينبغى لى أن أكلمك . وأغروا سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط وقد أدموا رجليه فلما اطمأن ورجع عنه السفهاء قال عليه الصلاة والسلام « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى؟ الى بعيد يتجهمنى أوالى عدوّ ملّكته أمرى ان لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع ، انى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » وهذا الدعاء مشهور بدعاء الطائف . فلما رأى ابنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقى رسول الله تحركت له رحمهما فدعوا له غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس . فقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله فلما وضع رسول الله يده قال : بسم الله . فنظر عداس الى وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة . قال له رسول الله ﷺ ومن أهل أى البلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نِينَوى[1] . فقال له رسول الله ﷺ : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له وما يدريك مايونس ابن متى ؟ قال رسول الله ﷺ ذلك أخى كان نبياً وأنا نبى. فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه ورجليه . فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه . أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه . قال ياسيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل . لقد خبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى ؟ فقالا : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه. ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف فلما وجد قومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه الا قليلا

---

(١) قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل

مستضعفين ممن آمن به . وفى الطبرى أن بعضهم ذكر أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف مريداً مكة مر به بعض أهل مكة فقال له رسول الله ﷺ : هل أنت مبلغ عنى رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم . قال : ائت الأخنس بن شَريق فقل له يقول لك محمد هل أنت مُجيرى حتى أبلغَ رسالة ربى ؟ قال فأتاه فقال له ذلك . فقال الأخنس : ان الحليف لا يجير على الصريح . فأتى النبى ﷺ فأخبره . قال : تعود . قال : نعم . قال : ائت سُهيل بن عمرو فقل له ان محمداً يقول هل أنت مُجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ فأتاه فقال له ذلك . فقال ان بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب . فرجع الى النبى ﷺ فأخبره . قال : تعود . قال : نعم . قال : ائت المطعم ابن عدى فقل له ان محمداً يقول لك هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ قال : نعم فليدخل . فرجع اليه الرجل فأخبره ، وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد . فلما رآه أبو جهل قال : أمجير أم متابع ؟ قال : بل مجير . قال : قد أجرنا من أجرت . فدخل النبى ﷺ مكة وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة فلما رآه أبو جهل قال : هذا نبيكم يا بنى عبد مناف . قال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منا نبى أو ملك ؟ فأخبر بذلك النبى ﷺ أو سمعه فأتاهم فقال : أما أنت ياعتبة بن ربيعة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله ولكن حميت لأنفك . وأما أنت يا أباجهل فوالله لا يأتى عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيراً . وأما أنتم يامعشر الملأ من قريش فوالله لا يأتى عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون

ويقال ان رسول الله ﷺ أقام بالطائف عشرة أيام ، وظاهر أن الذى دعاه الى السفر هو التماس النصرة ولكنهم خذلوه وما التمس النصرة من ثقيف الا بعد أن توفى أبو طالب وخديجة . أضف الى ذلك أن فريقاً من المسلمين هاجروا الى الحبشة ، ولما عاد من الطائف لم يستطع دخول مكة الا بجوار رجل كالمطعم بن عدى

وفى رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف مر به نفر من جن نصيبين وهو يقرأ سورة (الجن) فاستمعوا له وآمنوا به ، ولم يشعر بهم صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) . وكانوا سبعة وقيل أكثر.

الاسراء والمعراج

سنة ٦٢١ — م

كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وبه جزم ابن حزم فى ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين . وكان بعد خروجه ﷺ الى الطائف

كان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج الى السموات وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس

وقد ذكر الاسراء فى القرآن . قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

واختلف فى كيفية الاسراء فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله ﷺ[1] والأقلون قالوا انه ما أسرى الا بروحه . حكى عن محمد ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله ﷺ وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول أيضاً عن عائشة رضى الله عنها وعن معاوية رضى الله عنه وحديث عائشة ليس بالثابت لأنها لم تكن حينئذ زوجته . قال النسفى وكان — الاسراء — فى اليقظة . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

(١) وفى الشفا للقاضى عياض : ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج

والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه . وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم

واتفق الأكثرون من طوائف المسلمين على أنه أسرى بجسد رسول الله ﷺ وهو الصحيح . جاء فى زاد المعاد لابن قيم الجوزية :

« وقد نقل ابن اسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا : انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده ، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك . ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الاسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم . وعائشة ومعاوية لم يقولا كان مناماً وانما قالا أسرى بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين فان ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى كأنه قد عرج به الى السماء أو ذهب به الى مكة وأقطار الأرض وروحه لما تصعد ولم تذهب وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال . والذين قالوا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان : طائفة قالت عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وانما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر به بعد المفارقة وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها الى السموات سماء سماء حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فتقف بين يدى الله سبحانه وتعالى فيأمرها بما يشاء ثم تنزل الى الأرض فالذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة . ومعلوم أن هذا الأمر فوق ما يراه النائم الخ »

فالاسراء ما كان مناماً قطعاً لأنه لو كان مناماً لما كذبه حتى من كان قوى الايمان فان من الناس من يرى أنه صعد الى السماء أو قطع مسافات شاسعة لا يتصورها العقل وليس المنام معجزة خارقة للعادة والروح فى المنام لا تفارق الجسم كذلك لو كان الاسراء مناماً لصرح به رسول الله ﷺ

والطبرى فى تفسيره ينكر أن الاسراء كان بالروح فقط وقد رد على من قال بذلك فقال :

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : ان الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه اذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل الى أن قال : ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق اذ كانت الدواب لا تحمل الا الأجسام الا أن يقول قائل ان معنى قولنا أسرى بروحه رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل حمله على البراق لأن ذلك اذا كان مناماً على رأى صاحب هذا القول ولم تكن الروح عنده مما يركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شىء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين »

ومما قاله الفخر الرازى فى تفسيره : قال أهل التحقيق ان الذى يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد وجسده من مكة الى المسجد الأقصى القرآن والخبر . أما القرآن فهذه الآية. وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الاسراء حاصلا لمجموع الجسد والروح الخ . وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السموات اه .

والمعراج به ﷺ الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى : (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السموات ورجع ﷺ من ليلته الى مكة .

تأثير خبر الاسراء

فى قريش

لما أصبح رسول الله ﷺ أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن به ايماناً قوياً وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء فى المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليـه ويصفه ويعد أبوابه لهم باباً باباً فيطابق ماعندهم . وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فـكان كما أخبر

ويروى أنه ﷺ لما رجع الى مكة من ليلته أخبر بمسراه أم هانىء بنت أبى طالب أخت علىّ رضى الله عنه وأنه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لأنه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه ﷺ فتعلقت بردائه أم هانىء وقالت انشدك الله يا ابن عم أن لا تحدث بهـا قريشاً فيكذبك من صدقك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها . قالت : وسطع نور عندفؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج . قالت فقلت لجاريتى نبعة وكانت حبشية أتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى أن رسول الله ﷺ انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وفيهم مطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام فأخبرهم بمسراه

ولما قص رسول الله خبر الاسراء على جمع من قريش أعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً (فلو كان الاسراء رؤيا منامية لما كانت مستغربة ولما أحدثت تلك الضجة وكذبه المسلمون اللهم الا من كان منهم قوى العقيدة ثابت الايمان) . قال مطعم بن عدى ان أمرك قبل اليوم كان أمراً يسيراً غير قولك اليوم ، هو يشهد أنك كاذب . نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً . أتزعم أنك أتيته فى ليـلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط . فقال أبو بكر رضى الله عنه يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته . أنا أشهد أنه صادق . وفى رواية فسعى

رجال من المشركين الى أبى بكر رضي الله عنه . فقالوا : هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس . قال وقد قال ذلك ؟ قالوا نعم . قال لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا أتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء فى غدوة وروحة . فقال مطعم : يا محمد صف لنا بيت المقدس . فقال أبو بكر رضى الله عنه صف لى يارسول الله فانى قد جئته . فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه فى موضع كذا وباب منه فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله عنه يقول : أشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه

وهذه هى الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى الخاصة بالاسراء والمعراج مشروحة فى الهامش شرحاً موجزاً نقلا عن القسطلانى :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لما كذبنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس [١] فطفقت أخبرهم عن آياته [٢] وأنا أنظر اليه »

المعراج [٣]

عن مالك بن صَعْصَعَةَ رضى الله عنهما أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينما أنا فى الحطيم ـ وربما قال فى الحجر ـ مضطجعاً اذ أتانى آت [٤] فَقَدَ قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه . قال الراوى من ثُغْرَةِ نحره [٥] إلى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بِطَسْت من ذهب [٦] مملوءة ايماناً فَغُسل قلبى ثم حُشى ثم أعيد [٧] ثم أتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض . قال الراوى وهو البراق

---

(١) بأن أزال الحجاب بينى وبينه (٢) علاماته (٣) المعراج بكسر الميم من العروج وهو الصعود (٤) هو جبريل عليه السلام (٥) من ثغرة نحره : الموضع المنخفض بين الترقوتين (٦) قبل تحريم استعماله (٧) ثم أعيد فى موضعه من الصدر المقدس

يضع خطوه عند أقصى طرفه (١) فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء ففتح (٢) فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه (٣) فسلمت عليه فرد السلام . ثم قال مرحباً بالابن الصالح ثم صعد بى الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم : قال مرحباً فنعم المجىء جاء . ففتح فلما خلصت اذا يحيي وعيسى (٤) وهما ابنا الخالة . قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحباً فنعم المجىء جاء . ففتح فلما خلصت اذا يوسف . قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه . قال نعم . قيل مرحباً فنعم المجىء جاء . ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد . قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد (٥) قيل وقد أرسل اليه . قال نعم . قال مرحباً به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فاذا هرون . قال هذا هرون فسلم عليه . فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحباً

---

(١) عند أقصى طرفه ، أى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وهو يدل على أنه كان يمشى على وجه الأرض . وسمي البراق لشدة بريقه (٢) ففتح خازنها الباب (٣) فسلم عليه لأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد (٤) يحي بن زكريا وعيسى بن مريم وهما ابنا الخالة لأن أم يحيي ايشاع بنت فاقوذ أخت حنة بنت فاقوذ أم مريم وذلك ان عمران بن ماتان تزوج حنة وزكريا تزوج ايشاع فولدت ايشاع يحيي وولدت حنة مريم فتكون ايشاع خالة مريم وحنة خالة يحيي فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار وليس عمران هذا أبا موسى . ولابى ذر ابنا خالة (٥) سقطت التصلية لأبى ذر

بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل من معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم . قال مرحباً . فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فاذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك ؟ [١] قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي [٢] ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك قال محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال نعم . قال مرحباً فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فاذا ابراهيم . قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه . فسلمت عليه فرد السلام . فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح [٣] . ثم رفعت الى سدرة المنتهى [٤] فاذا نبقها [٥] مثل قلال هجر [٦] واذا ورقها مثل آذان الفيلة . قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن . فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت ؟ قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع

---

(١) خطاب لموسى (٢) ليس بكاؤه حسداً حاشا لله بل أسفاً على ما فاته من الأجر المترتب على رفع درجته بسبب ماحصل من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم ذلك لنقص أجره لأن لكل نبي مثل أجر جميع من اتبعه وقوله غلام مراده به أنه صغير السن بالنسبة إليه وقد أنعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره (٣) قد استشكل رؤية الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً (٤) سدرة المنتهى التي ينتهي اليها ما يعرج من الأرض فيقبض منها (٥) النبق : ثمر السدرة (٦) هجر اسم بلد ومراده أن ثمرها في الكبر كالجرار التي تصنع بها وكانت معروفة عند المخاطبين

عنى عشراً فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت بخمس كل يوم . فقال ان أمتك لا تسطيع خمس صلوات كل يوم وانى جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قلت وسألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى (١)

عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ قال هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به الى بيت المقدس (٢) . قال والشجرة الملعونة فى القرآن هى شجرة الزقوم

هل رأى رسول الله ربه ليلة الاسراء ؟

أنكرت عائشة رؤية رسول الله ربه ليلة الاسراء وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب رضى الله عنهما وكان الحسن رحمه الله يحلف على ذلك ومن القائلين بالرؤية ابن مسعود وأحمد بن حنبل وجماعة من الصحابة وعن ابن عباس انه قال « أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ » وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقال نعم . قال النووى فى شرح صحيح مسلم « والأصل فى الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع اليه فى

---

(١) هذه من أقوى مايستدل به على أنه صلى الله عليه وسلم كلمه ربه ليلة الاسراء بغير واسطة

(٢) وبذلك تمسك من قال كان الاسراء فى المنام . ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية من قوله أريها ليلة أسرى به . والاسراء انما كان فى اليقظة لأنه لو كان مناما ما كذبته قريش فيه ، واذا كان ذلك فى اليقظة وكان المعراج فى تلك الليلة لزم أن يكون فى اليقظة أيضا اذا لم يقل أحد أنه نام لما وصل بيت المقدس ثم عرج به وهو نائم وانما كان فى اليقظة ، فاضافة الرؤيا الى العين احتراز عن رؤيا القلب

المعضلات وقد راجعه ابن عمر رضى الله عنهم فى هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها فانها لم تخبر أنها سمعت النبى ﷺ يقول لم أر ربى وانما ذكرت ماذكرت متأولة لقول الله تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب أويرسل رسولا» ولقول الله تعالى «لاتدركه الأبصار» والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات عن ابن عباس فى اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يُظن بابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس.ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على النافى

والراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء

نقول وقد خالفت عائشة ابن عباس فى هل كان الاسراء بالجسد أو بالروح فقالت عائشة والله مافقد جسد رسول الله ﷺ ولكن صعد بروحه وابن عباس يقول انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا ماذهب اليه معظم الصحابة أما مايتصوره بعضهم فى أن الصعود بالجسد الى السموات مستحيل عقلا فنقول ان هذا الصعود بالجسم معجزة لرسول الله لا تدرك بالعقل كجميع معجزاته وكمعجزات الرسل عليهم صلوات الله ولو كان الصعود بالروح فقط لصرح به رسول الله ولما كذبته قريش

فريضة الصلاة

فرضت الصلوات الخمس ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ولاخلاف فى ذلك . قيل كما هى الآن فى عدد الركعات وهو الأصح والصلاة هى فريضة قائمة وشريعة ثابتة عرفت فرضيتها بالكتاب وهو قوله تعالى (وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ) وقوله تعالى (حَافِظُوا

عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَى) فانه يدل على فرضيتها وعلى كونها خمساً لأنه أمر بالمحافظة جميع الصلوات وعطف عليها الصلاة الوسطى وأقل جمع يُتصور معه وسطى هو الأربع . وبالسنة قوله عليه الصلاة والسلام « ان الله فرض على كل مسلم ومسلمة فى كل يوم وليلة خمس صلوات »

وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدى الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر واستعمال الجوارح فى خدمته وهى أفضل العبادات البدنية الظاهرة

جاء فى رسالة الصلاة لابن سينا: ان الصلاة تشبه النفس الانسانى الناطق بالاجرام الفلكية والتعبد الدائم للحق المطلق طلباً للثواب السرمدى . قال رسول الله ﷺ (الصلاة عماد الدين) والدين هو تصفية النفس الانسانى عن الكدورات الشيطانية والهواجس البشرية والاعراض عن الأعراض الدنيوية الدنية . والصلاة هى التعبد للعلة الأولى والمعبود الأعظم الأعلى ، فعلى هذا لايحتاج الى تأويل قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) بيعرفون لأن العبادة هى المعرفة أى عرفان واجب الوجود وعلمه بالسر الصافى والقلب النقى والنفس الفارغة . فاذاً حقيقة الصلاة علم الله سبحانه وتعالى بوحدانيته ووجوب وجوده وتنزيه ذاته وتقديس صفاته فى سوانح الاخلاص فى صلاته ، وأعنى بالاخلاص أن تعلم صفات الله بوجه لايبقى للكثرة فيه مشرع ولا للاضافة فيه منزع . فمن فعل هذا فقد أخلص وصلى وما ضل وما غوى ومن لم يفعل فقد افترى وكذب وعصى . والله أجل وأعلى وأعز من ذلك وأقوى اه

قال ﷺ (لا ايمان لمن لا صلاة له ولا ايمان لمن لا أمانة له) وقال (صلوا كما رأيتمونى أصلى)

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴾

عرض الرسول ﷺ نفسه على قبائل العرب

أخفى رسول الله ﷺ رسالته بادئ الأمر ، ثم أعلنها فى السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتتبع الحجاج فى منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ، ويسأل عن منازلهم ويأتى اليهم فى أسواق الموسم وهى عكاظ ومِجَنّة وذو المجاز ، وكانت العرب إذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ، ثم تجيء الى سوق مِجنّة تقيم فيه عشرين يوماً ، ثم تجىء الى سوق ذى المجاز فتقيم به أيام الحج وكان ﷺ يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ، وكان يطوف على الناس فى منازلهم ويقول : « يأيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » وكان أبو لهب يمشى وراءه ويقول : ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم . وروى ابن اسحاق أنه ﷺ عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال الأمر الى الله يضعه حيث يشاء . فقال له أنقاتل العرب دونك فاذا أظفرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه ، فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر أن يوافى معهم الموسم . فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ أى هل لهذه القصة من تدارك ، والذى نفس فلان بيده ما يقولها كاذباً من بنى اسماعيل قط وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم

وروى الواقدى انه ﷺ أتى بنى عبس وبنى سليم وبنى محارب وفزارة ومرة وبنى النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه ﷺ أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، ولم يكن أحد من العرب أقبح عليه من بنى حنيفة وهم أهل

اليمامة، قوم مسيلمة الكذاب، ومن ثم جاء فى الحديث « شر قبائل العرب بنو حنيفة » ومن أقبح القبائل فى الرد عليه ﷺ ثقيف ، ومن ثم جاء « شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف » ولازال ﷺ يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم يقول لا أكره أحداً على شىء . من رضى الذى أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه وانما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى فلم يقبله ﷺ أحد من تلك القبائل ويقولون : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ؟

بدء اسلام الانصار

بيعة العقبة الأولى — إسلام سعد بن معاذ

خرج رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب وحجاجهم كما كانت عادته فى كل موسم ، فبينما هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهى على يسار القاصد منى من مكة اذ لقى رهطا من الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب ، وهما قبيلتان مشهورتان عظيمتان من العرب فى يثرب وقد لقبهم رسول الله بالأنصار لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروه ، وكان الذين لقيهم ﷺ من الخزرج هم أبو أمامة أسعد بن زُرارة وعوف بن الحارث ويعرف بابن عفراء وهما من بنى النجار . ورافع بن مالك بن العجلان وعامر بن عبد حارثة وهما من بنى زُريق . و قطبة بن عامر بن حديدة من بنى سلمة وعقبة بن عامر بن نابئ من بنى غنم وجابر بن عبد الله بن رباب من بنى عبيدة فعرض النبى عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر فى قلوبهم وكان اليهود مع الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والأوس والخزرج أهل شرك وأوثان . وكانوا اذا كان بينهم شىء تقول اليهود ان نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وكانوا يصفونه لهم بصفاته . فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم النبى ﷺ ودعوهم الى الاسلام فأسلم كثيرون منهم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا وذلك سنة اثنتى عشرة من النبوة (٦٢١م) فلقوه بالعقبة فبايعوه بيعة النساء ، وسميت بذلك لأنها كانت على الأمور التى ورد ذكرها فى سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء وهى هذه الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ

أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

وبعد أن تمت هذه البيعة بعث صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ فأسلم على يده سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وكان سعد من أجل رؤسائهم ثم فشا فيهم الاسلام ولم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت (وهو صيفى) وكان شاعراً لهم وقائداً يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

بيعة العقبة الثانية

اتفق جماعة من الأنصار للقاء النبى صلى الله عليه وسلم مستخفين لايشعر بهم أحد فوافوا مكة فى الموسم فى ذى الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق (١) فلما كان الليل خرجوا بعد مضى ثلثه يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وحضر معهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر (٢) وأسلم تلك الليلة وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وكان لايزال على دين قومه وأحب أن يتوثق لابن أخيه وكان أول من بايع تلك الليلة وهو أول من تكلم . فقال يامعشر الخزرج (وكانت العرب تسمي الخزرج والأوس به) إن محمداً منا حيث قد علمتم فى عز ومنعة وإنه قد أبى إلا الانقطاع اليكم فان كنتم ترون أنكم تفون له بما دعوتموه اليه ومانعوه فأنتم وذلك. وان كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة .

---

(١) وهى ثلاثة أيام بعد النحر لأن لحم الأضاحى يشرق فيها للشمس أى يشرر وقال ابن الاعرابى سميت بذلك لأن الهدى والضحايا لاتنحر حتى تشرق الشمس أى تطلع (٢) قتل عبد الله ابن عمرو يوم أحد وقد مثل به

فقال الأنصار قد سمعنا ماقلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت فتكلم وتلا القرآن ورغب فى الاسلام ثم قال تمنعوننى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم وكان للبراء بن معرور فى تلك الليلة المقام المحمود فى الاخلاص والتوثق لرسول الله ﷺ إذ أخذ بيده وقال : والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ذرارينا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب ، فاعترض الكلام أبوالهيثم بن التيهان حليف بنى عبد الأشهل فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها يعنى اليهود فهل عسيت ان أظهرك الله عز وجل أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال بل الدم الدم ، الهدم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم وكانت عدة الذين بايعوا فى تلك الليلة سبعين رجلا وامرأتين : نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت عمرو بن عدى من بنى سلمة (١) واختار منهم رسول الله ﷺ اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى . والنقباء هم :

(١) سعد بن عبادة (٢) أسعد بن زرارة (٣) سعد بن الربيع (٤) سعد بن خيثمة (٥) المنذر بن عمرو (٦) عبد الله بن رواحة (٧) البراء بن معرور (٨) أبو الهيثم بن التيهان (٩) أسيد بن حضير (١٠) عبد الله بن عمرو بن حرام (١١) عُبادة بن الصامت (١٢) رافع بن مالك

فلما بايعوا النبى ﷺ رجعوا الى المدينة فكان قدومهم فى ذى الحجة فأقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وهاجر الى المدينة فى شهر ربيع الأول وقدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وقد كانت قريش لما بلغهم اسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين فأصابهم جهد شديد . فأمر النبى ﷺ أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا حتى لم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعلى بن أبى طالب فانهما أقاما بأمره وكان ﷺ ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة

واسلام الأنصار له شأن كبير فى تاريخ الاسلام بل فى تاريخ الدنيا

(١) بايعته المرأتان من غير مصافحة

مؤامرة قريش

على قتل رسول الله ﷺ

لقد بلغ اضطهاد قريش للمسلمين انهم اضطروهم الى الهجرة ففريق هاجر الى الحبشة ثم هاجر من بقى مع رسول الله الى المدينة . ولما علمت قريش تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة أخيراً الى المدينة وقد صارت له شيعة وأنصار من غيرهم وانه أجمع على اللحاق بهم تشاوروا فيما يصنعون فى أمره فاجتمعوا فى « دار الندوة » وهى دار قصى بن كلاب [١] وتشاوروا فى حبسه أو اخراجه عنهم ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً جلداً فيقتلونه جميعاً فيتفرق دمه فى القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً ويقال ان هذا كان رأى أبى جهل . وهكذا نجد دائما اسم أبى جهل وأبى لهب فى كل مؤامرة ضد النبى ﷺ وكل ايذاء واضطهاد كأن لا عمل لهما غير ذلك

استعدوا لقتله عليه الصلاة والسلام من ليلتهم فلما كانت العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه وبلغ ذلك النبى ﷺ فأمر علياً أن ينام على فراشه ويتشح ببرده الأخضر وأن يتخلف عنه ليؤدى ما كان عند رسول الله ﷺ من الودائع إلى أربابها فامتثل أمره فكان أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله ﷺ

وهنا نقول ان الأستاذ مرجوليث اعتاد أن يصف أعداء رسول الله برجاحة العقل

---

(١) دار الندوة بمكة أحدثها قصى بن كلاب لما تملك مكة . كانوا يجتمعون بها للمشاورة وصارت بعد ولده لمعاوية بن أبى سفيان وقيل هى أول دار بنتها قريش بمكة . قال الحلبى دار الندوة من جهة الحجر عند المقام الحنفى الآن وكان لها باب إلى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشى إلا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشى

والنبل ولا يعدم أن يجد كتاباً يذكره كمصدر له من غير تحقيق فقد قال عن أبي جهل في كتابه (محمد) انه حاز شهرة عظيمة في العقل حتى انه دخـل دار الندوة في سن الثلاثين في حين أنه كان لا يسمح لأحد من أهل مكة بدخولها إلا إذا بلغ الأربعين والحقيقة أنهم كانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي تميزاً له وبما أن أبا جهل قرشي فـكان يسوغ له دخول دار الندوة قبل الأربعين وليس ذلك لأنه كان شديد الذكاء راجح العقل

ما نزل من القرآن بمكة

نزل من القرآن بمكة اثنان وثمانون سورة . وكان أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ) . ثم نون والقلم ومايسطرون . ثم والضحى . ثم يأيها المزمل
ثم يأيها المدثر . ثم فاتحة الكتاب . ثم تبت . ثم اذا الشمس كورت . ثم سبح اسم ربك
الأعلى . ثم والليل اذا يغشى . ثم والفجر . ثم ألم نشرح لك صدرك . ثم الرحمن . ثم والعصر .
ثم إنا أعطيناك الكوثر . ثم ألهاكم التكاثر . ثم أرأيت الذى يكذب بالدين ثم ألم تر كيف
فعل ربك بأصحاب الفيل . ثم والنجم اذا هوى . ثم عبس وتولى . ثم انا انزلناه فى ليلة القدر
ثم والشمس وضحاها . ثم والسماء ذات البروج . ثم والتين والزيتون . ثم لا يلاف قريش .
ثم القارعة . ثم لا أقسم بيوم القيامة . ثم ويل لكل همزة . ثم والمرسلات عرفاً . ثم ق
والقرآن المجيد . ثم لا أقسم بهذا البلد . ثم والسماء والطارق . ثم اقتربت الساعة . ثم ص
والقرآن ذى الذكر . ثم الأعراف . ثم سورة الجن . ثم سورة يس . ثم تبارك الذى نزل
الفرقان . ثم حمد الملائكة . ثم سورة مريم . ثم سورة طه . ثم طسم . الشعراء ثم طس النمل . ثم
طسم القصص . ثم سورة بنى اسرائيل . ثم سورة يونس . ثم سورة هود . ثم سورة يوسف
ثم الحجر . ثم الأنعام . ثم الصافات . ثم لقمان . ثم حم المؤمن . ثم حم السجدة ثم حم عسق .
ثم الزخرف . ثم سبأ . ثم تنزيل الزمر . ثم حم الدخان . ثم حم الشريعة . ثم الأحقاف .
ثم والذاريات . ثم هل أتاك حديث الغاشية . ثم سورة الكهف . ثم سورة النحل . ثم
انا أرسلنا نوحاً . ثم سورة ابراهيم . ثم اقترب للناس حسابهم . ثم قد أفلح المؤمنون . ثم
الرعد . ثم والطور . ثم تبارك الذى بيده الملك . ثم الحاقة . ثم سأل سائل . ثم عم يتساءلون
ثم والنازعات غرقاً . ثم اذا السماء انفطرت . ثم سورة الروم . ثم العنكبوت

وعن ابن عباس أنه قال : كان القرآن ينزل مفرقاً لا ينزل سورة سورة فما نزل
أولها بمكة أثبتناها بمكة وان كان تمامها بالمدينة وكذلك ما نزل بالمدينة وانه كان يعرف
فصل ما بين السورة والسورة اذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم فيعلمون أن الأولى قد
انقضت وابتدئ بسورة أخرى

الهجرة الى المدينة

خرج رسول الله ﷺ وهم يرصدونه فأخذ حفنة تراب وجعل ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ثم انصرف فلم يروه . فلما أفاقوا من غشيتهم جعلوا يطلعون فيرون علياً نائماً وعليه برد رسول الله ﷺ فيقولون ان محمداً لنائم . فأقاموا بالباب يحرسون علياً يحسبونه النبى ﷺ حتى يقوم فى الصباح . فلما أصبحوا قام علىّ عن الفراش فقالوا له أين صاحبك ؟ قال لا أدرى فعلموا أن النبى ﷺ قد نجا . فأما علىّ فأقام بمكة حتى يؤدى ودائع النبى ﷺ . وقصد النبى ﷺ دار أبى بكر رضى الله عنه وأعلمه بأن الله قد أذن له بالهجرة فقال أبو بكر : الصحبة يارسول الله . قال الصحبة فبكى أبو بكر رضى الله عنه فرحاً واستأجر عبد الله بن أريقط وكان مشركا ليدل بهما الى المدينة وينكب عن الطريق العظمى . ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ غير أبى بكر وعلىّ وآل أبى بكر وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول ، وذلك يوم الاثنين الظهر لثلاث وخمسين سنة من مولده ٢٨ يونيه (٦٢٢ م) وروى أن النبى ﷺ قال حين خروجه من مكة الى المدينة « اللهم انك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد الىّ فأسكنى أحب البلاد اليك » رواه الحاكم فى المستدرك . وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة . ثم أتيا الغار الذى بجبل ثور على ثلاثة أميال من جنوب غربى مكة ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع لهما بمكة ثم يأتيهما ليلا وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا ليأخذا حاجتهما من لبنها وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بطعامهما . فأقاما فى الغار ثلاثاً . ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف فقاف الأثر حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع الأثر [1] واذا بنسيج العنكبوت على فم الغار وقد عششت على

---

(١) ولا يخفى أن للعرب شهرة فى اقتفاء الأثر

بابه حمامتان . فقالت قريش ما وراء هـذا شيء . وجعلوا مائة ناقة لمن يرده عليهم . فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاهما دليلهما ببعيرين فأخـذ أحدهما رسول الله ﷺ من أبي بكر بالثمن لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه الصلاة و السلام فى استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى . ثم ركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة يخدمهما فى الطريق وأتتهما أسماء بسفرة لهما وشقت نطاقها وربطت السفرة فسميت ذات النطاقين وحمل أبو بكر جميع ماله وكان نحو ستة آلاف درهم وبينما هما فى الطريق مجردين من كل سلاح بصر بهما سراقة بن مالك بن جعشم فاتبعهما ليردهما فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت (غاصت) قوائم فرسه فى أرض صلبة . فقال ادع لى يا محمد ليخلصنى الله أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص . فعاد يتبعهما . فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه فى الأرض أشد من الأولى . فقال يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك علىّ فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب . فدعا له فخلص وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وأن يكتم عنهم ثلاث ليال . فرجع سراقة ورد كل من لقيه عن الطلب بأن يقول ماهاهنا

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

«فبينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة [١] قال قائل [٢] لأبى بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا [٣] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبى و أمى والله ما جاء به فى هـذه الساعة الا أمر . قالت عائشة فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك [٤] بأبى أنت يارسول الله قال فانى قد أذن لى فى الخروج [٥] . فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت يارسول الله . . قال رسول الله ﷺ نعم . قال أبو بكر فخذ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين . قال رسول الله ﷺ بالثمن [٦]

---

(١) أول الزوال عند شدة الحر (٢) فى الطبرانى أن قائل ذلك أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها (٣) مغطياً رأسه (٤) يريد عائشة وأمها (٥) الخروج إلى المدينة (٦) أى لا آخذ إلا بالثمن

قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز[١] وصنعنا لهم سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها[٢] فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين ، وأسماء بنت أبى بكر الصديق كانت أسن من عائشة وهى أختها لأبيها وكان عبد الله بن أبى بكر أخا أسماء شقيقها ، قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف[٣] لقن[٤] فيدلج[٥] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت[٦] فلا يسمع أمراً يكتادان به[٧] الا وعاه[٨] حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة[٩] من غنم[١٠] فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما[١١] حتى ينعق بها[١٢] عامر بن فهيرة بغلس[١٣] . يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بنى الديل[١٤] وهو من بنى عبد ابن عدى هادياً خريتاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى[١٥] وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[١٦] قال سراقة بن جعشم : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس

---

(١) أحث الجهاز أسرعه والجهاز ما يحتاج اليه فى السفر وغيره (٢) النطاق ما يشد به الوسط (٣) حاذق (٤) لقن سريع الفهم (٥) يدلج يخرج (٦) كبائت بها لشدة رجوعه بالغلس [

(٧) أى يطلب لهما مافيه المكروه (٨) وعاه : حفظه (٩) منحة : شاة تحلب آناء بالغداة وآناء بالعشى (١٠) من غنم كانت لأبى بكر رضى الله عنه (١١) هو اللبن الموضوع فيه الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثقله (١٢) ينعق بها يزجرها (١٣) الغلس ظلام آخر الليل (١٤) هو عبدالله ابن أريقط مصغر (١٥) يعنى أنه حليف لهم وأخذ بنصيب من عقدهم ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم فى دم أو خلوق أوشىء يكون فيه تلوين فيكون ذلك تأكيداً للحلف (١٦) أسفل من عسفان

فقال ياسراقة انى قد رأيت آنفا أسودة (١) بالساحل أراها (٢) محمداً وأصحابه . قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة (٣) فتحبسها علىّ وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه (٤) الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت فأهويت يدى الى كنانتى (٥) فاستخرجت منها الازلام (٦) فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى أكره فركبت فرسى تقرب بى وعصيت الأزلام حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لايلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت (٧) يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لأثر يديها عُثَان (٨) ساطع فى السماء مثل الدخان . فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية و أخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى (٩) ولم يسألانى الا أن قالا أخف عنا فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من (١٠) أديم ثم مضى رسول الله ﷺ » ومما وقع لهما فى الطريق أنهما لقيا طلحة بن عبيد الله فى الطريق وكان راجعاً من تجارة فحياهما وكساهما ثياباً بيضاً وقيل لقيهما الزبير كذلك ولعلهما لقياهما معاً أومتعاقبين فكسواه وأبا بكر ما ذكر

---

(١) أشخاصا (٢) أظنها (٣) أكمة : ربوة مرتفعة (٤) الزج الحديد الذى فى أسفل الرمح (٥) الكنانة كيس السهام (٦) الأزلام جمع زلم أقلام كانوايكتبون على بعضها نعم وعلى بعضها لا وكانوا إذا أرادوا أمرا استقسموا بها فاذا خرج السهم الذى عليه نعم خرجوا واذا خرج الآخر لم يخرجوا ومعنى الاستقسام معرفة قسم الخير والشر (٧) ساخت : غاصت (٨) عثان : دخان من غير نار (٩) فلم يرزآنى . لم ينقصانى (١٠) أديم : جلد مدبوغ

وصوله ﷺ الى المدينة

نزل رسول الله ﷺ قُباء على كلثوم بن الهدم [١] شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الأوس . وقباء قرية على ميلين من جنوب المدينة وهى خصبة بها حدائق من أعناب ونخيل وتين ورمان وأقام بها رسول الله يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجد قباء وهو الذى أسس على التقوى من أول يوم ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب بن اساف بالسنح [٢] ثم قدم علىّ رضى الله عنه ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبى ﷺ وكان علىّ رضى الله عنه فى طريقه يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة به لما بقدميه من الورم وتفل فى يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ، ثم ركب النبى ﷺ يوم الجمعة يريد المدينة وأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى ببطن الوادى بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها بالمدينة وأول خطبة خطبها فى الاسلام ثم ركب راحلته يريد المدينة وأرخى زمامها فكان لا يمر بدار من دور الأنصار الا قالوا هلم يارسول الله الى العدد والعدة والمنعة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة حتى بركت عند موضع مسجده اليوم وكان مِرْبَداً للتمر [٣] لغلامين يتيمين وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو من بنى النجار فلما بركت لم ينزل عنها ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به فالتفتت خلفها ثم رجعت الى مبركها الأول فبركت فيه ووضعت جِرانها فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب الأنصارى [٤] رحل ناقته الى بيته ودعا رسول الله ﷺ

---

(١) كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس ويعرف بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شيخا كبيراً أسلم قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقام عنده أربعة أيام وتوفي كلثوم قبل بدر بيسير ولم يدرك شيئا من المشاهد (٢) السنح احدى محال المدينة (٣) المربد موضع يجفف فيه التمر (٤) اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى الخزرجى النجارى شهد العقبة وبدراً وأحدا والخندق وسائر المشاهد وكان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن خاصته وغزا أيام معاوية أرض الروم مع يزيد بن معاوية سنة احدى وخمسين فتوفى عند مدينة القسطنطينية فدفن هناك

صاحبي المربد - وكانا غلامين - فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن (الطوب النيِّء) فى بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن :

هذا الحمال لا حمال خيبر   هـذا أبرّ ربنا واطهر (١)

ويقول :

ان الأجرَ أجرُ الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره

ثم وادع رسول الله ﷺ اليهود و كتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة وسنأتى على نص الكتاب فيما بعد

وقبل أن يتم رسول الله بناء مسجده مات سعد بن زرارة بالذبحة والشهقة وكان نقيباً لبنى النجار فطلبوا إقامة نقيب مكانه فقال أنا نقيبكم و لم يخص منهم أحدا دون آخر فكانت من مناقبهم

فرح أهل المدينه بمقدم النبى ﷺ فرحاً شديداً وصعدت ذوات الخدور على الأسطحة . وعن عائشة رضى الله عنها : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهراً :

طلع البـدر علينا   من ثنيات الوداع (٢)

وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

أيهـا المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع

---

(١) الحمـال بكسر الحاء المهملة وفتح الميم مخففة ولابى ذر الحمـال بفتح الحاء المهملة أى هـذا المحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر من محمول (خيبر) الذى يحمل منهـا التمر والزبيب ونحوهما الذى يغتبط به حاملوه . تمثل بشعر رجل من المسلمين هو عبد الله بن رواحة قال ابن شهاب الزهرى ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم تمثل ببيت شعر تام غير هـذا البيت . والممتنع على المصطفى إنشاء الشعر لا إنشاده .

(٢) ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة وهى موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة

قال ابن عباس ولد النبى ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وابتدئ التاريخ فى الاسلام من هجرة رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة وأول من أرخ بالهجرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة سبع عشرة من الهجرة الا أن التاريخ الهجرى يبدأ قبل الهجرة بشهرين وذلك أنهم جعلوا مبدأ التاريخ المحرم من تلك السنة والنبى ﷺ بعد بمكة ثم كانت الهجرة بعد ذلك فى ربيع الأول

ذكر الهجرة فى القرآن

قال تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ وهذا اعلام من الله أصحاب رسول الله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم ، أعانوه أو لم يعينوه . اذ يقول لصاحبه يقول . اذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن ان الله معنا وان الله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا وقد نصره الله على عدوه وهو بهذا الحال من الخوف وقلة العدد

خطبة رسول الله ﷺ

فى أول جمعة صلاها بالمدينة

هذا نص الخطبة التى خطبها رسول الله ﷺ فى أول جمعة صلاها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف :[1]

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلمُ المسلم ثم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ماحذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة . ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا ينوى بذلك الا وجه الله يكن له ذكراً فى عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد. والذى صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول عز وجل « ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما ، وان تقوى الله يوقى مقته ويوقى سخطه ، وان تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب ويرفع الدرجة . خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله . قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا

---

(١) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالمدينة فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين وهم مائة وسمى هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء

ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا قوة الا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة الا بالله العظيم [1] »

***

هذه هى أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة فى أول جمعة ونلاحظ أن رسول الله لم يذكر فيها أهل مكة ولا ما كان من عنادهم واصرارهم على الكفر وايذائهم للمسلمين وتآمرهم على قتله بل قصر خطبته على حض المسلمين على التقوى وتذكيرهم بالله تعالى وهذا فى الحق غاية الأدب ومنتهى ما يصل اليه حلم الحليم ولو كان غير رسول الله لاستفزه الغضب وعدد مثالبهم لأنهم هم الذين خذلوه واضطهدوه وأخرجوه من أحب البلاد اليه وكانوا عقبة فى سبيل تبليغ رسالة ربه وقد صدق الله تعالى حيث قال « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »

نعم إن هذا خلق عظيم وأدب كريم ونحن نرى رجال الأحزاب يستعملون فى خطبهم أقبح الألفاظ وأشنع الشتائم لاسباب تافهة ومع ذلك يزعمون أنهم قادة وسادة . ينشرون العلم والمدنية ، وينشدون الاصلاح والحرية !!

---

(١) راجع تاريخ الطبرى

معاهدة رسول الله ﷺ اليهود

قال ابن اسحاق وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشترط لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على رِبعتهم [1] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم [2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء

---

(١) الربعة والرباعة : الحال التى جاء الاسلام وهم عليها . ويقال فلان يقوم بِرباعة أهله اذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم (٢) العانى الأسير والمخذول الذى تركه قومه ولم يواسوه .

أوعقل ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة(١) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضاً وان المؤمنين يبيء(٢) بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اغتبط(٣) مؤمناً قتلاً عن بينة فانه قود به الى أن يرضى ولى المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد ﷺ .

وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ(٤) الا نفسه وأهل بيته وان ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وان لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف وان البر دون الاثم وان موالى ثعلبة كأنفسهم وان بطانة(٥) يهود كأنفسهم وانه لا يخرج منهم

---

(١) الدسيعة هى مايخرج من حلق البعير إذا رغا فاستعاره هنا للعطية وأراد به هنا ما ينال منهم من ظلم (٢) يبيء : يمنع ويكف (٣) اغتبطه إذاقتله عن غير شىء يوجب قتله (٤) لايوتغ - لايهلك (٥) بطانة الرجل: خاصته وأهل سره

أحد الا باذن محمد ﷺ وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته الا من ظلم وأن الله على أبر هـذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لاتجار حرمة الا باذن أهلها وانه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أواشتجار [١] يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ وان الله على أتقى مافى هذه الصحيفة وأبره وانه لاتجار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب [٢] واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين على كل اناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وان ليهود الاوس مواليهم وأنفسهم مثل مالأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة وان البر دون الاثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وان الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وانه لايحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ »

---

(١) الاشتجار : الاختلاف ، يقال اشتجر القوم اذا اختلفوا (٢) من دهم يثرب: يريد من فاجأها. يقال دهمتهم الخيل تدهمهم

الخزرج والاوس

وما كان بينهما وبين اليهود

الخزرج والأوس هما قبيلتان مشهورتان من العرب فى يثرب وقد لقبهم رسول الله ﷺ بالأنصار لما هاجر اليهم لأنهم هم الذين نصروه ومنعوه . وقد مر ذكرهم فى بيعة العقبة الأولى والثانية ولا شك أن الباحث يشتاق الى الوقوف على تاريخ هاتين القبيلتين وما كان بينهما وبين اليهود من علاقات وحروب لأن ذلك يساعده على فهم تاريخ سكان المدينة وعلى موقف الأنصار واليهود ازاء الاسلام والمسلمين وليكون على بينة من أمرهم عند ذكرهم فى الحوادث التى وقعت بعد هجرة النبى ﷺ الى المدينة

خزرج وأوس أخوان أبوهما حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وأم أوس وخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد من قضاعة ولذلك يقال لهما ابنا قيلة . وكان منهما قبيلتان مشهورتان عظيمتان من العرب فى يثرب تذكران غالباً معاً فيقال الأوس والخزرج . لكن غلب اسم الخزرج وسموا أيضاً الأنصار لأنهم أول من قام بنصرة النبى ﷺ وساعدوه فى حروبه وآووه الى أرضهم

أما أصلهم فقد جاء فى كتب السير أنه لما خرج مزيقياء من اليمن بعد تفرق أهل سبأ بسيل العرم[1] ملك غسان بالشام ثم هلك وملك ابنه ثعلبة العنقاء . ولما هلك ملك بعده عمرو ابن أخيه جفنة فسخط مكانه ابنه حارثة وأجمع الرحلة الى

---

(١) أثبتت بحوث الأستاذ جليزر Claser فى سنة ١٨٩٦ أن السيل قد حدث وتكرر حدوثه وقد أهمل أهل السد فنشأ عن ذلك تصدع جوانبه ويرى الأستاذ ولفنسون أن سيل العرم ليس هو السبب الوحيد فى هجرة جميع البطون الأزدية إلى شمال الجزيرة بل لا بد أن تكون هناك أسباب أخرى

يثرب ونزل على يهود خيبر وسألهم الحلف والجوار على الأمان والمنعة فأعطوه من ذلك ما سأل . وقيل لما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فى من معه اجتازوا يثرب فتخلف بها أوس وخزرج ابنا حارثة فى من معهما فنزل بعضهم بضرار وبعضهم بالقرى مع أهلها ولم يكونوا أهل نعم ولا شاة لأن البلاد لم تكن بلاد مرعى ولا نخل لهم ولا زرع الا الأعذاق اليسيرة فكانوا يحيون الأرض الموات ويزرعونها والأموال لليهود فلبثوا حيناً من الدهر على ذلك وهم فى ضيق مال وسوء حال . ثم قدم منهم مالك بن عجلان على أبى جبيلة الغسانى فسأله عن حالهم فأخبره بضيق معاشهم . فقال : ما بالكم لا تغلبونهم كما غلبنا أهل بلدنا ووعده أنه يسير اليهم فينصرهم فرجع مالك وأخبر قومه بوعد أبى جبيلة فاستعدوا له وقدم عليهم وخشى أن يتحصن منه اليهود فاتخذ حائراً[1] وبعث اليهم فمال خواصهم وحشمهم وأذن لهم فى دخول الحائر ثم أمر جنوده فقتلوهم عن آخرهم . وقال للأوس والخزرج : اذا لم تتغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلأحرقنكم ورجع الى الشام . فأقاموا فى عداوة مع اليهود ثم صنع لهم مالك بن عجلان طعاماً ودعاهم فامتنعوا خوفاً من الغدر فاعتذر اليهم مالك عن فعل أبى جبيلة ووعدهم أنه لا يقصد مثل ذلك فأجابوه وجاءوا اليه فغدرهم وقتل ٨٧ من رؤسائهم وفر الباقون وصورت اليهود مالكاً فى كنائسهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوا

وذكر ابن الأثير رواية أخرى وهى أن اليهود كان لهم ملك اسمه الفيطون وكان ظالماً فاسقاً . وقد سن سنة أن كل امرأة تتزوج يدخل عليها قبل زوجها . فاتفق يوماً زفاف أخت مالك هذا فأتت مجلساً فيه أخوها وكشفت عن ساقها . فقال لها أخوها : قد أتيت بسوء . فقالت : الذى يراد بى الليلة أشد من هذا فثارت النخوة فى رأسه واحتال على الدخول معها عند الملك فى زى امرأة فلما خلا المكان قتله[2]

(١) الحائر هو المكان المطمئن الوسط المرتفع الجوانب (٢) نقل الأستاذ ولفنسون فى كتابه تاريخ اليهود فى بلاد العرب هذه القصة عن خلاصة الوفا وقال انها خرافية لأنه ليس من المعقول أن ملكا يهوديا يرتكب جريمة منكرة كهذه تناقض روح التوراة وتخالف الايمان بالله موسى دون أن يجد

وفر الى أبى جبيلة ولم يكن هذا ملكا لغسان بل معظماً عند ملوك غسان وقد ذلوا بعد هذه الفعلة وخافوا ولجأ كل قوم منهم الى بطن من الأوس والخزرج يستنصرون بهم ويكونون لهم أحلافاً وعظم شأن مالك وسوده الحيان . ولم يمض زمان طويل حتى أثرى الأوس والخزرج وامتنع جانبهم وقد تناسلوا وتكاثروا وتشعبوا عدة بطون فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن الأوس فمنهم خطة بن جشم بن مالك وثعلبة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك . ومن بنى عوف حنش ومالك وكلفة . ومن مالك معاوية وزيد . ومن زيد عبيد وضبيعة وأمية . ومن كلفة حجحبا . ومن مالك بن الأوس الحارث و كعب ابنا الخزرج بن عمرو بن مالك . فمن كعب بنو ظفر . ومن الحارث ابن الخزرج حارثة وجشم . ومن جشم بنو عبد الأشهل . ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا مرة بن مالك . فبنو سعد الجعادرة . ومن بنى عامر عطية وأمية ووائل بنو زيد بن قيس بن عامر . ومن مالك بن الأوس أيضاً أسلم وواقف ابنا امرئ القيس بن مالك . فهذه بطون الأوس كما ذكرها ابن خلدون

وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث

١ — فمن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب

٢ — وعمرو بن الخزرج بنو النجار وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة : بنو مالك وبنو عدى وبنو مازن وبنو دينار كلهم بنو النجار . ومن مالك بن النجار مبدول واسمه عامر وغانم وعمرو . ومن عمرو عدى ومعاوية

٣ — ومن عوف بن الخزرج بنو سام والقواقل وهما : عوف بن عمرو بن عوف

مقاومة عنيفه وانكارا شديدا من شعبة وأبناء جلدته وقال ومن الغريب أن قصة كهذه تماما قصها الطبرى عن طسم وجديس وأنكر الأستاذ ولفنسون أيضا القصة الأولى الخاصة بمالك بن العجلان بعد أن نقلها عن الأغانى . وعلى كل حال لم يكن اليهود والخزرج على وفاق بل كانوا فى شقاق فى هذه المدة بسبب أن اليهود كانوا أصحاب الأموال والخزرج والأوس لبثوا حينا من الدهر وهم فى عسر

والقوافل ثعلبة ومرضخة بنو قوقل بن عوف . ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم وبنو سالم بن عوف

٤ — ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم ويزيد بن جشم . فمن غضب بنو بياضة وبنو زريق وبنو عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب . ومن يزيد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن على بن راشد بن ساردة بن يزيد

٥ ـ ومن الحارث بن الخزرج بنو خدرة وبنو حرام ابنى عوف بن الحارث ابن الخزرج

فلما فعلوا ما فعلوا باليهود واعتزوا وكثروا تفرقوا فى عالية يثرب وسافلتها وملكوا أمرها فى حلفهم من جاورهم من قبائل مضر ثم قامت الفتن بين الحيين وكل منهم يستنصر بمن حالفه من مضر واليهود ورحل عمرو بن الاطنابة من الخزرج بن المنذر ملك الحيرة فملكه على الحيرة واتصلت الرياسة فى الخزرج والحرب بينهم وبين الأوس

العداوة بين الأوس والخزرج

كانت أول فتنة وقعت بين الأوس والخزرج حرب سمير . وذلك أن رجلا حليفاً يقال له كعب فاخر الأوس بشىء فغضب منهم رجل له سمير وشتمه ثم رصده حتى خلا به فقتله فغضب مالك بن عجلان وطلب الرجل من عشيرته فأنكروا معرفته وعرضوا عليه الدية فقبلها فأرسلوا اليه نصف دية لأن الرجل حليف لا نسيب فأبى الا دية كاملة فامتنعوا ولج الأمر حتى أفضى الى المحاربة فاقتتلوا مرتين كانت النصرة فى الثانية منهما للأوس فلما افترقوا أرسلت الأوس الى مالك أن حكم بيننا المنذر بن حرام النجارى الخزرجى وهو جد حسان بن ثابت فأجابهم الى ذلك فحكم بأن يؤدى الأوس الى مالك دية الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وافترقوا وقد شبت البغضاء فى قلوبهم وتمكنت العداوة بين القبيلتين

ثم ان كعب بن عمرو المازنى الخزرجى تزوج امرأة من بنى سالم فأمر أحيحة

ابن جلاح رئيس بنى حججبا من الأوس جماعة أن يرصدوه ويقتلوه ففعلوا فدعا أخوه عاصم قبيلته للنصرة فاستعدوا والتقوا هم والأوس واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو حججبا وانهزم أحيحة فركض وراءه عاصم فأدركه وقد دخل باب الحصن وأغلقه فرماه بسهم فلم يصبه فقتل أخاً له فعزم أحيحة أن يكبس بنى النجار وكان متزوجاً بامرأة منهم فلم يرضها ذلك وخافت على قومها فسارت اليهم ليلا وقد نام أحيحة بعد سهر طويل وأنذرتهم . فلماهم أحيحة اذاهم على سلاحهم فلم يقدر عليهم فضرب امرأته حتى كسر يدها لما بلغه ما فعلت وطلقها

ثم كانت حرب بين بنى وائل بن زيد من الأوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج وذلك أن الحصين بن الأسلت الأوسى نازع رجلا من بنى مازن وقتله فتبعه قوم من بنى مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الأسلت فجمع قومه وانضمت الأوس والخزرج كلها فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت الأوس

ثم كانت حرب بين بنى ظفر من الأوس وبنى مالك بن النجار من الخزرج وذلك أن رجلا من ظفر كان يمر الى أرضه فى أرض رجل من بنى النجار فمنعه فلم يمتنع فنازعه فقتله الظفرى فاجتمع قومهما واقتتلا فانهزم بنو مالك بن النجار

ثم ان رجلا من بنى النجار أصاب غلاماً من قضاعة وقتله وكان عم الغلام جاراً لمعاذ بن النعمان الأوسى فطلب معاذ ديته من بنى النجار فامتنعوا فلقيهم بقومه عند فارع أُطُم (حصن) حسان بن ثابت ولم يزل القتال بينهم حتى حمل الدية اليه عامر بن الاطنابة فاصطلحوا حالا

ثم كانت الموقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بنى أمية بن زيد بن مالك ابن عوف الأوسى وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان سبب هذه الحروب أن حاطباً كان رجلا شريفاً سيداً فأتاه رجل من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوماً الى سوق قينقاع فرآه يزيد بن الحارث المعروف بابن فسحم وهى أمه وهو من بنى الحارث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائى ان كسعت هذا

الثعلبى فأخذ رداءه وكسعه (١) كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبى ياللحاطب كسع ضيفك وفضح . وأخبر حاطب بذلك فجاء إليه فسأله من كسعه فأشار إلى اليهودى فضربه حاطب بالسيف ففلق هامته فأخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فأسرع خلف حاطب فأدركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلا من بنى معاوية فقتله (ولا ندرى السبب الذى دعا ابن فسحم أن يحرض ذلك اليهود على ضرب الثعلبى فى دبره) فثارت الحرب بين الأوس والخزرج وكان الظفر فيها للخزرج وهذا اليوم من أشهد أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها يوم الربيع ويوم البقيع والفجار الأول والثانى ويوم بعاث وهو آخر الأيام بينهم .

وفى يوم الفجار الثانى حالفت قريظة والنضير الأوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمى ذلك اليوم يوم الفجار الثانى وسبب حرب يوم بعاث هو أن قريظة والنضير جددوا العهود مع الأوس على الموازرة والتناصر واستحكم أمرهم وجدوا فى حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وأرسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وأرسلت الأوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب والتقوا (ببعاث) وهى من أعمال قريظة . وعلى الأوس حضير الكتائب والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى وتخلف عبد الله بن أبى ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج . وتخلف بنو حارثة بن الحارث عن الاوس . فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديداً وصبروا جميعا . ثم ان الاوس وجدت من السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يامعشر الاوس أن تسلمونى فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بنى عبد الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا وأقبل سهم لايدرى من رمى به فأصاب عمرو ابن النعمان البياضى رئيس الخزرج فقتله فبينا عبد الله بن أبى ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بعاث يتجسس الأخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا فى عباءة يحمله

(١) كسعه : ضرب دبره بيده

أربعة رجال كما كان قال له . فلما رآه قال ذق وبال البغى وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يامعشر الاوس أحسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الأوس حضيرا مجروحا فمات وأحرقت الأوس دور الخزرج ونخيلهم فأجار سعد بن معاذ الأشهلى أموال بنى سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له فى الرعل ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى أخذه فجز ناصيته وأطلقه وهى اليد التى جازاه بها ثابت فى الاسلام يوم بنى قريظة

الخلاصة

تبين لنا من تاريخ الخزرج والأوس أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء الذى خرج من اليمن بعد تفرق أهل سبأ بسيل العرم وأن هذا السيل ليس خرافة بل حدث مراراً وخرب السد فغرقت البلاد .

وقد لبث الخزرج والأوس حيناً من الدهر مع اليهود يحيون الأرض الموات ويزرعونها هم فى عسر شديد . وكان اليهود هم أرباب الأموال فحدث نزاع وشجار بينهم وبين اليهودوهو أشبه شئ بالثورات التى حدثت بين المزارعين أوالعمال والمتمولين فى القرون الأخيرة .

ثم نشبت حروب بين الأوس والخزرج فتارة كان النصر فيها للخزرج وأخرى للأوس وكان الظفر فى أكثرها للخزرج . وأخيراً حالفت قريظة والنضير الأوس على الخزرج وانضم بنو قينقاع الى الخزرج على أن تلك الحروب الطاحنة بين القبيلتين الأختين كان سببها بناء على ما وصل الينا من تاريخها حزازات شخصية كان فى الامكان ملافاتها . لكن العداء اشتد بينهما لما فى طبيعة العرب من التمسك بالأخذ بالثأر . وقد بلغت العداوة بين الخزرج والأوس مبلغاً عظيما قبل هجرة النبى ﷺ الى المدينة وآخر الحروب بينهم يوم بعاث الذى هزم فيه الخزرج وكان حوالى سنة ٦١٦ م

فلما سئموا القتال أجمعوا على تتويج عبد الله بن أبي ابن[1] سلول ملكا عليهم وابن سلول هذا هو الملقب برأس المنافقين . وقد حسد النبي لأن الاسلام منع تتويجه وأخذته العزة فأضمر الشر وهو الذى قال فى غزوة المصطلق « لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » فقال ابنه عبد الله للنبى : هو والله الذليل وأنت العزيز يارسول الله ان أنت أذنت لى فى قتله قتلته فوالله لو علمت الخزرج ما كان بها أحد أبر بوالده منى . ولكنى أخشى أن تأمر به رجلا مسلماً فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى على الأرض حياً حتى أقتله . فقال النبى ﷺ : بل نحسن صحبته ونترفق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن برّ أباك وأحسن صحبته

ولما أنعم الله على الخزرج والأوس بنعمة الاسلام اتفقت الكلمة واجتمع الشمل وتآخى الفريقان فوحّد رسول الله ﷺ اسمهما ولقبهما بالأنصار لأنهم نصروه . وتوحيد الاسمين تحت راية الاسلام كان له أعظم أثر فى النفوس اذ بذلك امتنع الشقاق وتصافت النفوس وساروا جميعاً نحو غرض واحد ومبدأ واحد

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية فى مادة أنصار (Ansar) : « لكأن محمداً أراد أن يشابه بين كلمة الأنصار والنصارى المطلقة على المسيحيين » وهذا خطأ واضح لأن كلمة أنصار جمع نصير أما نصارى فنسبة إلى قرية بالشام تسمى ناصرة أو نصران وفوق ذلك فان سبب تسمية الخزرج والأوس بالأنصار معروف وهو لأنهم نصروه ﷺ وقد جل رسول الله ﷺ عن التشبه والتقليد

---

(١) يقال عبد الله بن أبى ابن سلول بتنوين أبى وكتابة ابن سلول بالألف ويعرب إعراب عبد الله لأنه صفة له لا لأبى

مدينة يثرب

سميت يثرب بعد الاسلام بالمدينة ـ مدينة رسول الله ﷺ وهى عبارة عن جملة قرى تقع فى سهل خصب وبينها وبين مكة ٢٠٠ ميل وهى فى شمالها . جاء فى معجم البلدان لياقوت «ان لهذه المدينة تسعة وعشرين اسماً » ثم سردها. وكذا أحصى المجد الشيرازى اللغوى نحو ثلاثين اسما وذكر السمهودى فى كتاب وفاء الوفا أربعة وتسعين اسما وقال ان كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ونقل ابن زبالة أن عبدالعزيز بن محمد الدراوردى قال بلغنى أن للمدينة فى التوراة أربعين اسما

فمن أسمائها أثرب كمسجد ويثرب : قال تعالى (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) والبلد . قال تعالى (لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ) ودار الهجرة والسنة وطيبة وطابة وقرية الأنصار ومدينة الرسول ومضجع الرسول وأكالة البلدان والمباركة والمسكينة والعذراء والبارة والفاضحة [(١)]

أما قدرها فهى فى مقدار نصف مكة وهى فى حرة سبخة ولها نخيل كثيرة ومياه ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار عليها العبيد وللمدينة سور والمسجد فى نحو وسطها وقبر النبى ﷺ فى شرق المسجد وهو بيت مرتفع وليس بينه وبين سقف المسجد الافرجة وهو مسدود لاباب له وفيه قبر النبى ﷺ وقبر أبى بكر وقبر عمر والمنبر الذى كان يخطب عليه رسول الله ﷺ قد غشى بمنبر آخر والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر ومصلاه ﷺ الذى كان يصلى فيه الأعياد فى غربى المدينة داخل الباب

و (بقيع الغـرقد) خارج المدينة من شرقيها وهو مدفن أكثر أمواتهـا [(٢)] و(قُباء) خارج المدينة على نحو ميلين الى ما يلى القبلة وهى شبيهة بالقرية و (أُحد)

---

(١) لأن من أضمر فيها شيئا من السوء أظهر الله ما أضمره وافتضح به

(٢) وبه قبر إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن على بن أبى طالب والى جانبه قبر العباس وقبر عثمان وقبر مالك بن أنس امام المذهب المعروف

جبل فى شمالى المدينة وهو أقرب الجبال اليها مقدار فرسخين وبقربها مزارع ونخيل وضياع لأهل المدينة و (وادى العقيق) فيما بينها وبين الفُرع و (الفُرْع) من المدينة على أربعة أيام فى جنوبيها وبها مسجد جامع غير أن أكثر هذه الضياع خراب وكذلك حوالى المدينة ضياع كثيرة أكثرها خراب . وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق وحرَّم رسول الله ﷺ شجر المدينة بريداً فى بريد من كل ناحية ورخص فى الهش وفى متاع الناضح ونهى عن الخبط (ضَرْب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها) وأن يعضد ويهصر

ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد فى غيرها وتمرها الصيحانى لا يوجد فى بلد من البلدان مثله ولهم حب اللبان ومنها يُحمل الى سائر البلدان وجبلها أُحد قد فضله رسول الله ﷺ فقال « أحد جبل يحبنا ونحبه وهو على باب من أبواب الجنة » وحجارة أحد من الجرانيت

المسافات : من المدينة الى مكة نحو عشر مراحل [1] ومن الكوفة الى المدينة نحو عشرين مرحلة وطريق البصرة الى المدينة نحو من ثمان عشرة مرحلة ويلتقى مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة ومن الرقة الى المدينة نحو من عشرين مرحلة ، ومن البحرين الى المدينة عن طريق الساحل

ولما قدم رسول الله المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى « ويل للمطففين الآية » فأحسنوا الكيل بعد ذلك

مرض المهاجرين بحمى المدينة

حاول رؤساء قريش منع المسلمين من الهجرة الى المدينة لكنهم استطاعوا الهجرة بعد بضعة أسابيع وقد اعتاد المهاجرون جو مكة الجاف فلما قدموا المدينة أصيب أكثرهم بالحمى لأن صيفها رطب وشتاءها قارس : قالت عائشة « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى أول أرض أصاب أصحابه منها بلاء وسقم . وصرف الله ذلك عن

---

(١) تبلغ المرحلة عشرين ميلا

نبيه ﷺ وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة. فاستأذنتُ رسول الله ﷺ في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب من شدة الحمى فأذن لى فدخلت عليهم وهم فى بيت واحد فوجدتهم يهذون من شدة الحمى فأخبرت رسول الله ﷺ . قالت فنظر الى السماء وقال : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد : اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة »[١] فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وسكنها والعيش بها ، وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى أنشد :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وهذا من شعر حنظلة بن يسلو وليس من شعر أبى بكر . وحمى المدينة كانت الملاريا لما كان يحيط بها من البرك والآبار حتى ان الجمال كانت تمرض من الشرب منها وكانت قريش تعيب على أهل يثرب مايعتريهم من الحمى وتسلط اليهود عليهم وتسمى الحمى (أم ملدم) قال رسول الله لزيد الخيل وكان قد أتى مع وفد طئ وأسلم «يازيد تقتلك أم ملدم» يعنى الحمى فأصيب بها أثناء الطريق عند عودته ومات بها

مسجد رسول الله ﷺ

قال ابن عمر كان بناء المسجد : على عهد رسول الله ﷺ وسقفه جريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئا فزاد فيه عمر وبناه على ما كان من بنائه ثم غيره عثمان وبناه بالحجارة المنقوشة والفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه ساجا وزاد فيه

وفى الصحيح فى ذكر بناء المسجد: وكنا نحمل لبنة لبنة وعمار[٢] لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » وروى البيهقى فى الدلائل عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال لما بنى النبى

---

(١) الجحفة قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجىء من جهة مصر حاجاً وكان سكانها اذ ذاك من اليهود

(٢) هو عمار بن ياسر وقد قتل يوم صفين وكان يحارب مع على بن أبى طالب وقد جاوز التسعين

صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجراً ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء من بعدى

وعن مكحول قال لما كثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اجعل لنا مسجداً فقال خشبات وثُمامات عريش كعريش أخى موسى صلوات الله عليه . الأمر أعجل من ذلك ورواه رزين وزاد فيه : فطفقوا ينقلون اللبن وما يحتاجون اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الخ (الثمامات ما يبس من الأغصان)

وكان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلى القبلة الى مؤخره مائة ذراع وجعل قبلته الى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره وهو فى جهة القبلة اليوم وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال له باب الرحمة . والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باب آل عثمان اليوم وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة ، ولما صرفت القبلة سد رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلفه وفتح هذا الباب ومحاذيه هذا الباب الذى سد

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع يتكىء عليه فقالت امرأة من الأنصار أورجل يارسول الله الا نجعل لك منبراً ؟ قال ان شئتم فجعلوا له منبراً . ولما فارق رسول الله الجذع وصعد المنبر ، حن الجذع وسمع له صوت كصوت العشار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة ؟ فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه فسكن

وفى صحيح البخارى عن ابن عمر . قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه

ولا شك أن حنين الجذع من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث الجذع مشهور رواه من الصحابة بضعة عشر . وكان المنبر من خشب الاثل ومن درجتين وله مجلس

وذكر ابن بطوطة فى رحلته « الجذع » فقال :

« دخلنا الحرم الشريف وانتهينا الى المسجد الكريم فوقفنا بباب السلام مسلمين

وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذى حن إلى رسول الله ﷺ وهى ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبل القبلة » وقال عند ذكر القبر الكريم :

« وفى الحديث أن رسول الله ﷺ تسليما كان يخطب إلى جذع نخلة بالمسجد فلما صنع له المنبر وتحول اليه ، حن الجذع حنين الناقة الى حوارها . وروى أن رسول الله ﷺ تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لولم ألتزمه لحن الى يوم القيامة . واختلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم فروى أن تميما الدارى رضى الله عنه هو الذى صنعه . وقيل ان غلاما للعباس رضى الله عنه صنعه . وقيل غلام لامرأة من الأنصار وورد ذلك فى الحديث الصحيح وصنع من طرفاء الغابة وقيل من الأثل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله ﷺ يقعد على علياهن ويضع رجليه الكريمتين فى وسطاهن . فلما ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن ووضع رجليه على أولاهن . فلما ولى عمر رضى الله عنه جلس على أولاهن ووضع رجليه على الأرض . وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدراً من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما أن صار الأمر الى معاوية رضى الله عنه أراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون فلما رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفله فبلغ تسع درجات »

ولما حج المهدى بن المنصور العباسى سنة ٢٦١ أراد أن يعيده إلى ما كان عليه فأشار عليه الامام مالك بتركه خشية التهافت فتركه . ويقال ان المنبر الذى صنعه معاوية ورفع منبر النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، تهافت على طول الزمان وجدده بعض خلفاء بنى العباس واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه وسلم أمشاطاً للتبرك ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد فى مستهل رمضان سنة ٦٥٤ أيام المستعصم بالله واشتغل المستعصم عن عمارته بقتال التتار فعمل المظفر صاحب اليمن المنبر وبعث به إلى المدينة سنة ٦٥٦ فنصب فى موضع منبر النبى صلى الله عليه وسلم فبقى إلى سنة ٦٦٦ (١)

(١) صبح الأعشى الجزء الرابع ص ٢٨٨

تزويج النبي ﷺ

بعائشة رضى الله عنها

عائشة رضى الله عنها هى بنت أبى بكر الصديق وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر . ولدت فى السنة الثامنة أو التاسعة قبل الهجرة (٦١٣ — ٦١٤ م) أسلمت صغيرة وتزوجها رسول الله ﷺ بمكة فى شهر شوال قبل الهجرة ودخل بها فى المدينة فى منزل أبى بكر بالسُّنح بعد الهجرة بثمانية أشهر فى شهر شوال وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه اليه وكنيتها أم عبدالله. كنيت بابن أختها أسماء وهى أم عبدالله ابن الزبير وكان يدعوها أما لانه تربى فى حجرها وروت عن النبى ﷺ اكثر من ألف حديث وكانت من أكبر النساء عقلا . فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، تحفظ كثيراً من القصائد، كريمة لاتدخر شيئاً .أحفظ أهل زمانها للحديث وقد روت عنها الرواة من الرجال والنساء

وأثبت بعض المؤرخين أن عائشة كان لديها نسخة من القرآن [١] وقبض رسول الله وهى بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله ورأسه فى حجرها ودفن فى بيتها وتوفيت سنة سبع وخمسين للهجرة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (١٣ يوليه سنة ٦٧٨ م) وقد قاربت سبعاً وستين سنة وصلى عليها أبو هريرة بالبقيع ودفنت ليلا وذلك زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة فى خلافة معاوية وكان مروان استخلف أبا هريرة لما ذهب إلى العمرة فى تلك السنة

روى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : فضلت أزواج النبى ﷺ بعشر خصال : تزوجنى رسول الله ﷺ بكراً دون غيرى . وأبواى مهاجران . وجاء

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية تحت اسم عائشة (Aisha)

جبريل عليه السلام بصورتى فى حريرة . وأمره أن يتزوج بى . وكنت أغتسل معه فى اناء واحد . وجبريل عليه السلام ينزل عليه بالوحى وأنا معه فى لحاف واحد . وتزوجنى فى شوال وبنى بى فى ذلك الشهر . وقبض بين سحرى ونحرى وأنزل الله تعالى عذرى من السماء ودفن فى بيتى ، وكل ذلك لم يساونى غيرى فيه[1]

(١) راجع تفسير الفخر الرازى الجزء الرابع صفحة ٦٥٦

صرف القبلة

عن بيت المقدس الى الكعبة

لما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف الى الكعبة لما بلغه أن اليهود قالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا فقال ياجبريل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود . فقال جبريل : انما أنا عبد فادع ربك وسله ، وجعل اذا صلى الى بيت المقدس يرفع رأسه الى السماء ينتظر أمر الله لأن السماء قبلة الدعاء ، فنزلت عليه ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فوجه الى الكعبة الى الميزاب . ويقال صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون . ويقال بل زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاماً وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ثم أمر أن يتوجه الى الكعبة فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجد القبلتين وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس ثمانية عشر شهراً [1] . وفى البخارى بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال : ان رسول الله ﷺ قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة .

قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وهذا رداً لليهود والمنافقين الذين ساءهم ذلك . وعن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا : أول ما نسخ من القرآن ، القبلة .

---

(١) راجع طبقات ابن سعد

الأذان

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أراد أن يجعل شيئا يجمع به الناس للصلاة فذكر عنده البوق وأهله وذكر الناقوسُ وأهله فكره حتى أرى رجل من الانصار يقال له (عبدالله بن زيد[1]) الأذان وأريه عمر بن الخطاب تلك الليلة فأما عمر فقال إذا اصبحت أخبرت رسول الله ﷺ . وأما الانصارى فطرق رسول الله ﷺ فى الليلة فأخبره وأمر رسول الله ﷺ « بلالا » فأذن بالصلاة وذكر أذان الناس اليوم . قال . فزاد بلال فى الصبح « الصلاة خير من النوم » فأقرها رسول الله ﷺ وليست فيما رأى الأنصارى وله ﷺ من المؤذنين بلال وابن أم مكتوم بالمدينة وكان الأذان فى السنة الأولى من الهجرة بعد ما بنى رسول الله مسجده . أما تخصيص الأذان برؤيا رجل ولم يكن بوحى فلما فيه من التنويه بالنبى ﷺ والرفع لذكره لأنه اذا كان على لسان غيره كان أرفع لذكره . ويقال ان الوحى قد سبق الرؤيا

والأذان لغة : اكثار الاعلام وهو مصدر أذّن تأذيناً . وشرعاً ، إعلام مخصوص على وجه مخصوص بألفاظ مخصوصة . وهو سنة مؤكدة للرجال فى مكان عال . للفرائض الخمس فى وقتها ولو قضاء لا لغيرها . والمؤذنون يتنغمون فى الأذان وليس ذلك من السنة ولا المستحب . والمطلوب تحسين الصوت بما لا تخرج ألفاظه عن المشروع

---

(١) عبد الله بن زيد بن ثعلبة يكنى أبا محمد . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرض صيام شهر رمضان

وزكاة الفطر

نزل فرض صيام شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشرة شهراً من هجرة رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ الآية وقال عز وجل ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان عاشوراء يوماً تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه موافقة لهم ولم يأمر أحداً من أصحابه بصيامه ، فلما قدم المدينة(1) صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه » وكان يهود المدينة يصومونه ويعظمونه لأن الله أنجى فيه موسى وقومه من الغرق وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً لله وصامه رسول الله وأمر بصيامه قائلاً : نحن أحق بموسى منكم ، وفى رواية أنا أولى بموسى . ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم

وركن الصيام الامساك عن المفطرات وأمر فى هذه السنة بزكاة الفطر وذلك قبل أن تفرض الزكاة فى الأموال وكان يخطب رسول الله ﷺ قبل الفطر بيومين فيأمر باخراجها قبل أن يذهب الى المصلى وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحى فى كل عام . وكان يضحى بكبشين سمينين أقرنين أملحين أحدهما عن أمته والآخر عن نفسه وآله فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين

---

(1) من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة

فريضة الزكاة

الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمس وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة .
قال رسول الله ﷺ « بُنىَ الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا »

وقال تعالى (وَآتُوا الزَّكَاةَ) وقال (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) وقال (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

وقال عليه الصلاة والسلام : (أدوا زكاة أموالكم)

وايجاب الزكاة علاج لازالة مرض حب الدنيا عن القلب . ومانع من طغيان الأغنياء . قال تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)

واخراج الزكاة يحبب الأغنياء الى الفقراء والمساكين فيزول عنهم الحقد والحسد والسخط . والمال الفاضل اذا امسكه الانسان صار معطلا . فيجب صرف طائفة منه الى الفقير لاصلاح شأنه . وهذا من أعظم نعم الاسلام ومحاسنه . وقوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) يثبت للامام حق الأخذ من كل مال وكذلك رسول الله ﷺ والخليفتان بعده كانوا يأخذون الزكاة من الناس ويوزعونها على المحتاجين الى أن فوّض عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خلافته أداء الزكاة من الأموال الباطنة الى ملاكها . الا أن هذا لا يسقط طلب الامام أصلا . ولذا لو علم أن بلدة لا يؤدون زكاتهم طالبهم بها . والسواد الأعظم من الأغنياء لا يؤدون الزكاة ، فاشتدت حالة الفقراء كرباً وحرجاً وحنقوا على الأغنياء وامتدت اليهم أيديهم بالقتل والسرقة . لذلك نرى

الخير كل الخير فى أن تجبى الحكومة الزكاة المفروضة وتنفقها فيما يصلح شأن الفقراء من ايوائهم واطعامهم وكسوتهم وعلاجهم وتعليمهم بدلاً من تركهم يعانون آلام الفاقة من جوع وعرى ومرض وتشريد واعتناق للمبادىء الاشتراكية المتطرفة التى نشأت من الخلاف القائم بين الأغنياء والفقراء

فعلى الحكومات الاسلامية الرجوع الى نظام الزكاة وجبايتها لمصلحة المعوزين ولاستتباب الأمن . أما ترك الأغنياء لضمائرهم فى اخراج الزكاة فهو تعطيل لها وابطال لحكمتها

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كان رسول الله ﷺ أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا فكان أولهم قدوماً اليها أبو سلمة بن عبد الأسد وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وبعد قدومه ﷺ الى المدينة بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار لتذهب عنهم وحشة الغربة وليؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض. وقد آخى بينهم على الحق والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال كانوا مائة وخمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار وكان ذلك قبل بدر فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ نسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة فى الميراث ورجع كل انسان الى نسبه وورثه ذوو رحمه . وانا لنذكر هنا بعض من آخى بينهم :

أخذ رسول الله بيد علىّ بن أبى طالب فقال هذا أخى

أبو بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبى زهير الأنصارى (١) . عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الأنصارى . جعفر بن أبى طالب ومُعاذ بن جبل الأنصارى . حمزة ابن عبد المطلب وزيد بن حارثة . أبو عبيدة الجراح وسعد بن معاذ الأنصارى . عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصارى . الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة الأنصارى . طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك الأنصارى . عثمان بن عفان وأوس ابن ثابت الأنصارى . سعيد بن زيد وأبىّ بن كعب الأنصارى . مصعب بن عمير وأبو أيوب الأنصارى . أبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر الأنصارى . عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسى الأنصارى . حاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة

---

(١) كان خارجة بن زيد صهراً لأبى بكر وكانت ابنته تحت أبى بكر

الأنصارى . سلمان الفارسى وأبو الدرداء الأنصارى . أبو ذر الغفارى والمنذر بن عمرو الأنصارى . أبو سبرة بن أبى رهم وسلامة بن وقش الأنصارى . خباب بن الأرت وتميم مولى خراش بن الصمة . صفوان بن وهب ورابع بن العجلان . صهيب بن سنان والحارث بن الصمة . عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو بن ورقة. مسعود بن ربيعة وعبيد بن التيهان . معمر بن الحارث بن معمر ومعاذ بن عفراء . واقد بن عبد الله بن عبد مناف وبشر بن البراء . زيد بن الخطاب ومعن بن عدى . الأرقم بن أبى الأرقم وطلحة بن زيد

قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير . كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم، أى فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة

اسلام عبد الله بن سلام بن الحارث

كان عبد الله بن سلام كما قال بعض أهله عنه حبراً عالماً . قال سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت . قال قلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . فقالت أى ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قلت لها نعم . قالت فذاك اذن . قال ثم خرجت الى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت الى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامى من يهود . ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ان يهود قوم بهت وانى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى فأدخلنى رسول الله ﷺ فى بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته فانى أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه . قالوا كذبت ثم وقعوا بى فقلت لرسول الله ﷺ ألم أخبرك يانبى الله أنهم بهت أهل غدر وكذب ! قال فأظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى وأسلمت عمتى خالدة ابنة الحارث فحسن اسلامها[1]

---

(١) راجع الجزء الثانى من السيرة النبوية لابن هشام

وذكرت دائرة المعارف الاسلامية أنه كان من يهود المدينة واسمه الحصين وسماه النبى ﷺ عبد الله لما اسلم وانه توفى سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ - ٦٦٤ م)

وقد كان عبد الله بن سلام حليفا لبنى الخزرج كنيته أبو يوسف كنى بابنه وهو من بنى قينقاع وكان اسمه فى الجاهلية حصينا ونزل فى فضله قوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ وقول الله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١)

وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه . فقال : انى أسألك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى . قال ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أى شىء ينزع الولد الى أبيه ومن أى شىء ينزع الى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ خبرنى بهن آنفا جبريل . قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت (٢) . وأما الشبه فى الولد فان الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال أشهد أنك رسول الله : الحديث

---

(١) راجع كتاب تهذيب الأسماء ص ٣٤٧ - ٣٤٨ طبع أوربا (٢) هى قطعة متعلقة بالكبد وهى أطيبه . قيل هى أهنأ طعام وأمرؤه

عداء اليهود ومناقشاتهم

عرف بعض اليهود بالمدينة بشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ مع أن علماءهم كانوا يعرفون انه سيبعث نبيّ وكانوا يعرفون صفاته من التوراة فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي وأبو ياسر . وسلام بن مشكم . وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف . وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا . ومخريق الذى أسلم بعد ولبيد بن الأعصم الذى حرضه اليهود وسحر النبى ﷺ ثم جاء جبريل وأخبره بذلك السحر وبمكانه وعفا عنه رسول الله ﷺ . وقال أما أنا فقد عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شراً (يعنى بقتله)

ومنهم مالك بن الصلت . وقد كان من أحبار اليهود ورئيساً فانه قال ما أنزل الله على بشر من شيء . فانظر كيف أدى به عداوه لرسول الله ﷺ الى الكفر بنبينا وبموسى عليهما السلام وبما أنزل عليهما . فقالت اليهود له ما هذا الذى بلغنا عنك ؟ فقال انه أغضبنى فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف

وممن كان من أحبار اليهود حريصاً على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودى . كان شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . مرّ يوماً على الأنصار : الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة . فقال : قد اجتمع بنو قيلة والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار . فأمر فتى شاباً من اليهود فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث : أى الحرب التى كانت بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ، ففعل فتكلم القوم عند ذلك وذكر كل أقوال شاعرهم وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة فنادى هؤلاء يا آل الأوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال

فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ خرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله . اتقوا الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم . فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ . وأنزل الله فى شاس بن قيس (يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا) وأنزل الله فى الأنصار (يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) سورة آل عمران

وقد كان اليهود يسألون النبى ﷺ عن أشياء تعنتا وحسدا وبغيا ليلبسوا الحق بالباطل . فجاء مرة يهوديان الى رسول الله فسألاه عن قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ) . فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا . ولا تزنوا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . ولا تسرقوا . ولا تسحروا . ولا تمشوا ببرىء الى سلطان . ولا تأكلوا الربا . ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يايهود خاصة أن لا تعتدوا فى السبت . فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبى . قال ما يمنعكما أن تسلما . فقالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود

وسألوه ﷺ مرة . فقالوا : أخبرنا عن علامة النبى . فقال : « تنام عيناه ولا ينام قلبه »

وسألوه أى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة . قال : أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه . فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها . قالوا اللهم نعم

وقالوا مرة اغاظة له ﷺ ما يرى لهذا الرجل همة الا فى النساء والنكاح فلو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء . فأنزل الله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) فقد جاء أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية

وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم دخلوا فى دين الاسلام خشية القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى السر وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون . وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبى ﷺ ثلاثمائة . منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة . وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه ﷺ قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم عليكوه . وكان عبد الله بن أبى جميل الصورة ممتلىء الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)

مثال من نفاق ابن أبىّ

من نفاقه ماأخرجه الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال نزلت (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا) الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة . فقال ابن أبى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه، فقال : مرحباً بالصديق سيد بنى تيم

وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال: مرحباً بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ. فقال له على رضى الله عنه: اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله. فقال له عبد الله مهلا ياأبا الحسن أتقول لى هذا والله إن إيماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا. فقال لأصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيراً فرجع المسلمون إلى النبى ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت الآية ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ إلى آخر الآيات التى فى المنافقين كلها فيه وفى أصحابه

وبالجملة قد لاقى النبى ﷺ من شدة الأذى من المنافقين واليهود بالمدينة شيئا كثيراً ولكنه بالنسبة لأذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة فى غاية العزة والمنعة والقوة من أول يوم وأذى اليهود غايته المجادلة والتعنت فى السؤال. ولما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له ﷺ بالقتال

أهل الصُّفَّة

أهل الصفة هم فقراء المهاجرين وكانوا نحو أربعمائة لم يكن لهم مساكن ولا عشائر بالمدينة فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنون ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة. وكان رسول الله يدعوهم بالليل إذا تعشى فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله ﷺ حتى جاء الله بالغنى وكان أبو هريرة من أهل الصفة وكان رسول الله إذا أتته صدقة بعث بها اليهم

عن أبى هريرة قال: خرج النبى ﷺ ليلة فقال: ادع لى أصحابى - يعنى أهل الصفة - فجعلت أتبعهم رجلا رجلا فأوقظهم حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله ﷺ

فاستأذنا فأذن لنـا فوضع لنا صحفة فيها صنيع من شعير ووضع عليهـا يده . وقال : خذوا باسم الله فأكلنا ما شئنا . قال ثم رفعنا أيدينا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الصفحة والذى نفس محمد بيده ما أمسى فى آل محمد طعام ليس شيئا ترونه . فقلنا لأبى هريرة قدركم هى حين فرغتم ؟ قال : مثلها حين وضعت إلا أن فيهـا أثر الأصابع . وكان رسول الله يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى ما بيده للمحتاجين (ومنهم أهل الصفة) حتى ان ابنته فاطمة رضى الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه فطلبت منه خادماً . فقال : لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول آلله الذى لا اله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل . ثم مر بى عمر فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته الا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ثم قال أبا هر" قلت لبيك يارسول الله . قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخل فوجد لبناً فى قدح فقال من أين هذا اللبن ؟ قالوا أهدى لك فلان أو فلانة قال أبا هر . قلت لبيك رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى . قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد . إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفـة ؟ كنت أحقّ أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاؤا أمرنى فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت . فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله . قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى

انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الىّ فتبسم . فقال أباهر قلت : لبيك يارسول الله . قال بقيت أنا وأنت . قلت صدقت يارسول الله . قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت . فقال اشرب فشربت فمازال يقول اشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما أجد مسلكا . قال فأرنى فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة » ـ رواه البخارى فى كتاب الاستئذان

قال الله تعالى يذكر أهل الصفة : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

عن ابن عباس وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم . فقال : أبشروا ياأصحاب الصفة فمن لقينى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفاقى .

وقد ترك أغلب المهاجرين أملاكهم وأموالهم بمكة عدا عثمان فانه تمكن من أخذ جميع أمواله معه . وقد كان غنياً واشتغل المهاجرون بالزراعة ، أعطاهم أهل المدينة أرضاً يستثمرونها

عن أبى سعيد الخدرى . قال : كنا مقدم النبى ﷺ المدينة إذا حضر منا الميت أتيناه فخبرناه لحضره واستغفر له حتى إذا قبض انصرف ومن معه وربما قعد حتى يدفن وربما طال ذلك على رسول الله ﷺ من حبسه . فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض والله لو كنا لانؤذن النبى ﷺ بأحد حتى يقبض فاذا قبض آذناه فلم تكن لذلك مشغلة عليه ولاحبس قال ففعلنا ذلك . قال فكنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت فيأتيه فيصلى عليه ويستغفر له فربما انصرف عند ذلك وربما مكث حتى يدفن الميت فكنا على ذلك أيضا حيناً ثم قالوا والله لو أنا لم نشخص رسول الله ﷺ وحملنا الميت إلى منزله حتى نرسل اليه فيصلى عليه عند بيته لكان ذلك أرفق به وأيسر عليه قال ففعلنا ذلك . قال محمد بن عمر : فمن هناك سمى ذلك

الموضع موضع الجنائز حملت إليه ثم جرى ذلك من فعل الناس من حمل جنائزهم والصلاة عليها فى ذلك الموضع إلى اليوم

الأذن بالقتال

أذن لرسول الله ﷺ فى القتال لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة وقد مكث النبى ﷺ يدعو كفار قريش ثلاث عشرة سنة إلى نبذ الأصنام وعبادة الله الواحد بغير قتال صابراً على شدة أذى العرب فهم لم يزدادوا إلا تعنتاً وتعسفاً واضطهدوا النبى وأصحابه اضطهاداً شديداً وألجأوهم إلى هجر بلادهم وترك أموالهم وكان الصحابة رضى الله عنهم يأتون إليه مابين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتالهم . وقال جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن ابن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون (وهو أخو عثمان بن مظعون) وسعد ابن أبى وقاص: يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فائذن لنا فى قتال هؤلاء . فقال كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم

لم يبق بعد ذلك غير استعمال السلاح للدفاع عن كيانهم والتغلب على عبدة الأصنام فالمسألة صارت مسألة حياة أوموت فاما انتصار يحقق نشر الدين أو انكسار لاتقوم للمسلمين بعده قائمة ، ولوتمكنت قريش من مهاجمة المدينة والانتصار على المسلمين لكان فى ذلك القضاء على الاسلام ، وكان المسيحيون فى الامبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت يقاتلون الفرس وينتصرون عليهم

لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة وكثر أتباعه وقام الأنصار بنصره ﷺ وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن لهم بالقتال فبعث عليه السلام البعوث وغزا بنفسه

وأول ماأنزل فى أمر القتال قوله تعالى فى سورة الحج :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

هذا أول ما أنزل فى الاذن بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية

بعث حمزة

كان أول بعوثه ﷺ أن بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة (٦٢٣م) فى ثلاثين راكباً من المهاجرين . قال بعضهم كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار والمجمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين . ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه فى دارهم . خرج حمزة ومن معه يعترضون عيراً لقريش جاءت من الشام تريد مكة وكان فيها أبو جهل فى ثلاثمائة راكب ولما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص من بلاد جهينة التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدىّ بن عمرو الجهنى وكان مصالحاً للفريقين فانصرف القوم بغير قتال ولم يكن النبى ﷺ معهم ، وكان يحمل اللواء أبو مرثد كنّاز بن الحصين الغنوى وهو أول لواء عقده رسول الله وكان لواء أبيض

سرية عبيدة بن الحارث

وفى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة (٦٢٣م) بعث عبيدة بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف الى بطن رابغ وعقد له لواء أبيض وكان الذى حمله مسطح ابن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانوا ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم

أنصارى ، فاتى أبا سفيان بن حرب [1] وهو فى مائتين من أصحابه وهو على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ على عشرة أميـال من الجحفة وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق ، وإنما نكبوا عن الطريق ليرعوا ركابهم فكان بينهم الرمى ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتـال وإنمـا كانت بينهم المناوشة إلا أن سعـد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فـكان أول سهم رمى به فى الاسلام ثم انصرف الفريقان على حاميتهم

سرية سعد بن أبى وقاص

ثم سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخرّار وهو واد فى الحجاز يصب فى الجحفة وذلك فى ذى القعـدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة عقد له لواء أبيض حمـله المقداد بن عمرو البهروانى ، وبعثه فى عشرين رجلا من المهاجرين يعترض لعير قريش تمر به وعهد إليه أن لا يجاوز الخرار . قال سعد فخرجنا على أقدامنـا فـكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس فنجد العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة

غزوة ودّان أو غزوة الأبواء

أول مغازيه التى خرج فيهـا بنفسه ﷺ غزوة ودان . قال زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم « كنا نعلم مغازى رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن . وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يابنى انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها

فأول غزوة خرج فيها ﷺ (ودان) وهى قرية جامعة من أعمال الفرع . وبعضهم يسميها غزوة الأبواء ، فمنهم من أضافها إلى ودان ومنهم من أضافها إلى الأبواء لأنهما متقاربان فى وادى الفرع بينهما ستة أميـال . خرج رسول الله إليهـا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من الهجرة (يونية سنة ٦٢٣ م) يريد عيراً لقريش وبنى

---

(١) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم وكان يخرج أحيانا بنفسه وكانت إليه راية الرؤساء التى تسمى العقاب وهو الذى قاد قريشا كلها يوم أحد . أسلم ليلة الفتح

ضمرة وقيل لم يكن ﷺ مريداً لهم بل مريداً للعير التى لقريش فلما لقى بنى ضمرة عقد بينه وبينهم صلحاً وكان خروجه فى ستين راكباً ليس فيهم أنصارى فلم يدرك العير التى أراد . وكانت المصالحة بينه وبين بنى ضمرة على أنهم لايغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً ولا يعينون عليه عدواً وأن لهم النصر على من رامهم بسوء وأنه إذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معهم سيدهم مخشى بن عمرو الضمرى وكتب بينهم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب محمد رسول الله ﷺ لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وإن لهم النصر على من رامهم بسوء بشرط أن يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة وان النبى ﷺ اذا دعاهم لنصر أجابوه . عليهم بذلك ذمة الله ورسوله »

وكان لواؤه أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستخلف على المدينة سعد ابن عبادة . وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

غزوة بُواط (١)

ثم غزوة بواط فى شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة (يولية سنة ٦٢٣ م) وكان يحمل لواءه سعد بن أبى وقاص وكان اللواء أبيض واستخلف على المدينة سعد بن معاذ . خرج رسول الله ﷺ فى مائتين من أصحابه من المهاجرين خاصة حتى بلغ بواط يعترض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحى ومائة رجل من قريش و (٢٥٠٠) بعير ففاتته العير ورجع ولم يلق حرباً

---

(١) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى

غزوة بدر الأولى

أو غزوة سَفَوان

وفى شهر ربيع الأول أيضاً غزا رسول الله لطلب كرز بن جابر الفهرى وكان لواؤه أبيض وكان بيد على بن أبى طالب ، واستخلف على المدينة مولاه زيدبن حارثة . وكان كرز بن جابر قد أغار على سرح المدينة فاستاقه وكان يرعى بالجماء[1] فطلبه رسول الله حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوَان من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يلحقه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة . وهذه الغزوة هى غزوة بدر الأولى

أما كرز فانه أسلم بعـد ذلك وحسن إسلامه وولاه رسول الله الجيش الذى بعثه فى أثر العرنيين الذين قتلوا راعيه وقتل كرز يوم الفتح وذلك سنة ثمان من الهجرة وقد ذكر ابن اسحاق هذه الغزوة بعد العشيرة قال ابن حزم بعشرة أيام

غزوة العُشيرة

كانت غزوة العشيرة فى جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة (١ كتوبر سنة ٦٢٣ م) وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان لواء أبيض واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى وخرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحداً على الخروج وخرجوا على ثلاثين بعيراً . خرج يعترض لعير قريش حين أبدأت إلى الشام وكان قد جاءه الخبر بقفولها من مكة فيهـا أموال قريش فبلغ العشيرة وهى لبنى مدلج بناحيـة ينبع وبين ينبع والمدينة تسعة برد فوجد العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام وهى العير التى خرج لها أيضا يريدها حين رجعت من الشام فساحلت على البحر وبلغ قريشاً خبرها

---

(١) السرح ما رعوا من نعمهم . والجماء جبل ناحية العقيق إلى الجرف بينه وبينه ثلاثة أميـال

فخرجوا يمنعونها فلقوا رسول الله ﷺ ببدر فواقعهم وقتل منهم من قتل، وبالعشيرة كنى رسول الله على بن أبى طالب أباتراب وذلك أنه رآه نائماً متمرغاً فى البوغاء[1] فقال اجلس أبا تراب فجلس، وفى هذه الغزوة وادع بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع الى المدينة ولم يلق حرباً

كانت قريش قد جمعت أموالها فى تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير أبا سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص

سرية عبد الله بن جحش الأسدى

أمر رسول الله أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فتجهز فلما أراد المسير بكى صبابة الى رسول الله فبعث مكانه عبد الله بن جحش الأسدى فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين كل اثنين يعتقبان بعيراً الى نخلة وهو بستان بن عامر الذى كان قرب مكة وذلك فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة (نوفمبر سنة ٦٢٣ م) وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يكره أحداً من أصحابه ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشاً ويعلم أخبارهم. فأعلم أصحابه فساروا معه حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع أضل بعيراً وكان زميله عتبة بن غزوان فأقاما عليه يومين يبغيانه ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل خمراً وأدماً وزبيباً جاءوا به من الطائف فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم ابن كيسان فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم وأشرف لهم عكاشة بن محصن الأسدى وقد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم وذلك آخر يوم من رجب، ثم انهم تشاوروا فأجمعوا على القتال فرمى واقد بن عبدالله التيمى عمرو ابن الحضرمى بسهم فقتله وشد المسلمون عليهم فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة

(١) البوغاء: ماثار من الغبار ودقاق التراب

والحكم بن كيسان وهرب نوفل وغنم المسلمون مامعهم . ويقال ان عبد الله بن جحش لما رجع من نخلة خمّس ماغنم وقسم بين أصحابه سائر الغنائم فكان أول خمس خمّس فى الاسلام وذلك قبل أن يفرض وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وعمرو بن الحضرمى أول من قتل المسلمون . وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون وكان الذى أسر الحكم المقداد بن عمرو فدعاه رسول الله الى الاسلام فأسلم وقتل ببئر معونة شهيداً

أما سعد بن أبى وقاص وزميله عتبة بن غزوان فلم يشهدا هذه الغزوة وقدما المدينة بعد عودة السرية بأيام

أقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسرى الى المدينة فلما قدموا قال لهم رسول الله ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقّف العير والأسيرين فسقط فى أيديهم وعنفهم المسلمون وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ ﴾

فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين قبض رسول الله العير وفدى الأسيرين وفى هذه السرية سمى عبد الله بن جحش « أمير المؤمنين »

غزوة بدر الثانية

أو غزوة بدر الكبرى

بدر بلدة بالحجاز الى الجنوب الشرقى من الجار وهو ساحل البحر بينهما نحو مرحلة ويسمونها بدر حنين وهى فى سهل يليه من الشمال الى الشرق جبال وعرة ومن الجنوب آكام صخرية ومن الغرب كثبان رملية

كانت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة فى شهر رمضان فى السابع عشرة على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة (يناير سنة ٦٢٤ م) وكان سببها قتل عمرو الحضرمى واقبال أبى سفيان بن حرب من الشام فى عير لقريش عظيمة وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون أو أربعون رجلا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمرو ابن العاص

فلما سمع بهم رسول الله ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم لأنهم ظنوا أن الرسول لا يلقى حرباً

وكان أبو سفيان قد سمع أن رسول الله ﷺ يريده فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى بعشرين مثقالا وبعثه الى مكة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر فسار وألقى فيهم النفير فخرجوا مسرعين ومن تخلف أرسل مكانه آخر ولم يتخلف أحد من أشراف مكة الا أبو لهب (١) وبعث مكانه العاص بن هشام نظير أجر قدره ٤٠٠٠ درهم ، وكان السبب فى خروجهم حماية العير وانقاذها

---

(١) تخلف أبو لهب خوفا من رؤيا كانت رأتها عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم أفزعتها وقصتها للعباس ثم تحدث بها الناس

قوة قريش

كان الذين خرجوا من قريش نحو ١٠٠٠ منهم ٦٠٠ دارع ومعهم ١٠٠ فرس عليها ١٠٠ درع سوى دروع المشاة

وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضى الله عنه وهو الأب الخامس للامام الشافعى رضى الله عنه

وكان معهم أيضاً ٧٠٠ بعير . وخرجوا ومعهم القيان–وهن الاماء المغنيات–يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية البطر والخيلاء حين خروجهم اعتماداً على كثرة عَددهم وعُددهم قال تعالى :

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ . وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ »

وكان المطعمون لهذا الجيش اثنى عشر رجلا . وكان كل واحد منهم ينحر كل يوم عشرة جزر ، وهؤلاء الاثنا عشر هم : أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام . والعباس بن عبد المطلب . وأبو البخترى . وزمعة بن الأسود . وأبىّ بن خلف . وأمية بن خلف . والنضر بن الحارث . ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وفيهم أنزل الله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ »

قوة المسلمين

كان عدة الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ ٣١٣ . وقيل لما عد ﷺ أصحابه فوجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر فرح . وقال : عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه

النهر . وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه . وكان عددهم ٢٠٧ وسائرهم من المهاجرين وكانت الابل ٧٠ والأفراس خمسة . ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب . ورد رسول الله من استصغر فكان ممن رده أسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت ورد عمير بن أبي وقاص فبكى فأجازه

وتخلف ثمانية من أصحابه ﷺ بسهامهم وأجورهم : ثلاثة من المهاجرين : عثمان بن عفان خلفه رسول الله ﷺ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ . وكانت مريضة فأقام عليها حتى ماتت وطلحة بن عبيد الله . وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان خبر العير وخرجا فى طريق الشام . وكان أبو أمامة بن ثعلبة الأنصارى أجمع الخروج الى بدر وكانت أمه مريضة فأمره ﷺ بالمقام على أمه

وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسى خلفه على المدينة . وعاصم ابن عدى العجلانى خلفه على أهل العالية . والحارث بن حاطب العَمرى رده من الروحاء الى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم . والحارث بن الصمة كسر بالروحاء . وخوّات بن جبير كسر أيضاً . وهؤلاء ثمانية لا اختلاف فيهم

وكانت الابل سبعين بعيراً يتعاقب النفر البعير . وكانت الخيل فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوى . وكان اللواء مع مصعب بن عمير . وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة الأنصارى فكانت قوة المسلمين قليلة بالنسبة لقوة عدوهم

واستعمل ﷺ أبا لبابة والياً على المدينة . ورده واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس بالمدينة

رسول الله ﷺ يستشير أصحابه

كان رسول الله ﷺ بعث رجلين يتجسسان أخبار عير أبى سفيان وهما بَسْبَس

ابن عمرو وعدى بن أبى الزغباء فمضيا حتى نزلا بدراً فأناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداها لصاحبتها ان أتانى العير غداً او بعد غد أعمل لهم أى أخدمهم ثم أقضيك الذى لك . فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا

فاستشار النبي ﷺ أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير يعنى أن النبى ﷺ خيّر أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم بمسير قريش . وقال لهم : ان الله وعدكم احدى الطائفتين : اما العير واما قريش . وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح . وقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير . وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع العدو ، فتغير وجه رسول الله ﷺ

وتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن

وكان ﷺ يخشى أن تكون الأنصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه فجأة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو . فلما قال لهم أشيروا علىّ . قال له سعد بن معاذ رضى الله عنه ، وهو سيد الأوس ، بل هو سيد الأنصار . وكان فيهم كالصدّيق رضى الله عنه فى المهاجرين . قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله . قال : أجل . قال قد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء . لعل الله يريك فينا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ لقوله ونشطه ذلك للقاء الكفار . ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين اما العير واما النفير

الخلاف بين ابى سفيان وأبى جهل

كان أبو سفيان قد ساحل وترك بدراً يساراً ثم أسرع فنجا فلما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش وهم بالجحفة أن الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً (وكانت بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام) فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر فتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا . ويقال كان أبو جهل وقتئذ يبلغ من العمر سبعين سنة

فلما بلغ أبا سفيان كلام أبى جهل قال : هذا بغى والبغى منقصة وشؤم لأن القوم انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله . ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة فلذا قيل لم يقتل أحدمنهم ببدر .وكان قائد بنى زهرة الأخنس بن شريق الثقفى وكان حليفاً لهم . فقال لهم : يابنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل فانه كان فى العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير منفعة.دعوا ما يقول هذا يعنى أبا جهل ، وكذلك لم يخرج من قريش بنو عدى بن كعب فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . لكن هذا الخلاف لم يمنع نشوب الحرب

مسير الجيشين ونزول المطر

مضت قريش حتى نزلت بالعدوة[1] القصوى من الوادى

ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب . وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم

(١) العدوة : جانب الوادى . والقصوى البعدى

وأدرك المسلمين النعاس وأصبحوا لا يصلون الى الماء للشرب والغسل والوضوء .
فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادى، فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادى واغتسلوا وتوضأوا وسقوا الركاب وملأوا الأسقية وأطفأت المطر الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام والحوافر وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم مالا يقدرون معه على الارتحال وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾

وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه . يصلى تحت شجرة ويكثر فى سجوده « ياحىّ ياقيوم » يكرر ذلك حتى أصبح

قال علىّ رضى الله عنه فلما أن طلع الفجر نادى رسول الله ﷺ للصلاة ـ عباد الله ـ فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ ثم خطب وحض على القتال

بناء حوض على القليب

قال ابن اسحاق خرج رسول الله ﷺ يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه يارسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فانى أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون . فقال ﷺ أشرت بالرأى .
فنهض ﷺ ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وقد كان الحباب خبيراً بالآبار فى تلك الجهة ، وقد قبل رسول الله ﷺ مشورته وهى

فكرة سديدة لها أهمية حربية فان الجيش يكون على اتصال دائم بالماء الذى لا غنى عنه . ومن يومئذ قيل لحباب « ذو الرأى »

بناء العريش

وبعد ذلك قال سعد بن معاذ رضى الله عنه يارسول الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه نعدّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحوك ويجاهدون معك . فأثنى عليه ﷺ خيراً ودعا له بخير وقال يقضى الله خيراً من ذلك ياسعد . ثم بنى له العريش فوق تل مشرف على المعركة فدخله النبى ﷺ وأبو بكر الصديق وقام سعد بن معاذ متوشحاً بالسيف

وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال : أخبرونى من أشجع الناس . قالوا : أنت . قال أشجع الناس أبو بكر رضى الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فكان أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ فوالله ما دنا منه أحد الا وأبو بكر رضى الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى أحد اليه الا أهوى اليه أبو بكر رضى الله عنه . وجاء أنه لما التحم القتال وقف أيضاً على باب العريش سعد بن معاذ رضى الله عنه وجماعة من الأنصار . والعريش شىء يشبه الخيمة يستظل به وكان من جريد . قال السيد السمهودى ومكانه (العريش) عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه

عتبة بن ربيعة ينصح قريشا بالرجوع

تقدم قبل ذلك أن أبا سفيان كان من رأيه الرجوع لنجاة عير قريش وأموالها وأن

أبا جهل كان مصمماً على الحرب . فلما اطمأنت قريش بالجهة التي نزلوا فيها أرسلوا عميراً ابن وهب الجمحي[(١)] يستطلع ، فجال بفرسه حول عسكر النبي ﷺ فوجد أنهم يبلغون ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون وقال لهم لقد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا . رجال يثرب تحمل الموت الناقع ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي لا يريدون أن يقبلوا الى أهليهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف[(٢)] قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم . والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتي عتبة بن ربيعة . فقال : ياأبا الوليد انك كبير قريش والمطاع فيها هل لك أن تذكر بخير الى آخر الدهر ؟ فقال : وما ذاك ياحكيم ؟ قال : ترجع بالناس . فقام عتبة خطيباً . فقال : يامعشر قريش والله ما تصنعون شيئاً أن تلقوا محمداً وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته . فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك اذا أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون . ياقوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم .

فلما بلغ أبا جهل هذا الكلام عن عتبة رماه بالجبن . وقال : (والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد) فأفسد أبو جهل على الناس رأى عتبة

تعديل صفوف المسلمين ودعاء رسول الله ﷺ

لما أصبح المسلمون عدّل النبي ﷺ صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها ﷺ فقال :

---

(١) أسلم عمير بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد أحداً مع رسول الله

(٢) يعنى الانصار

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتنى »

اقتحام الحوض

خرج الأسود المخزومى وكان شرساً سيئ الخلق . فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه . فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً ثم اقتحم الحوض زاعماً أن تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض . والأسود هذا هو الأسود بن عبد الأسد المخزومى أخو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى رضى الله عنه زوج أم سلمة رضى الله عنها . وهو أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة . وأما أخوه عبد الله بن عبد الأسد فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك فى أحاديث متعددة .

المبـــارزة

التمس عتبة بن ربيعة بيضة أى خوذة يدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فتعمم ببرد له (١) وخرج بعد أن تعمم بين أخيه شيبـة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الأنصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث الأنصاريان وعبد الله بن رواحة الأنصارى. فقالوا لهم من أنتم ؟ قالوا رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة انمـا نريد قومنا ونادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم . ثم قال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث . قم يا حمزة . قم يا علىّ

---

(١) قـد كان المشركون مجهزين بأسلحة تفوق أسلحة المسلمين فدروع المسلمين كانت قليلة والظاهر أنه لم تـكن لديهم خوذ فى حين أن المشركين كانوا يضعون خوذا على رءوسهم تقيهم النبال والسيوف

فبارز عبيدة ـ وكان أسن المسلمين ـ عتبة وكان أسن الثلاثة ، وبارز حمزة شيبة وبارز علىٌّ الوليد بن عتبة فقتل حمزة شيبة وعلىٌّ الوليد واختلف عبيدة وعتبة ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلىٌّ بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة فحاذياه الى أصحابه . وكانت الضربة التى أصابت عبيدة فى ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء . قيل وهذه المبارزة أول مبارزة وقعت فى الاسلام

تعديل صفوف المسلمين والحث على الجهاد

قال ابن اسحاق لما قتل المبارزون خرج ﷺ من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح فى يده (١) فمر ﷺ بسواد بن غزيّة حليف النجار وهو خارج من الصف فطعنه رسول الله ﷺ فى بطنه بالقدح وقال : « استو ياسواد » فقال : يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى من نفسك (٢) فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : « استقد » فاعتنق سواد النبى ﷺ وقبّل بطنه . فقال : ما حملك على هذا ياسواد ؟ فقال : يارسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخير (٣) ثم لما عدل الصفوف قال لهم : « ان دنا القوم منكم فانصحوهم واستبقوا نبلكم ولاتسلوا السيوف حتى يغشوكم » وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة ثم عاد الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه مع نفر من الأنصار

ألوية المسلمين والمشركين

كان لواء رسول الله الأعظم ـ لواء المهاجرين ـ مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ وجعل رسول الله ﷺ شعار

---

(١) سهم لانصل فيه ولاريش (٢) أى مكنى من القود أى القصاص (٣) قال صاحب أسد الغابة : « رويت هذه القصة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزية »

المهاجرين « يابنى عبد الرحمن » وشعار الأنصار « يابنى عبد الله » وشعار الاوس « يابنى عبيد الله » . ويقال بل كان شعار المسلمين جميعاً يومئذ « يامنصور أمت »

وكان مع المشركين ثلاثة ألوية . لواء مع أبى عزيز بن عمير ولواء مع النضر بن الحارث . ولواء مع طلحة بن أبى طلحة وكلهم من بنى عبد الله

تزاحف الناس والتحام القتال

بعد أن عاد رسول الله ﷺ تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه ﷺ فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا حكيم بن حزام فانه أسلم . وأمر رسول الله ﷺ أن لايحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان ﷺ قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم ثم خرج رسول الله ﷺ يحرض المؤمنين وأخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال شاهت الوجوه (أى قبحت الوجوه) ونفخهم بها ثم أمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال وهو فى العريش يوم بدر: اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد وفى رواية ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد فى الأرض

وروى النسائى والحاكم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبى ﷺ فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده « ياحىُّ يا قوم » لايزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك. فعل ذلك أربع مرات وقال فى الرابعة ففتح عليه . وهذا يدل على عظم هذا الاسم

لما رمى رسول الله المشركين بالحصا لم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه وأنفه وفمه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا وردفهم

المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار الله تعالى بقوله ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ وهذه احدى معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

خرج رسول الله ﷺ وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر . وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام الأنصارى وبيده تمرات يأكلهن « بخ . بخ مابينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء » . ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل . ورُمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل . ثم رمى حارثة بن سراقة الأنصارى فقتل . وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل . واقتتل الناس اقتتالا شديداً فانهزم المشركون فقتل من قتل منهم وأسر من أسر . كان بدء القتال فى الصباح وكانت الهزيمة فى الظهر .

وفى يوم بدر دعا أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن الى المبارزة وكان أسن أولاده فقال له النبى ﷺ « متعنا بنفسك اماعلمت أنك منى بمنزلة سمعى وبصرى » ثم أسلم عبد الرحمن فى هدنة الحديبية وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأرماهم

وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا

وقتل بلالُ أميةَ بن خلف الجمحى صديق عبد الرحمن بن عوف فى الجاهلية لأنه كان يعذبه بمكة على أن يترك الاسلام [١] . وكان ابن عفراء ضرب أبا جهل حتى أثبته وقطع ابن الجموح رجله . فلما أمر رسول الله ﷺ الناس بأن يلتمسوا أبا جهل فى القتلى خرج معهم عبد الله بن مسعود فوجده وهو بآخر رمق فوضع رجله على عنقه وحز رأسه وحمل رأسه الى رسول الله ﷺ . ثم ان النبى ﷺ بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشى مع ابن مسعود حتى أوقفه على أبى جهل . فقال : الحمد لله الذى أخزاك ياعدو رسول الله . هذا كان فرعون هذه الأمة ورأس قاعدة الكفر قال ابن مسعود ونفلنى سيفه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة

(١) راجع تعذيب المسلمين فى هذا الكتاب

امداد المسلمين بالملائكة يوم بدر

وردت الآيات والأحاديث على أن الله تعالى أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر فقاتلوا معهم . فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن سورة الأنفال فمما أنزل خاصاً بالملائكة قوله تعالى :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

وقوله تعالى : « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ »

وقال تعالى فى سورة آل عمران : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ »

وجاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال النبى ﷺ يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب

ان امداد المسلمين بالملائكة من معجزات رسول الله التى نص عليها القرآن الكريم

روى عن سهل بن حنيف عن أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف

سيما الملائكة يوم بدر

كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء ، وقيل حمراء ، وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر ، وبعضهم بعمائم بيض ، وبعضهم بعمائم سود ، وبعضهم بعمائم حمر

وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يوم بدر متعمماً بعمامة صفراء وكانت خيل الملائكة بلقاً مسومة[1]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر

القاء القتلى فى القليب

أمر رسول الله ﷺ بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم وأن يطرحوا فى القليب فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتقطعت أوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . والسبب فى القاء قتلى المشركين فى القليب كثرة جيفهم . فكان جرهم الى القليب أيسر من دفنهم

ثم جاء رسول الله ﷺ حتى وقف على شفير القليب بعد ثلاثة أيام من إلقائهم فيه ومعه أصحابه وقال : يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم ، أمنتكم فكذبتمونى وصدقنى الناس . ثم قال : ياعتبة ، ياشيبة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام (وعدد من كان فى القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فانى وجدت ما وعدنى

---

(١) مزينة

ربى حقاً . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى

الأسرى وفداؤهم

كان فداء الأسرى أربعة آلاف الى ما دون ذلك . فكان يفادى بهم على قدر أموالهم . وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فاذا حذقوا فهو فداؤه . فكان زيد بن ثابت ممن علم (١)

وكان من بين الأسرى العباس عم النبى ﷺ وصنو أبيه يكنى أبا الفضل بابنه الفضل وكان أسن من رسول الله بسنتين . وقيل بثلاث سنين . وكان فى الجاهلية رئيساً فى قريش واليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية فى الجاهلية . خرج مع المشركين يوم بدر فأُسر وشد وثاقه فسهر النبى ﷺ تلك الليلة ولم ينم . فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبى الله ؟ فقال أسهر لأنين العباس فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه فقال له رسول الله ﷺ مالى لا أسمع أنين العباس . فقال الرجل أنا أرخيت من وثاقه . فقال رسول الله ﷺ فافعل ذلك بالأسرى كلهم . قال له رسول الله ﷺ افد نفسك ياعباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية . فقال للنبى ﷺ تركتنى فقير قريش مابقيت . فقال له رسول الله ﷺ : فأين المال الذى دفعته لأم الفضل (٢) وقلت لها ان أصبت فهذا لبنى : الفضل وعبد الله وقثم ؟ فقال والله انى أشهد أنك رسول الله ، ان هذا شىء ما علمه الا أنا وأم الفضل . أشهد أن لا إله الا الله وأنك عبده ورسوله .

وفى رواية قال للنبى ﷺ لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت . فقال له كيف

---

(١) راجع طبقات ابن سعد (٢) يعنى زوجته

تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل (زوجته) وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت . فقال أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله . ونطق بالشهادتين . بحضرة رسول الله ﷺ

وقد قيل ان العباس كان قد أسلم . وكان يكتم اسلامه لديون له كانت متفرقة فى قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضاعت عندهم . وقد جاء فى بعض الروايات أن العباس رضى الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين ؟ وفى رواية وكنت مسلماً ولكن القوم استكرهونى . فقال النبى ﷺ الله أعلم بما تقول ان يك حقاً فان الله يجزيك . ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا . وقد أنزل الله تعالى فى العباس رضى الله عنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) ﴾

وعند نزول هذه الآية قال العباس للنبى ﷺ وددت أنك كنت أخذت منى أضعاف ما أخذت . وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد فى يد كل عبد مال يتجر فيه . وبلغ ما دفعته قريش فداء للأسرى أكثر من (٢٠٫٠٠٠) درهم

وكان من الأسرى : النضر بن الحارث العبدرى وكان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ . وكان يقول فى القرآن انه أساطير الأولين . ويقول: لو نشاء لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الأقاويل . فأمر النبى ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فضرب عنقه . فلما بلغ الخبر أخته قتيلة ، وقيل انما هى بنته رثته بأبيات ثم أسلمت . وفى أسد الغابة أن قتيلة بنت النضر . قال الواقدى هى التى قالت الأبيات التالية فى رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر وهى :

يارا كباً ان الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ... ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة ... جادت بوا كفها وأخرى تخنق

---

(١) سورة الانفال

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هنـاك تشقق
قسراً يقاد الى المنية معتباً ... رسف المقيّد وهو عان موثق
أمحمـد أولست صفو نجيبة ... من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربمـا ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق

وحين سمع ذلك ﷺ بكى وقال: لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه[1]

وكان من الأسرى أيضاً عقبة بن أبى معيط بن ذكوان المكنى بأبى عمرو بن أمية بن عبد شمس. وكان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ ومن المستهزئين به. جاء عن ابن عباس أن عقبة لـما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالى أقتـل بينـكم صبراً؟ فقال له النبى ﷺ بكفرك واجترائك على الله ورسوله. وعقبة هذا هو الذى وضع سلا الجزور على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد

فالنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط هما الأسيران اللذان أمر ﷺ بقتلهما أما سائر الأسرى فقد استشار رسول الله ﷺ فى أمرهم فاستشار أبا بكر وعمر وعلياً رضى الله عنهم فيما هو الأصلح من الأمرين القتل أو أخذ الفداء

رأى أبى بكر رضى الله عنه

فى الأسرى

قال أبو بـكر « يارسول الله. أهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخـذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنـا على الـكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضداً » وقد وافق الصحابة أبا بكر على أخذ الفداء

---

(١) أى يقبل شفاعتها عنده فلا ينافى أن ما فعله حق

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ماأرى مارأى أبو بكر. ولكنى أرى أن تمكننى من (فلان) قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل أخيه فضيرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين ، ماأرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما على رضى الله عنه فلم يذكر عنه جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين . قال العلامة الزرقانى لأنه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها

وكان رأى عبد الله بن رواحة احراقهم فى واد كثير الحطب

لكن رسول الله أخذ برأى أبى بكر رضى الله عنه . وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق . وأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب . ولم يقل وابن رواحة لأنه أشار باضرام النار وليس بشرع

وهذه الآية لرأى عمر رضى الله عنه . وهذا من المواضع التى جاء القرآن فيها موافقاً لقول عمر رضى الله عنه وهى كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف

ولما استقر الأمر على الفداء فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى فى أصحابه . وكان أول أسير فدى أبو وداعة الحارث . فداه ابنه المطلب (وكان كيساً تاجراً) بأربعة

آلاف درهم ثم أسلم وقدعده بعضهم من الصحابة · وعند ذلك بعثت قريش فى فداء الأسارى . وكان الفداءفيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف . ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه كما تقدم

وكان من الأسرى أبو العاص بن الربيع فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبى ﷺ ورضى عنها . وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجه أم المؤمنين رضي الله عنها. ولم يكن فى ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرماً، وانما حرم ذلك بعد لأن الأحكام انما شرعت بالتدريج

وقدمت زينب المدينة بعد شهر من بدر . وقد جاء بها زيد بن حارثة بأمر رسول الله ﷺ ثم أسلم زوجها وهاجر وردها اليه ﷺ بغير عقد بل بالنكاح الأول . وقيل عقد عليها عقداً آخر وولدت له (أمامة) التى كان يحملها ﷺ على ظهره وهو يصلي . ثم لما كبرت تزوجها على رضى الله عنه بعد خالتها فاطمة رضى الله عنها بوصية من فاطمة لعلى بذلك

ومنّ رسول الله ﷺ على نفر من الأسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر . وقد كان يؤذى النبى ﷺ والمسلمين بشعره . فقال : يا رسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن عليّ فمن عليه رسول الله ﷺ وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحداً · ولما وصل الى مكة قال سحرت محمداً ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره. ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبى ﷺ بضرب عنقه . فقال : أعتقنى وأطلقنى فانى تائب . فقال ﷺ « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فضربت عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾

تأثير الانتصار فى المدينة

كان لنبأ الانتصار تأثير عظيم فى النفوس فخاف رسول الله ﷺ كل عدو بالمدينة وحولها وأسلم كثير من اليهود منهم عبد الله بن أبى لكنه لم يكن مخلصا فى اسلامه بل ظل منافقا . ومع انتصار المسلمين فى بدر لم تنقطع معارضة اليهود ودسائسهم فكان لابد من القضاء عليهم واستئصال شأفتهم . وقد كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء سبعين وكانوا يؤذونه ﷺ اذا غاب ويتملقونه اذا حضر

ثم أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية [(١)] وزيد بن حارثة بشيراً لأهل السافلة بما فتح الله على رسوله ﷺ وعلى المسلمين

رجوعه ﷺ الى المدينة

وتقسيم الغنيمة

لما قارب رسول الله ﷺ المدينة خرج المسلمون للقائه بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف . والولائد جمع وليدة وهى الصبية يقلن :

طلع البـدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

وقسم رسول الله ﷺ النفـل وكانت ١٥٠ من الابل وعشرة أفراس ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثيابا وأدما كثيراً حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فهو له ، وتنفل رسول الله زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار وجمل أبى جهل

---

(١) هو موضع قريب من المدينة

وقع خبر الانتصار على قريش

سمعت قريش خبر انتصار رسول الله ﷺ ممن رجع منهم من ساحة القتال (١) وقص أبو سفيان بن الحارث ما رأى على أبى لهب ففقد رشده وضرب أبا رافع ضرباً مبرحا ولم يعش بعدها أبو لهب الا سبع ليال ومات مصابا بالجدرى وبقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه خوفا من العدوى حتى أنتن (٢) . ولما تحققت قريش خبر الهزيمة وما أصابهم من قتل وأسر ناحت على قتلاها شهراً وجز النساء شعورهن . ثم اتفقوا على عدم الاسترسال فى الجزع لئلا يشمت بهم المسلمون وتواصوا على الأخذ بالثأر .

---

(١) قال الكلبي ان الحيسمان بن اياس هو الذى جاء بخبر قتل أهل بدر الى مكة وكان شهد بدراً مع المشركين ثم أسلم (٢) كانت قريش تتقى الجدرى كما تتقى الطاعون وتخشى عدواها

أسباب انتصار المسلمين

فى موقعة بدر

ليست موقعة بدر من الوقائع الكبيرة من حيث عدد جيوش المتحاربين واستعدادهم الحربى فان عدد المسلمين كان نحو ٣٠٠ يقابلهم نحو ألف من أهل مكة ولكنها موقعة مهمة لأنها كانت بمثابة الحجر الأساسى فى انتصار الرسول فى الوقائع المقبلة . فى هذه الموقعة انهزم أهل مكة وظهر ضعفهم فى القتال على كثرة عددهم وفرسانهم وقد أبدى بعض المؤرخين استغرابه لما أصاب أعداء المسلمين من الفشل مع أنهم كانوا أكثر منهم عدداً وكان معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ومع ذلك لم يكتسحوهم أمامهم بفرسانهم وركبانهم بل ولوا هاربين والظاهر أن المسلمين كانوا أحسن نظاما فقد عدل صفوفهم النبى صلى الله عليه وسلم وخطب فيهم مستنهضا هممهم وكان يشرف على الموقعة من ذلك العريش العالى ويصدر الأوامر فكان قائداً عاما ، ولم يصدر من أصحابه أية مخالفة لأوامره . أما أبو سفيان فلم يكن قائداً ماهراً وقد ساعد بناء الحوض وتوفر الماء على النصر ، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية تنص صراحة على أن الله سبحانه وتعالى أمد نبيه بمدد باطنى فحاربت الملائكة مع المسلمين ونصروهم على أعدائهم وقد رآهم بعض الصحابة وبعض أهل مكة فى ميدان القتال وذكروهم بسيماهم فقيل كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر وكان الزبير ابن العوام متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة ـ أى بعضهم ـ بسيما أبى عبد الله يعنى الزبير . وكانت خيل الملائكة بلقاً مسوّمة ـ مزينة ـ . وعن على كرم الله وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الأولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة أمام النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا وقد

جئ بالعباس يوم بدر أسره أبو اليسر وكان مجموعاً وكان العباس جسيما فقيل لأبى اليسر كيف أسرته ؟ قال أعاننى عليه رجل ما رأيته من قبل ذلك بهيئة كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم (١)

وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه قد رأيت جبريل وعلى ثناياه النقع . فقال رجل من بنى غفار أقبلت أنا وابن عم لى فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب فدنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم . قال فأما ابن عمى فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك فتماسكت . وقال أبو داود المازنى انى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفى إليه فعرفت أنه قتله غيرى . وقال سهل بن حنيف كان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف (٢) فكيف بعد هذا كله نكذب امداد الله رسوله بالملائكة فى موقعة بدر !! ان الله قد اختص نبيه بمعجزات وهذه احداها ولا سبيل لانكارها وان أنكرها المستشرقون الذين كتبوا سيرة النبى ﷺ فقد وردت فى القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة

وروى الصحابة رضى الله عنهم الذين شهدوا بدراً أنهم رأوا الملائكة بسيماهم وهم يحاربون . قال حويطب بن عبد العزى شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عبراً رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض ولم أذكر ذلك لأحد (٣)

ومن أسباب انتصار المسلمين قوة العقيدة فان لها تأثيراً عظيما فى الحروب فشتان بين من يحارب بعقيدة راسخة لينصر الله ورسوله فان قتل فاز بنعمة الشهادة وتنعم فى دار الخلد وبين من يحارب وهو لا يشعر بقوة العقيدة التى تدفع خصمه الى القتال من غير مبالاة فالمسلمون كانوا يتوقون الى الموت فى سبيل الله فمن ذلك أن رسول الله ﷺ خرج من العريش يوم بدر وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وحرض المسلمين وقال « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير (٢) راجع تاريخ ابن الأثير (٣) راجع ابن الأثير

غير مدبر الا أدخله الله الجنة » فقال عمير بن الحمام الأنصارى وبيده تمرات يأكلهن:
بخ بخ ما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل
حتى قتل (١)

ويؤكد سير وليام موير Sir William Muir أن الخوف الذى كان مستولياً
على أهل مكة من اراقة دماء أقاربهم مع ما يقابل ذلك من رغبة المسلمين فى القتال، كان
هو العامل المهم فى انتصار المسلمين فى موقعة بدر

فضل أهل بدر

جاء بعض الصحابة الى النبى ﷺ فقال يارسول الله ان ابن عمى نافق أتأذن لى
أن أضرب عنقه ؟ فقال ﷺ : انه شهد بدراً وعسى أن يكفر عنه . وفى رواية
وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وعن
أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اطلع الله على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة . وعند الامام أحمد عن حفصة رضى
الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : انى لأرجو أن لا يدخل النار ان شاء الله
تعالى أحد شهد بدراً أو الحديبية . وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر ويقدمهم
على غيرهم . وفى الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه ﷺ بأن يزادوا
فى الجنازة على أربع تكبيرات تميزاً لفضلهم

(١) راجع أسد الغابة الجزء الثانى تحت اسم حويطب بن عبد العزى

زواج فاطمة بنت رسول الله

سنة ٢ هـ

فاطمة بنت رسول الله ﷺ هى سيدة نساء العالمين ما عدا مريم ابنة عمران صلى الله عليهما. أمها خديجة بنت خويلد. وكانت تكنى أم أبيها وكانت أحب الناس الى رسول الله ﷺ

زوجها رسول الله ﷺ من علىّ بعد أن ابتنى بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وابتنى بها بعد تزويجه اياها بسبعة أشهر ونصف وكان سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر. وانقطع نسل رسول الله ﷺ الا منها فان الذكور من أولاده ماتوا صغاراً

خطب أبو بكر وعمر فاطمة الى رسول الله فأبى عليهما. فقال عمر أنت لها ياعلىّ فقال مالى من شىء الا درعى أرهنها فزوجه رسول الله ﷺ فاطمة. فلما بلغ ذلك فاطمة بكت. فدخل عليها رسول الله فقال: مالك تبكين يافاطمة؟ فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأولهم سلماً

وعن على رضى الله عنه، قال خطبت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى مولاة لى. هل علمت أن فاطمة خطبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت لا. قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك قلت: وهل عندى شىء أتزوج به؟ فقالت انك ان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك. فوالله مازالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جلالته وهيبته. فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما أستطيع أن أتكلم. فقال ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت. فقال: لعلك

جئت تخطب فاطمة ؟ قلت نعم . قال وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ فقلت لا والله يارسول الله . فقال ما فعلت بالدرع التي سلحتكها ؟ فقلت عندى ، والذى نفس علىّ بيده انها لُحَطَمِيَّة[1] ماثمنها أربعمائة درهم . قال قد زوجتك فابعث بها فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ليلة البناء بفاطمة : لا تحدثن شيئاً حتى تلقانى . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علىّ وقال : « اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى نسلهما »

قال ابن اسحاق وحدثنى من لا أتهم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يغار لبناته غيرة شديدة . كان لا ينكح بناته على ضرة

وعن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله صلى يقول وهو على المنبر : ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم علىّ بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد علىّ بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانها بضعة منى . يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجهزوا فاطمة . فجُعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف . وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأ البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلىّ رضى الله عنه فى جانب آخر ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء الآخرة فقال : أهاهنا أخى ؟ قالت أم أيمن : أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال نعم . أى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع علىّ تزويجى إياه بنتى . ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها : ائتنى بماء . فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء الى قعب

---

(١) حطمية . دروع نسبت إلى بطن من عبد قيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع

فى البيت . فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه (أى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب والقعب اناء ضخم كالقصعة) ثم قال لها تقدمى فتقدمت ، فنضح بين ثديها وعلى رأسها وقال : اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . ثم قال : أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ، ثم فعل مثل ذلك بعلى ، ثم قال له : ادخل بأهلك باسم الله والبركة ، وكان مهرها رضى الله عنها ٤٠٠ درهم فضة . وخرّ علىّ رضى الله عنه ساجداً شكراً لله تعالى

وكانت وليمة علىّ رضي الله عنه آصعاً من شعير وتمر وحيس (وهو تمر يخلط بسمن) وقيل أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار . وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش

وتلقب فاطمة بالبتول لانقطاعها عن الدنيا . ولدت لعلىّ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم

غزوة بنى سُليم

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى – وهو من مشاهير الصحابة – وعلى الصلاة ابن أم مكتوم (١) . وكان لواؤه أبيض حمله على بن أبى طالب رضى الله عنه . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له (الكدر (٢)) فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير . وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

---

(١) ابن أم مكتوم هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم . مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمه أم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم وهو ابن خال خديجة بنت خويلد فان أم خديجه رضى الله عنها فاطمة بنت زائدة بن الأصم . هاجر الى المدينة واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزاوته على الصلاة فقط لانه كان أعمى وقضاء الاعمى غير صحيح . وشهد ابن أم مكتوم فتح القادسية ومعه اللواء . قيل انه قتل بالقادسية شهيدا وقيل انه رجع الى المدينة فمات بها

وهو الاعمى الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه فى قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وأجمع المفسرون على أن الذى عبس وتولى هو الرسول عليه الصلاة والسلام وأجمعوا على أن الاعمى هو ابن أم مكتوم . أتى رسول الله ابن أم مكتوم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله قطعه لكلامه وأعرض عنه فنزلت هذه الآية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول هل لك من حاجة ، ولا شك أن فى استخلافه للمدينة اكراما له

(٢) الكدر جمع أكدر قرقرة القدر . قال الواقدى . بناحية المعدن قريبة من الارحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره ماء لبنى سليم وقيل لهذا الماء الكدر لأن به طيراً فى ألوانها كدرة

غزوة بنى قينقاع

قينقاع اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، أضيف اليهم سوق كان بها ، ويقال له سوق بنى قينقاع . وهم من موالى الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت وعبدالله ابن أبىّ ابن سلول ، وكان عددهم قليلا وصناعتهم الصياغة ، وكانت بينهم وبين بنى النضيروبنى قريظة عداوة قديمة فى الجاهلية سببها اشتراكهم مع الخزرج فى يوم بعاث

كانت غزوة بنى قينقاع فى شوال من السنة الثانية من الهجرة (فبراير سنة ٦٢٤ م) قال ابن اسحاق : كان من أمر بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال : يامعشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبىّ مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله اليكم »

قالوا يامحمد انك ترى انا كقومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس

دعا رسول الله بنى قينقاع الى الاسلام ، والى الاعتراف بنبوته لأنهم يجدون ذلك فى كتابهم ، لكنهم مع ذلك وعلى قلة عددهم واقامتهم مع المسلمين فى المدينة نفسها أغلظوا له فى الجواب ولم يقفوا عند حدود الأدب وادعوا الشجاعة

قال الدكتور ولفنسون فى كتابه تاريخ اليهود فى صدد ما ردوا به على رسول الله: « انهم أجابوه بكل جرأة وتبجح ـ ص ١٢٩ » وقال « يظهر من هـذا الرد أن بنى قينقاع كانوا يعتمدون على معاضدة حلفائهم من الخزرج فى نزاعهم مع الرسول قبل كل شىء ،اذ لا يتصور أن بطناً صغيراً كبطن بنى قينقاع يجرؤ على إعلان الحرب ضد أغلب بطون يثرب، ولكن بنى الخزرج خذلوهم ولم يتحركوا لنجدتهم رغم أنهم من مواليهم ص ١٢٩ ـ ١٣٠ »

وقد كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال :

كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

ولم يرو هذه الحادثة ابن اسحاق وكذا لم يذكرها الطبرى فى تاريخه ولا ابن سعد فى طبقاته . وليس فى هـذه القصة ذكر لاسم المرأة ولا اسم الصائغ الذى قتل ولا اسم المسلم القاتل له ، ولذلك نشك فى هذه القصة لا لأن ابن اسحاق لم يروها بل لأن روايتها بهذه الصفة تحملنا على الشك اذ ليس فيها ما يساعدنا على البحث والتحقيق

وقد حاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد حتى نزلوا على حكمه فـكتفوا وهو يريد قتلهم فقام اليه عبـد الله بن أبى ابن سلول حين أمكنه الله منهم (وكانوا حلفاءه وحلفاء عبادة بن الصامت) . فقال يامحمد أحسن فى موالىَّ فأبطأ عليه النبى ﷺ . فقال يامحمد أحسن فى موالىَّ . فأعرض عنه النبى ﷺ فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : أرسلنى وغضب ﷺ حتى رأوا فى وجهه ظلالا[1] ثم قال : ويحك أرسلنى . قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن الى موالىَّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعونى من الأسود والأحمر تحصدهم فى غداة واحدة وانى والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ هم لك .

وعن عمر بن قتادة أنه قال : خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم فأرسلوهم ، ثم أمر باجلائهم وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال ولم تكن لهم أرضون انما كانوا صاغة فأخذ رسول الله ﷺ منهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم . وكان الذى ولى

---

(١) يعنى تلوناً

اخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت فمضى بهم حتى بلغ ذِبَاب[1] وهو يقول الشرف الابعد الأقصى فالأقصى . وكان رسول الله ﷺ استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر

وقد استغرق خروجهم ثلاثة أيام وذهبوا الى أذْرِعات[2] ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا . وكان عددهم ٤٠٠ حاسر و٣٠٠ دارع فسألوا رسول الله ﷺ أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة وأن لهم النساء والذرية ويجعلوا بقية الأموال للنبى ﷺ ومنها الحلقة التى هى السلاح، ولم يكن لهم نخيل ولا أراض تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا فخمست أموالهم . جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمساً له ﷺ . وقد وجد فى منازلهم سلاح كثير فأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسىّ قوساً تدعى (الكتوم) لا يسمع لها صوت اذا رمى بها . كسرت بأحد وقوساً تدعى (الروحاء) وقوساً تدعى (البيضاء) وأخذ درعين ، درعاً يقال لها (السُّغديّة) يقال لها درع داود التى لبسها حين قتل جالوت والأخرى يقال لها (فضة) وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف . ووهب ﷺ درعاً لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ . وكان لواء رسول الله ﷺ يوم بنى قينقاع لواء أبيض مع حمزة بن عبد المطلب

---

(١) جبل بالمدينة (٢) بلدة بالشام

غزوة السويق

غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّوِيق فى ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة (ابريل سنة ٦٢٤ م) وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة . وكان أبو سفيان حين رجع الى مكة نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أى لا يأتى النساء حتى يغزو محمداً ﷺ فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه (١) فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير ليلاً فأتى حُيي بن أخطب وهو من رؤساء بنى النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه الى سلاّم بن مِشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه خمراً وبطن له من خبر الناس . ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش الى المدينة فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوارا (٢) من نخل بها ووجدوا بها معبد بن عمرو الأنصارى وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس

فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم فى ٢٠٠ من المهاجرين والأنصار واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر (وهو أبو لبابة) حتى بلغ قرقرة الكُدر. ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يارسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال نعم

---

(١) الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كما بقى فيهم الحج والنكاح ، فكان الحدث الأكبر معروفاً عندهم ، وأما الحدث الأصغر فلم يكن معروفا عندهم (٢) جمع صور وهو النخل الصغير

وانما سميت «غزوة السَّوِيق» لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم «السويق» فرجع المسلمون بسويق كثير فسميت (غزوة السويق)[1]

والظاهر أن أبا سفيان أراد بهذه الغزوة أن يبر يمينه فقط لأنه لا يتصور أنه كان يريد بهذه القوة الصغيرة (٢٠٠ راكب) الانتصار على المسلمين فى هذه الغزوة بعد أن شاهد قوتهم فى غزوة بدر. لذلك كانت هذه مناوشة لا قيمة لها

(١) السويق هو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بالماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن

غزوة ذى أمرّ

وهى غزوة غَطَفَان

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهى غزوة ذى أمرّ لأن جمعاً من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا بذى أمرّ يريدون الاغارة ، جمعهم دُعْثُور بن الحارث المحاربى . فخرج رسول الله ﷺ فى ٤٥٠ رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمجيئه هربوا فى رءوس الجبال فرجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً وأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك . وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له حبار فدعاه رسول الله الى الاسلام فأسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشريعة الاسلامية كما هو دأبه من العناية بتعليم المسلمين وفى هذه الغزوة أسلم دعثور بمعجزة من النبى ﷺ مع أنه هو الذى جمع قومه لمحاربته ﷺ وكان سيداً شجاعاً وبعد أن أسلم ذهب الى قومه ودعاهم الى الاسلام فاهتدى به خلق كثير .

زواج أم كلثوم

فى هذه السنة « الثالثة » عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد موت أختها رقية

زواج حفصة

فى شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد أن انقضت عدتها من زوجها خُنيْس بن حذافة ، وكان ممن شهد بدراً ، وتوفى بالمدينة . قال عمر رضى الله عنه : ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين

وقد كان عمر رضى الله عنـه عرض حفصة ابنته على أبى بكر فلم يجبه بشىء وعرضها على عثمان فلم يجبه بشىء فقال عمر يارسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فأعرض عنى فقال رسول الله ﷺ : ان الله قد زوج عثمان خيراً من ابنتك وزوج ابنتك خيراً من عثمان ، فتزوج عثمان ام كلثوم وتزوج رسول الله حفصة

سرية زيد بن حارثة

سرية زيد بن حارثة الى القرْد ـ ماء من مياه نجد ـ وسببها أن قريشاً خافوا من طريقهم التى يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أميـة وحويطب بن عبـد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله زيد بن حارثة رضى الله عنه فى ١٠٠ راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها وهرب الرجال،فقدم بالعير على رسول الله فخمسها فبلغت قيمة الخمس عشرين ألف درهم . وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة (سبتمبر سـنة ٦٢٤ م)

قتل كعب بن الأشرف

كعب بن الأشرف اليهودى كان أبوه عربياً من بنى نبهان . أصاب دماً فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعباً . وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة ، شاعراً مجيداً ، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم . وكان يهجو رسول الله ﷺ فى أشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله . وكان من عداوته أنه لما أصيب أصحاب بدر قدم زيد بن حارثة الى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله ﷺ الى من بالمدينة من المسلمين يخبرانهم بفتح الله عزوجل عليه وقتل من قتل وأسر من أسر من المشركين، كبر عليه ذلك وقال: أحق هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان (البشيران) وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن الخبر ورأى الأسرى خرج الى قريش يبكى قتلاهم ويحرض بأشعاره على قتال النبى ﷺ ، وكان ينتقل من قوم الى قوم وأخباره تصل الى النبى ﷺ فيذكره لحسان فيهجوه ، وقال رسول الله ﷺ « اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئت » ، ثم رجع الى المدينة فتغزل فى نساء المسلمين وذكرهن بسوء وأبى أن ينزع عن أذاه ، وكان يرمى الى احداث ثورة فى المدينة ضد رسول الله ﷺ فغضب رسول الله ﷺ وقال : من لى بابن الأشرف ؟ فقال محمد بن مَسْلمة أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله هو خالى ، أنا أقتله . قال فافعل ان قدرت على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله قلت لك قولاً لا أدرى أأفين لك به أم لا ؟ قال انما عليك الجهد .

ثم أتى أبا نائلة ، وكان أخاً لكعب بن الأشرف من الرضاعة وكان شاعراً وعباد ابن بشر والحارث بن أوس وأخبرهم بما وعد به رسول الله من قتل ابن الأشرف ، فأجابوه وقالوا كلنا نقتله ، ثم أتوا رسول الله وقالوا يارسول الله لا بد لنا أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك . ومعنى ذلك أنهم استأذنوه أن يقولوا قولاً غير مطابق للواقع يسر كعباً ليتوصلوا به الى قتله وكان لا بد لهم من التماس الحيلة لأنه كان يقيم فى حصن منيع خارج المدينة ، فأباح لهم الكذب لأنه من خِدع الحرب ، فجاء محمد بن مَسلمة كعب بن الأشرف فقال : ان هذا الرجل - يعنى النبى صلى الله عليه وسلم - قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل وانه قد عَنَّانا[1] وانى قد أتيتك أستسلفك قال كعب وأيضاً والله لتَمَلُّنَّه[2] . قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شىء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين . قال : ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ؟ ثم أجابهم بأنه يسلفهم ، وقال ارهنونى قالوا أى شىء تريد ؟ قال أرهنونى نساءكم . قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال فأرهنونى أبناءكم ، قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن وسق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع علمك بحاجتنا اليه قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه أيضاً أبو نائلة وقال له : ويحك يا ابن الأشرف انى قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عنى . فقال أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء . عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير الى ما أقول . فقال انى أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى أصحابا على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء . فقال ان فى الحلقة

---

(١) عنانا : أى أتعبنا بما كلفنا به من الأوامر والنواهى التى فيها تعب لكنه فى مرضاة الله وهذا من التعريض الجائز (٢) أى تزيد ملالتكم وتتضجرون منه أكثر وأزيد من ذلك

لوفاء ، وكان أبو نائلة أخاً لـكعب من الرضاعة ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاعة، فجاءه محمـد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الأوس . ولما فارقوا النبى صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة ، فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهـد بعرس فنـاداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم ووثب فى ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت: انك امرؤ مُحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائماً ما أيقظنى، فقالت والله انى لأعرف فى صوته الشر فقال لها كعب لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن تمشى الى شعب العجوز[1] نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم . فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ، ثم ان أبا نائلة أدخل يده فى باطن رأسه ثم شم يده وقال : ما رأيت كالليـلة طيباً أعطر قط ! ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلهـا وأمسكه من شعره وقال : اضربوا عدو الله فضربوه بأسيافهم فوقع على الأرض فجزوا رأسه فحملوه فى مخـلاة كانت معهم الى رسول الله ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة شهر ربيع الأول (يوليه سنة ٦٢٤م)

هذه الحادثة قد أوقعت الرعب فى نفوس اليهود جميعاً، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فلم يخرج من عظمائهم أحد من شدة خوفهم

قتل ابن سُنَيْنَة

ولما سمع مُحيّصة بن مسعود ذلك من رسول الله وثب على ابن سُنينَة اليهودى وهو من تجار يهود فقتـله فقال له أخوه حُويّصة وهو مشرك ياعدو الله قتلته أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله وضربه . فقال محيّـصة :لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك

---

(١) اسم موضع كان قريبا منهم

لقتلتك ، قال فوالله لئن كان لأول اسلام حويصة فقال ان ديناً قد بلغ بك ما أرى لعجب ثم أسلم .

هذه قصة مقتل كعب بن الأشرف ذكرنا ملخصها من أوثق المصادر التاريخية .
وقد استنكر بعض الافرنج الذين كتبوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم اغتيال كعب بأمر رسول الله . لكن كعباً هو الذى أساء الى نفسه إذ قد ساقه الغرور الى ارتكاب متن الشطط بعداء النبى معتمداً على ثروته وجاهه وشعره، فانه بعد أن عاهد النبى مع من عاهده من اليهود نقض العهد وتشط يهجو رسول الله والمسلمين بأشعاره، ورحل الى مكة يبث الدعوة للقتال فاذا ما عاد الى المدينة تغزل بنساء المسلمين . ولا ريب أن ذلك كله يوغر الصدور والعرب لا يغفرون لمن يرمى نساءهم بسوء . ومن هذا نرى أنه كان عرضة للقتل بيد كل من يغار على حريمه ودينه من المسلمين

ذكرنا مقتل كعب بن الأشرف قبل موقعة أحد لأن سرية محمد بن مسلمة كانت فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة، وغزوة أحد فى شوال من هذه السنة . ذلك أن كعباً لما جاء البشيران اللذان أرسلهما رسول الله ليزفا الى المسلمين خبر انتصارهم فى بدر وقتل من قتل وأسر من أسر من أشراف قريش لم يصدقهما . فلما سأل الناس وتثبت من صحة الخبر رحل الى مكة وأخذ يحرض قريشا على قتال المسلمين بأشعاره طارقا أبوابهم ثم رجع الى المدينة يشبب بنساء المسلمين فأمر رسول الله بقتله فقتل وقد حدث ذلك بعد موقعة بدر وقبل أحد اذ الذى دفعه الى الرحيل الى مكة واظهار عدائه شدة تغيظه من انهزام المشركين وانتصار المسلمين ذلك الانتصار المبين . وقد ذكر ابن هشام وابن الأثير وابن سعد فى طبقاته وفى كتاب السير للامام أبى العباس مقتل كعب قبل أحد وكذلك أورده الطبرى قبل أحد مع حوادث السنة الثالثة للهجرة وقد نقل عن الواقدى أن النبى وجه من وجه اليه (أى كعب) فى شهر ربيع الأول من هذه السنة (الثالثة) وأرخ مستر موير هذه الحادثة يوليه سنة ٦٢٤ (السنة الثالثة من الهجرة)

ومن الغريب أن الأستاذ ولفنسون يغمض عينيه عن هذه المراجع المهمة (فى رسالته تاريخ اليهود) ويتشبث برأى اليعقوبى ويعتبره صحيحاً لأن اليعقوبى يقول ان

النبى أمر بقتل كعب بن الأشرف بعد يوم أحد أى فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة . لكن ماالذى ألجأ الاستاذ الى ذلك ؟ ان الذى ألجأه الى ذلك نفى التهمة عن كعب بن الأشرف وهى تحريضه قريشا على قتال المسلمين وتشبيبه بنسائهم فاضطر الى تكذيب رواية ابن هشام وغيره من كبار المؤرخين

فلماذا قتل كعب اذن ؟

قال الاستاذ : انه قتل فى السنة الرابعة قبيل محاصرة النبى لبنى النضير وكان قتله بمثابة اعلان حرب عليهم فانه كان زعيما من زعمائهم .

وبذلك نفى الأستاذ ولفنسون التهمة عن كعب وجوّز على النبى قتل زعيم من زعماء بنى النضير لا لشىء غير اعلان الحرب عليهم

غزوة أحد

يوم السبت ١٥ شوال سنة ٣ هـ (يناير سنة ٦٢٥ م)

أحد جبل مشهور بالمدينة فى شمالهـا الغربى بينه وبين المدينة ثلاثة أميال . سمى بذلك لتوحده وانفراده عن جبال أخر هناك

وسببها أن قريشاً لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبـد الله بن أبى ربيعة . وعكرمة بن أبى جهل . وصفوان بن أمية . ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ، فكلموا أبا سفيان وكل من له تجارة فى تلك العير التى كانت سبباً فى وقعة بدر ، وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة ولم تعط لأربابها فقالوا ان محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا عمن أصاب منا ونحن طيبو النفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشنا الى محمد

فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبـد مناف معى فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لأهل العير رءوس أموالهم وكانت ٥٠٫٠٠٠ دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح دينار لكل دينار . وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أميـة لأبى عزة الجمحى : يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك علىّ ان رجعت أن أغنمك . وان أصبت أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فقال : ان محمداً قد منّ علىّ وأطلقنى . فلا أريد أن أظاهر عليـه . قال بلى فأعنا بلسانك .

خرج أبو عزة ومسافع يستفزان الناس باشعارهما . ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً يقذف بالحربة قلما يخطئ بها ، فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة

ابن عبد المطلب بعمى طعيمة بن عدىّ فأنت حرّ . لأن حمزة هو الذى قتل طعيمة يوم بدر . وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمداً أو حمزة أو علياً فى أبى فانى لا أرى فى القوم كفؤا له غيرهم ، فأنت عتيق

وكان أبو سفيان بن حرب قائدهم وكانت عدتهم ٣٠٠٠ فيهم ٧٠٠ دارع ومعهم ٢٠٠ فرس . وجملة النساء ١٧ امرأة معهن الدفوف والمعازف أى آلات الملاهى والخمور والبغايا وخرجت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها الحارث بن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيره يبكين قتلى بدر (اذ البكاء دأب النساء) وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار

وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال . وكتب العباس للنبى ﷺ وأخبره بجمعهم وخروجهم وأرادوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشىء من المال . فجاء كتابه للنبىّ ﷺ وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بنى غفار . استأجره وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك . فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لأبى بن كعب فقرأه عليه .

وهذا مما يؤيد أن النبى ﷺ كان أميا بمعنى أنه ما كان يعرف القراءة والكتابة والا لكان قرأ الكتاب بنفسه وكتم سره بدلا من أن يطلب من أبى بن كعب تلاوته ثم يستكتمه

ثم نزل ﷺ على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضى الله عنه فقال : والله انى لأرجو أن يكون خيراً فاستكتمه اياه . ولما خرج رسول الله ﷺ من عنده ، قالت له امرأته : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال لها : يا أم محمد ما أنت وذاك ! فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاسترجع وأخذ بيدها ولحق النبىّ صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها . وقال يا رسول الله انى خفت أن يفشو الخبر فترى أنى أنا المفشى له ، وقد استكتمتنى اياه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها .

سارت قريش ومعهم الأحابيش [1] الذين حالفوا قريشـا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة وخرج معهم أبو عامر الراهب فى ٧٠ فارساً . وسماه رسول الله الفاسق بدلا عن الراهب وابنه حنظلة من فضلاء الصحابة وهو من المستشهدين بأحد . اجتمع الأحابيش عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يداً واحدة ماسجا ليل ووضح نهار ومارسا حبيش مكانه

سارت قريش حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة . وكان وصولهم يوم الأربعاء ثانى عشر شوال فأقاموا به الأربعاء والخميس والجمعة ، وتشاور المسلمون فى الخروج من المدينة . وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول رأى النبى ﷺ فانه كان يرى عدم الخروج منها . ولكن ألح عليه ﷺ بعض الصحابة فخرج فأصبح بالشعب من أُحد يوم السبت للنصف من شوال

وقد رأى النبى ﷺ رؤيا قبل خروجه ، وكانت ليلة الجمعة . فلما أصبح قال : والله انى قد رأيت خيراً . رأيت بقراً تذبح ورأيت ذباب سيفى (طرفه) ثلماً ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وكأنى مردف كبشاً . فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون . وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل . وأولت الدرع الحصينة المدينة ، وأولت الكبش بأنى أقتل صاحب الكتيبة . وقد صدق الله رؤياه ﷺ . فكان الرجل الذى من أهل بيته « حمزة » سيد الشهداء . وقتل علىّ رضى الله عنه « طلحة بن عثمان العبدرى » صاحب لواء المشركين . فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم . وكان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فى الغزوة كما سيأتى

قال رسول الله ﷺ لأصحابه : امكثوا بالمدينة ، فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . وأرسل الى عبد الله بن أبىّ بن سلول يستشيره تألفاً له ولم يستشره قبل ذلك . فكان رأى عبد الله مع رأيه ﷺ . فقال رجال من المسلمين

---

(١) سموا أحابيش باسم جبل بأسفل مكة يقال له « حبيش »

لم يحضروا بدراً وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها : يارسول الله ، انا كنا نتمنى هذا اليوم ، اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون اناجبنا عنهم

فقال ابن أبىّ : يارسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج اليهم . فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا . ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم . فدعهم يارسول الله فان أقاموا ، أقاموا بشر مجلس ، وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا

وقال حمزة بن عبد المطلب وسعدبن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الأنصارانا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبناً عن لقائهم . فيكون هذا جرأة منهم علينا . وزاد حمزة فقال : والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة . وقال النعمان : يارسول الله لا تحرمنا الجنة . فوالذى نفسى بيده لأدخلنها

فترجح عنده ﷺ موافقة رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضي الله أمراً كان مفعولا ولم يكن قد أوحى اليه فى شأن البقاء أوالخروج

صلى رسول الله ﷺ بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم بأن النصر لهم ماصبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ثم صلى بالناس العصر . ثم دخل ﷺ بيته ومعه صاحباه فعمماه وألبساه وتقلد السيف وخرج وقد لبس لأمته (درعه وقيل سلاحه)

اصطف الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليـه وسلم فقال لهم سعد بن مُعاذ رضى الله عنه وأسيد بن حضير : استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر اليـه . وكان سعد بن معاذ سيد الأوس وهو فى الأنصار كالصديق فى المهاجرين .

ولمـا خرج رسول الله متقلداً سيفه ، ندم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغى لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت . وفى رواية فان شئت فاقعد . فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه

واستعمل على المدينة « ابن أم مكتوم » رضى الله عنه . وعقد لواء للأوس وجعله بيد أسيد بن حضير . . ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر . ولواء للمهاجرين وجعله بيد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

وكان فى المسلمين مائة دارع (الدارع لابس الدرع) وركب ﷺ فرسه وقيل خرج ماشياً وخرج السعدان أمامه يعدوان - سعد بن معاذ وسعد بن عبادة - وكانا دارعين . ورد ﷺ جماعة من المسلمين نحو سبعة عشر لصغر سنهم منهم : أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب . ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل إنه رام . فخرج وأصيب بسهم

ورأى ﷺ جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبىّ يريدون الخروج . فقال أوقد أسلموا ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : مروهم فليرجعوا ، فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين . وكان المسلمون الخارجون معه ﷺ ١٠٠٠ ثم انخذل عبد الله بن أبىّ ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ٣٠٠ فبقى المسلمون ٧٠٠ وكان عدد المشركين ٣٠٠٠

وقال ابن أبىّ حين أراد الرجوع : عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له . علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس

لما انخذل ابن أبى ومن معه سقط فى أيدى طائفتين من المسلمين وهمتا أن تفشلا وهما : بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الأوس

ثم مضى رسول الله حتى نزل الشعب من أُحد فى عدوة الوادى فى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أُحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفاً . ثم اصطف المسلمون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص

وقال النبى ﷺ للزبير بن العوام : استقبل خالداً وكن بازائه ، وأمر جماعة آخرين أن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الا فرس أو

فرسان . وجعل النبى ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى وهو أخو خوات بن جبير . وكان الرماة خمسين رجلا . فأقامهم النبى ﷺ على جبل صغير مرتفع . وقال لهم :

« احموا ظهورنا . لا يأتونا من خلفنا ، وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل . انا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم . اللهم انى أشهدك عليهم »

وفى رواية قال لهم :

« ان رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم . وان رأيتمونا هزمنا القوم أو ظاهرناهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم »

ثم عرض رسول الله ﷺ سيفاً وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام رجال وبسطوا أيديهم . كل انسان منهم يقول : أنا يارسول الله منهم أبو بكر الصديق وعمر وعلى والزبير . فأمسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه « أبو دجانة » فقال : وما حقه يارسول الله ؟ قال : أن تضرب فى وجه العدو حتى ينحنى : قال أنا آخذه يارسول الله . قال : لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكيول (مؤخر الصفوف) قال : لا يا رسول الله . فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب . فلما رآه ﷺ يتبختر قال : انها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى مثل هذا الموطن . فحمل أبو دجانة لا يلقى أحداً من المشركين الا قتله . وكان اذا كلّ السيف شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو

ولما اصطف القوم نادى أبو سفيان : يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم . فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن

وخرج طلحة بن أبى طلحة وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مراراً فلم يخرج اليه أحد . فخرج اليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فضربه فقطع رجليه فوقع على الأرض وبدت عورته فرجع عنه ولم يجهز عليه . فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبى طلحة فحمل عليه الزبير فقطع يده و كتفه . فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فقتله . فحمله

مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله . ثم حمله أخو مسافع وهو الحارث بن طلحة فرماه عاصم أيضاً فقتله . ثم حمل اللواء كلاب بن طلحة فقتله الزبير فحمله جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على رضى الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو فقتله قزمان . فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضاً . ثم حمله صواب غلامهم وكان عبداً حبشياً فقتله علىّ . ثم لم يزل اللواء طريحاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فاستداروا حوله

قد كان لواء المشركين شؤماً عليهم ، فكلما حمله أحد قتل وهكذا قتل أحد عشر رجلا حملوا اللواء بالتوالى وكان اهتمام المسلمين موجهاً إلى حامل العلم بنوع خاص لأنه كبش الكتيبة . ونكب بحمل العلم كل من مسافع والحارث وكلاب وجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة فكلهم قتلوا كأبيهم وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد

ولما قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ (أمت ! أمت) وشعار الكفار (ياللعزى !) (ياهبل !)

الكرة على المسلمين

انهزم المشركون ووقع المسلمون ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب . فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم «الغنيمة أى قوم قد غلب أصحابكم، فما تنتظرون ؟» ومعنى ذلك أن الرماة طمعوا فى الغنيمة ناسين أمر القائد العام وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه أمرهم بالثبات فى مراكزهم وقال : انا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم . فقال لهم قائدهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله لا تبرحوا . فأبوا

أن يطيعوه ، وقالوا : والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا هاهنا ؟

فلما توجهوا الى محل الغنيمة ، كر المشركون راجعين . ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذى كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقى من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ووقعت الهزيمة فى المسلمين لأنهم خالفوا ما نهاهم عنه رسول الله ﷺ فعوقبوا لمخالفته .

ووقع الاختلاط فى جيش المسلمين وارتبكوا

ثبات رسول الله ﷺ

ثبت رسول الله ﷺ ولم يفارق مكانه الذى وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبراً واحداً عن موقفه مع أن الاختلاط كان شديداً حتى فقد المسلمون التميز بينهم وبين أعدائهم وترك المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو (أمت ! أمت !) فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض ، وحافظ المشركون على شعارهم . ومما زاد فى ارتباك المسلمين أن رجلاً اسمه قميئة الليثى قتل مصعب بن عمير وكان يشبه النبي ﷺ اذا لبس لامته فظن أنه قتل رسول الله فأذاع ذلك . وكان عدة الشهداء من المسلمين ٧٠ رجلا وعدة القتلى من المشركين ٢٣ رجلا . وكان بين القتلى حنظلة ابن أبي سفيان . ووصل العدو الى رسول الله وأصابته حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى وشُج فى وجهه وكلمت شفته السفلى

المنهزمون من المسلمين

وصار المسلمون ثلاث فرق : فرقة استمروا فى الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال ، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل . فصارت غاية الواحد منهم أن يدافع عن نفسه أو يواصل القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة

وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئا لما عرفوا أنه ﷺ حيّ

قال موسى بن عقبة : لما غاب النبي ﷺ عن أعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ ، قال رجال من المنافقين : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل . فارجعوا الى دينكم الأول ، وفى ذلك أنزل الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ وقال رجل منهم ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان : ياقوم ان محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت . فقال أنس بن النضر عم أنس ابن مالك رضى الله عنهما : ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل . فقاتلوا عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبي ﷺ سعد بن معاذ رضى الله عنه ووافق أنس ابن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان من قلوبهم

وروى ابن اسحاق أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، فقال ان كان قد قتل (يعنى محمداً) فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال أنس : ولقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه

وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال . يا رسول الله غبت عن أول قتال ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحـد وانكشف المسلمون ، قال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ اليك ممـا صنع هؤلاء (يعنى المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ . فقال: ياسعد الجنة . ورب النضر انى أجد ريحها دون أحد . قال سعد فما أستطيع أن أصف ماصنع وقد مثل به المشركون

وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ، ثابت بن الدحداح رضى الله عنه فانه قال : يامعشر الأنصار . ان كان محمد قد قتل فان الله حى لايموت . قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم . فنهض اليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب . فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار

رسول الله ومن ثبت معه

ذكرنا أن رسـول الله قـد ثبت ولم يتزحزح عن موقفه عندما انهزم المسلمون واختلطوا وقتلوا وفر من فر منهم . قال ابن سعد :مازال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر . وكان أقرب الناس إلى القوم . وهذا مايؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان أشجعهم وأثبتهم . وجاء عن علىّ رضى الله عنه وغيره . كنا إذا اشتد البأس (أى حمى القتال) اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى فيجعلونه فى وجه القوم ويـكونون خلفه صلى الله عليه وسلم

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد ، قلت أذود عن نفسى . فاما أن أستشهد وإما أن ألحق حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينا أنا كذلك ، إذا برجل محمر وجهه ما أدرى من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به

فى وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى أتوا الجبل . ففعل ذلك مراً ولا أدرى
من هو وبينى وبينه المقداد فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه ، إذ قال المقداد ياسعد
هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك . فقلت وأين هو ؟ فأشار إليه فقمت
وكأنه لم يصبنى شىء من الأذى وأجلسنى أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك
فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . اللهم استجب لسعد . اللهم
سدد رميته وأجب دعوته . فكان سعد مجاب الدعوة . حتى إذا فرغ النبل من
كنانتى نثر صلى الله عليه وسلم لى ما فى كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله
عليه وسلم

وعن سعد رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى والنبى صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل
ويقول : ارم فداك أبى وأمى حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول : ارم به . وجاء
أن سعداً رمى يوم أحد ألف سهم مافيها سهم إلاورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .
ارم فداك أبى وأمى . ففداه ذلك اليوم ألف مرة . وعن علىّ رضى الله عنه قال : ما
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبى وأمى إلا لسعد رضى الله عنه (يعنى
يوم أحد فلا ينافى أن النبى ﷺ قال مثل ذلك للزبير رضى الله عنه يوم الخندق)

وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة عشر : سبعة من المهاجرين وهم :

(١) أبو بكر الصديق (٢) عمر بن الخطاب (٣) عبد الرحمن بن عوف (٤) سعد
ابن أبى وقاص (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام (٧) أبو عبيدة بن الجراح

أما علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقد صحت الأحاديث بأنه ممن ثبت وبعض
الرواة لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعد مصعب

وسبعة من الأنصار وهم :

(١) أبو دجانة (٢) الحباب بن المنذر (٣) عاصم بن ثابت (٤) الحارث بن الصمة
(٥) سهل بن حنيف (٦) سعد بن معاذ (٧) أسيد بن حضير

وما زال النبى صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى اندقت سيتها (والسية

ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر) وفى رواية حتى تقطع الوتروبقى فى يده قطعة قدر شبر

شجاعة امرأة

وثباتها مع رسول الله ﷺ

لما انكشف المسلمون واختلط أمرهم ثبتت أم عمارة المازنية واسمها نسيبة وهى زوج زيد بن عاصم . قالت : خرجت يوم أحد لأنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة إلىّ . روى أنه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا ؟ قالت ابن قميئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل ابن قميئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان .

وجاء فى رواية : خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بارك الله عليكم أهل بيت . فقالت له نسيبة رضى الله عنها : ادع الله أن يرافقك فى الجنة . فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة . وعند ذلك قالت رضى الله عنها : ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا

وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها : ما التفت يميناً وشمالاً يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دونى . وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحاً ما بين طعنة برمح وضربة بسيف

فهذه حقاً شجاعة مدهشة لامرأة وقد تحملت ما أصابها من الجراح فى سبيل الجهاد وهو مايعجز عن تحمله الرجال فضلاً عن النساء ، مع العلم بأن كثيراً قد فروا

من القتال لما أصابهم من الفزع والاختلاط ويلاحظ أن المسلمين فى قتالهم المشركين كانوا يرجون الاستشهاد كى يفوزوا بجنة الخلد فما كانوا يبالون بحياتهم الدنيوية لأنها زائلة مشوبة بالأحزان والآلام . أما الآخرة فانهـا دار بقاء ينعم فيهـا أهل الشهادة والصالحون . وكان النساء يحاربن مع الرجال ويضمون الجراح

وجاء فى أسد الغابة أن أم عمارة شهدت بيعة العقبة وشهدت أحداً مع زوجها وابنيهـا وشهدت بيعة الرضوان وشهدت اليمامة فقاتلت حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذ اثنتى عشرة جراحة . روى عنها عكرمة مولى ابن عباس أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم . أرى كل شىء الرجال . ما أرى النساء يذكرن بشىء . فنزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وبمثل هذه الروح انتصر المسلمون فى جميع حروبهم وانتشر الاسلام

احدى معجزات رسول الله ﷺ

لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة سيأتى ذكرها فى كتابنا هذا ومن هذه المعجزات المعجزة الآتية :

أصيبت عين قتادة بن النعمان من بنى ظفر وقد تدلت على وجنته فردها عليه رسول الله ﷺ فصحت وكانت أحسن عينيه (الطبرى) وقال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان . فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته

قال ابن اسحاق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدها

قتل أبىّ بن خلف

أقبل أبىّ بن خلف يوم أحد نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أين محمد ؟

لا نجوت ان نجا . فاستقبله مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعباً فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه فأقبل وهو يقول . يا كذاب أين تفر ؟ فتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضى الله عنه فرماه صلى الله عليه وسلم بها فأصابت عنقه وخدشته خدشاً غير كبير واحتقن الدم بذلك الخدش . فرجع وهو يقول : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك . إنا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمى بها . فمابك والله من بأس . ما أجزعك ! إنما هو خدش . ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ماضره . فقال واللات والعزى . لوكان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز (سوق من أسواق الجاهلية) لماتوا أجمعون . إنه قال لى بمكة أنا أقتلك . فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . وكان أبىّ يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن عندى العود (يعنى فرساً له) أعلفه كل يوم فرقا (مكيال) من ذروة أقتلك عليها . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله

ولم يقتل رسول الله بيده الشريفة أحداً إلا أبى بن خلف لاقبل ولا بعد . ثم مات أبى وهم راجعون إلى مكة بسرف وقيل ببطن رابغ

اصابة رسول الله

وصل العدو إلى رسول الله كما قدمنا فأصابته حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى وشج فى وجهه وكلمت شفته السفلى . وكان الذى أصاب رسول الله عتبة ابن أبى وقاص والدم يسيل على وجهه وهو يقول :

« كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » فنزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

ودخلت خلقتان من المغفر (١) فى وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائماً . وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا

(١) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة

غاصتا فى وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليها حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين.
وامتص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام (من مس دمه دمى لم تصبه النار) فاستشهد فى هذه الغزوة .

وكان سبب وقوع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابن قميئة علاه بالسيف فلم يؤثر السيف فيه إلا أن ثقل السيف أثر فى عاتقة فشكى صلى الله عليه وسلم منه شهراً وقُذف رسول الله بالحجارة حتى وقع لشقه

ولما أصيب رسول الله قالوا لو دعوت عليهم فقال : « إنى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة . اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون » فاعتذر عنهم وتضرع إلى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وهذا غاية الحلم

فاطمة بنت رسول الله

تضمد جراحه

خرج نساء المدينة وخرجت معهن فاطمة بنت رسول الله . فلما لقيت رسول الله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلىّ يسكب الماء فيتزايد الدم . فلمارأت ذلك أخذت شيئا من حصير فأحرقته بالنار حتى صار رماداً فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم

المثلة بالمسلمين

وبحمزة رضى الله عنه

اشتغل المشركون ذكوراً وإناثاً بقتلى المسلمين يمثلون بهم . يقطعون الآذان والأنوف

والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وأشراف أصحابه

وقد قاتل حمزة ذلك اليوم قتالا شديداً وكان يقاتل بسيفين . وآخر قتيل قتله رضى الله عنه سباع بن عبد العزى الخزاعى . فلما أكب عليه ليأخذ درعه قتله وحشى غلام جبير بن مطعم ثم أسلم بعد ذلك

واتخذت هند بنت عتبة من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائدوأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً غلام جبير وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وهند هذه هى زوج أبى سفيان وأم معاوية وقد أسلمت فى فتح مكة بعد زوجها كما سيأتى

والتمس رسول الله عمه حمزة فوجده مبقور البطن ومجدوع الأنف والأذنين فساءه التمثيل به . فقال : لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم . ولما رأى المسلمون حزن رسول الله وغيظـه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً فى الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . فالمثلة كانت تقترفها العرب فى الجاهلية فى الحروب انتقاما من أعدائهم إذا بلغ منهم الغيظ مبلغه . لـكن الاسـلام حرمها لشناعتها . فعن ابن عباس : إن الله عز وجل أنزل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وقال : « أصبر وأحتسب »

هـذا ما نهى عنه الدين الاسلامى الحنيف ونهى عنه قواد الجيوش الاسلامية جيوشهم . لـكنا نرى بعض جيوش الدول المتمدنة تقترف المثلة بأعدائها وهم يزعمون أن الدين الاسلامى دين همجية ووحشية !!

أسباب انهزام المسلمين

في موقعة أحد

كان أبوسفيان بن حرب هو الذي قاد قريشاً كلها يوم أُحد ولم يكن بأعلم من رسول الله بقيادة الجيش وتنظيمه . لكن أبا سفيان استطاع أن يجند عددا كبيراً من قريش فكانت عدتهم ٣٠٠٠ فيهم ٧٠٠ دارع ومعهم ٢٠٠ فرس . أما مجموع الذين خرجوا للقتال مع رسول الله ٧٠٠ منهم ١٠٠ دارع ولم يكن فيهم سوى فرسين لأن عبد الله بن أبي انخذل عن رسول الله بثلث الناس وعاد بهم إلى المدينة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صف المسلمين بأصل أُحد وجعل الرماة على جبل صغير وأمرهم بأن لا يبرحوا مكانهم قائلا لهم « احموا ظهورنا حتى لا يأتونا من خلفنا » طمعوا في الغنيمة وهبطوا تاركين مركزهم . وبذلك تمكن خالد بن الوليد من الكر على المسلمين بالخيل من الخلف فانكشفوا ووقع الاختلاط بينهم وذاع في الجيش أن محمداً قتل فازداد ارتباك المسلمين وفروا منهزمين وفر بعضهم إلى المدينة .

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزحزح عن مركزه وشاهده بعض الصحابة فالتفوا حوله وثبتوا معه وقاتلوا قتالا شديداً حتى ان سعد بن أبي وقاص وحده رمى يومئذ بألف سهم ورمى رسول الله عن قوسه حتى اندقت سيتها واستطاع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يهبط الطائفة التي علت الجبل من قريش ، لكن هذا كله كان بعد أن وقعت الهزيمة بالمسلمين بسبب مخالفتهم أمر رسول الله فقد كانوا منتصرين في بدء الموقعة

نداء أبي سفيان

أشرف أبوسفيان على القوم بعد الموقعة فقال أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاتجيبوه مرتين ، ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لاتجيبوه ثم قال أفى القوم ابن الخطاب ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا لو كانوا فى الأحياء لأجابوا فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال كذبت ياعدو الله فقد أبقى الله لك مايخزيك . فقال اعل هبل . اعل هبل . وقيل انه صرخ بأعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال يوم أحد بيوم بدر اعل هبل . وسبب ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم « نعم » وعلى الآخر « لا » وأجالها عند هبل فخرج بهم « نعم » فتوجه إلى أُحد فقال اعل هبل أى زد علواً فقال رسول الله ﷺ أجيبوه فقالوا ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : الا لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله أجيبوه . قالوا مانقول ؟ قال قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم »

ولما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان . هلم ياعمر . فقال رسول الله ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك ياعمر أقتلنا محمدا فقال عمر « اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن » فقال أنت أصدق عندى من ابن قَمِيئَة وأبر لقول ابن قميئة له انى قتلت محمداً

ثم نادى أبو سفيان انه قد كان فى قتلاكم مُثُل والله مارضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت

وقد كان الحليس بن زبان أخو بنى الحارث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الأحابيش قد مرّ بأبى سفيان بن حرب وهو يضرب بشدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون لحما . فقال ويحك اكتمها عنى فانها كانت زلة

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدر للعام القابل . فقال : رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه . قل نعم هو بيننا وبينك موعد

ثم بعث رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب . فقال : اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون . فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم

يريدون مكة . وان ركبوا الخيـل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علىّ فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا إلى مكة

من هذا يتضح أن أبا سفيان قد خشى عاقبة ما فعله من ضرب شـدق حمزة . فقال للحليس اكتمها عنى فانها كانت زلة وبرأ نفسه فى ندائه قائلا والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت . أما نداؤه « ان موعدكم بدر للعام القابل » فخطأ منه لأن هـذا الانذار يعطى المسلمين مهلة للاستعداد لمحاربته والتغلب عليـه ومع أن جيش مكة تغلبوا على المسلمين فى هذه الموقعة فانهم اكتفوا بذلك ولم يجنوا ثمار انتصارهم فلم يحاولوا الهجوم على المدينة بل قفلوا راجعين إلى مكة . والظاهر أن أبا سفيان تخوّف اقتفاء أثر المسلمين الى المدينة إذ قد تصلهم نجدة منها .

استشهاد سعد بن الربيع الأنصارى

قال رسول الله ﷺ من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع . أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ لأن النبى ﷺ رأى الأسنة قد أشرعت إليه .

فقال رجل من الأنصار هو أبى بن كعب رضى الله عنه . أنا أنظر اليك يارسول الله ما فعل سعد فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق وقد طعن اثنتى عشرة طعنة ! فقال له ان رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات . قال أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم انه لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم ﷺ (١) وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح أن مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره . فقال رسول الله ﷺ رحمه الله نصح لله والرسول حياً وميتا

---

(١) أى يصل اليه شىء من الأذى

كان سعد بن الربيع كاتبا فى الجاهلية ومن النقباء يوم العقبة وشهد بدراً واستشهد يوم أُحد

ان سؤال رسول الله عن سعد بن الربيع فى مثل هذا المأزق الحرج هو من شدة عطفه ومحبته لأصحابه وهـذا خلق عظيم فقـد كان يسأل عنهم فى الحرب وفى السلم ويهتم بشئونهم وكانوا يحبونه حـباً شديداً يفوق كل حب ويدافعون عنه إلى آخر رمق من حياتهم ويخشون أن يصل إليه أى أذى وان نصيحة سعد بن الربيع لقومه بالمحافظة على رسول الله ﷺ وهو يلفظ النفس الأخير من أبلغ الأدلة على فرط محبة أصحـابه ﷺ له لسمو مكانته فى نفوسهم وقـد كان قتادة بن النعمان يتقى السهام بوجهه دون وجه رسول الله ﷺ فـكان آخرها سهما ندرت منه حدقته فأخذها بيده وسعى بها إلى رسول الله ﷺ فردها صلى الله عليه وسلم وكانت أحسن عينيه فانظر كيف بلغت محبة الصحابة لرسول الله ﷺ

قتل مخيريق

قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بنى ثعلبة بن الفيطون قال لما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق . قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لاسبت لـكم فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا « مخيريق خير يهود »

وكان مخيريق حبراً عالما غنيـاً كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد فى علمـه . وخالف قومه اليهود واشترك فى موقعة أُحد التى لم يشترك فيها أحد من اليهود غيره . فلما قتل قبض رسول الله صـلى الله عليـه وسلم أمواله وتصدق بها

انتحار قُزمان

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : قال كان فينا رجل أتى لا يُدرى من أين هو يقال له قزمان

وكان رسول الله ﷺ يقول - إذا ذكر له - انه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بنى ظفر . فجعل رجال من المسلمين يقولون له والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر . قال بماذا أبشر فو الله ان قاتلت الا عن أحساب قومى ولولا ذلك ماقاتلت . فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقطع رواهشه فنزفه الدم فمات فأخبر به رسول الله ﷺ فقال « أشهد أنى رسول الله حقاً »

دفن قتلى أحد

كثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى القبر الواحد. أمر النبى ﷺ بدفن شهداء أحد ولم يصل على أحد منهم ولم يغسلهم وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادى رسول الله ﷺ يقول ردوا القتلى إلى مضاجعهم فأدرك المنادى واحداً وهو شماس بن عثمان المخزومى فانه قتل وحمل إلى المدينة وبه رمق فقال رسول الله احملوه إلى أم سلمة فحمل إليها فمات عندها فأمر رسول الله أن يرد إلى أحد فيدفن هناك ولم يكن قد دفن بالمدينة أما من دفن فأبقوه

وقال رسول الله ﷺ انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام فانهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد

رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة

لما أراد رسول الله الرجوع إلى المدينة ركب فرسه وخرج والمسلمون حوله

وعامتهم جرحى ومعـه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد وقال اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل (فـكان عليـه الصلاة والسلام يحب النظام) فاصطف الرجال خلفه صفوفاً وخلفهم النساء فقال :

« اللهم لك الحمد كله لاقابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لمـا منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعـدت ولا مبعد لمـا قربت » الحديث ثم عاد الى المدينـة يهدىء روع نساء القتلى ويدعو لهن وقد نهاهن عن اللطم وحلق الرءوس وتخميش الوجوه وشق الجيوب

ذكر غزوة أحد

فى القرآن

أنزل الله تعالى من القرآن فى غزوة أحد ستين آية فى سورة آل عمران .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

زعم أكثر العلماء بالمغازى أن هذه الآية نزلت فى وقعة أحد . وقد كان المسلمون يومئذ كثيرين فلما انشقوا وخالفوا أمر الرسول انهزموا

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ :

انه تعالى لما ذكر قصة أحد أتبعها بذكر قصة بدر لأن المسلمين كانوا فى غاية الضعف والكفار فى غاية القوة . ولكن لما كان الله ناصراً لهم قهروا خصومهم . ثم قال تعالى :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ ان هذا الوعد كان يوم بدروهو قول أكثر المفسرين . وقد قالوا ان الملائكة حاربوا يوم بدر ولم يقاتلوا فى سائر الأيام وهذا المدد من المعجزات

﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

فجعل مجىء خمسة آلاف من الملائكة مشروطاً بثلاثة أمور : الصبر ، والتقوى ومجىء الكفار على الفور . فلما لم توجد هذه الشرائط لا جرم لم يوجد المشروط

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ والمراد بالكبت الاخزاء والاهلاك والهزيمة والغيظ والاذلال . فكل ذلك ذكره المفسرون فى تفسير الكبت

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

نزلت هذه الآية فى قصة أحد لأن النبى ﷺ لما شجه عتبة بن أبى وقاص وكسر رباعيته جعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم » فنزلت هذه الآية وقيل انه لعن أقواماً فنزلت هذه الآية

الى أن قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾

لما وقع الصراخ بأن محمدا قتل كما تقدم ذكره فى غزوة أحد ، قال بعضهم لو كان نبيا لما قتل . ارجعوا إلى اخوانكم وإلى دينكم . فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك « ياقوم ان كان قد قتل محمد فان رب محمد حى لايموت . وماتصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ . قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه . ثم قال : « اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء » ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل . ولما شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته احتمله طلحة بن عبيدالله ودافع عنه أبو بكر وعلى رضى الله عنهم ونفر آخرون معهم . ثم ان رسول الله ﷺ جعل ينادى ويقول « إلىّ عباد الله » حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمتهم . فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فاستولى الرعب على قلوبنا فولينا مدبرين

وقد ذكر الله تعالى الحكمة فى ما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبى ﷺ وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم

الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ . مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ . ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقال تعالى تعزية لأصحاب رسول الله على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى لا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم ولا تحزنوا ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فأنتم الأعلون ، يعنى الظاهرون عليهم ولكم العقبى فى الظفر والنصرة عليهم ان كنتم مؤمنين

غزوة حمراء الأسد

حمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة . وكانت الغزوة صبيحة أحد . إذ وقعة أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الأحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة . وكانت لطلب العدو الذين كانوا بالأمس

قال الواقدى باتت وجوه الأنصار على بابه ﷺ فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزنى فأخبر النبى ﷺ انه أقبل من عند أهله بملل ـ اسم موضع قرب المدينة ـ اذا قريش قد نزلوا ، فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئاً . أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم . قد بقى منهم رءوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى ، وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج . فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم . فقال ﷺ أرشدهم صفوان وما كان برشيد . والذى نفسى بيده لقد سوّمت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كالأمس الذاهب

ولما صلى رسول الله ﷺ الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج أى أمر بلالا أن ينادى ان رسول الله ﷺ يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد الا من خرج معنا أمس يعنى من شهد أحداً وأراد بذلك اظهار الشدة بالعدو والزيادة فى تعظيم من شهد أحداً ومنع بذلك اختلاط المنافقين . لم يشهد هذه الغزوة الا من شهد أحداً عدا جابر بن عبد الله فانه قال لرسول الله ﷺ ان أبى خلفنى يوم أحد على أخوات لى سبع فلم أشهد الحرب فأذن لى أن أسير معك فأذن له رسول الله ﷺ فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال غيره

وبعث رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد فبصروا بالرجلين فقتلوهما . ومضى رسول الله ﷺ ودليله

ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما . وكان رسول الله ﷺ مجروحاً وفى وجهه أثر الحلقتين فقال رسول الله ﷺ لطلحة : ياطلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة . وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن

أقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الاثنين والثلاثاء والأربعاء . وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم

وكان اللواء بيد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان منه يوم أحد فرجع الى مكة

ثم رجع رسول الله ﷺ بأصحابه ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً وظفر ﷺ عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان فأمر بقتله

قال الطبرى : « وفيها - أى فى السنة الثالثة من الهجرة - علقت فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما . وقيل لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين الا خمسون ليلة (وفيها) حملت - فيما قيل - جميلة بنت عبد الله بن أبىّ بعبد الله بن حنظلة بن أبى عامر فى شوال »

بعث الرَّجيع

الرجيع ماء لهذيل . وقال ابن اسحاق والواقدى . الرجيع ماء لهذيل قرب الهدأة بين مكة والطائف

وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لأن الوقعة كانت بالقرب منه

وبعث الرجيع هى سرية عاصم بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه . وكان بعثه فى صفر من السنة الرابعة (مايو سنة ٦٢٥ م)

وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل مشوا الى عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفراً من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام ، فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . وقيل انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيوناً الى مكة ليأتوه بخبر قريش . فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم ، بعث معهم ستة من أصحابه للامرين جميعاً وهذه البعثة مؤلفة من : عاصم بن ثابت . ومرثد بن أبى مرثد الغنوى . وخبيب بن عدى الأوسى البدرى . وزيد بن الدَّثِنة . وعبد الله بن طارق . وخالد ابن البكير

خرج هؤلاء حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم . فقالوا انا والله لانريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . وقالوا ذلك لأنهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لا شىء أحب الى قريش من أن يأتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لانقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا

وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره بالظهران . وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما فابتاع خبيباً حُجير بن أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث

ابن عامر بن نوفل وكان حجير أخى الحارث بن عامر لأمه ليقتله بأبيه . وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف وكان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم فقتلوا زيداً وأما خبيب فقد مكث أسيراً حتى خرجت الأشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا فى أول الأمر أساءوا اليه فى حبسه فقال لهم ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فأحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وقد قالت ماوية كان خبيب يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه . فقلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى . فلما أرادوا ذلك أخبرته فو الله ما اكترث بذلك ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال ذرونى أصل ركعتين فتركوه فصلى سجدتين فجرت سنَّة لمن قتل صبراً أن يصلى ركعتين ثم قال خبيب لولا أن يقولوا جزع لزدت وما أبالى على أى شقى كان لله مصرعى ثم قال

وذلك فى ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

اللهم أحصهم عدداً وخذهم بدداً ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أنّ محمداً مكانك ؟ قال لا والله ماأحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه . وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك فقال أبوسفيان رضى الله عنه : مارأيت من الناس أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً وقد قتل زيداً نسطاس

وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فمنعته الدبر (الزنانير) فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وكان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لايمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركا أبداً تنجساً منه .

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ان الدبر منعته « عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته »

ولما قتل من وجهه النبي ﷺ الى عضل والقارة من أهل الرجيع وبلغ خبرهم رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمرى الى مكة مع رجل من الأنصار وأمرهما بقتل أبى سفيان بن حرب . وكان عمرو بن أمية الضمرى عالما بمكة جريئا . فلما وصلا مكة طافا بالبيت أسبوعا فعرف عمرا رجل منهم فصاح بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية ففر هو وصاحبه ووصلا الى المدينة ناجيين

سرية بئر معونة [1]

وتسمى هذه السرية سرية المنذر بن عمرو الخزرجى، وتسمى أيضا بسرية القراء

كانت هذه السرية فى شهر صفر فى السنة الرابعة من الهجرة (مايو سنة ٦٢٥ م) على رأس أربعة أشهر من أحد . وكان من أمرها كما قاله ابن اسحاق عن شيوخه أنه قدم على رسول الله ﷺ ابو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى ويعرف بملاعب الأسنة ، فعرض النبى ﷺ عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال له : يامحمد انى أرى أمرك هذا حسناً شريفا وقومى خلفى فلو أنك بعثت معى نفراً من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك فقال انى أخشى أهل نجد عليهم فقال أنا لهم جار فبعث ﷺ المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون . فلما وصلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم خال أنس بن مالك رضى الله عنه بكتابه ﷺ الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابى العامرى وهو ابن أخى أبى براء فلم ينظر فى الكتاب بل وثب على حرام فقتله واستصرخ بنى عامر قومه فأبوا وقالوا لا يخفر جوار أبى براء [2] فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا وذكوان فنفروا معه ورأسوه واستبطأ المسلمون حراماً فأقبلوا فى أثره فلقيهم القوم فأحاطوا بهم فكاثروهم فتقاتلوا فقتل أصحاب رسول الله ﷺ وجاء رسول الله ﷺ خبر أهل بئر معونة فقال هذا سببه عمل أبى براء حيث أخذهم فى جواره . قد كنت لهذا كارها متخوفا . فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفاً على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل .

قال حسان بن ثابت يرثى قتلى معونة :

على قتلى معونة فاستهلى   بدمع العين سحا غير نزر

---

(١) بئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وفى معجم البلدان انها بين أرض عامر وحرة بنى سليم (٢) أى لن تنقض عهده

على خيل الرسول غداة لاقوا ولاقتهم مناياهم بقــدر

ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديماً بأن الرسل لا تقتل

قال العلامة الزرقانى : وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك من الأشياء لأنه سبق فى علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجىء أبى براء ومن جاء فى طلب أصحاب الرجيع .

وكان مع هذه السرية عمرو بن أمية الضمرى وقد قتلوا جميعاً غيره وقد كان أسيراً فى أيديهم فقال له عامر بن الطفيل : قد كان على أمى نسمة فأنت حر عنها وجز ناصيته(١) فأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له أبت من بينهم ، وكان عمرو لما خرج الى المدينة صادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بنى عامر ثم من بنى كلاب فنزلا معه فى ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو : ومن أنتما فذكرا له أنهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن أنه ظفر بثناء بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : بئس ما صنعت قد كان لهما منى أمان وجوار لأدينهما فبعث بديتهما الى قومهما

ومن جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه وهو الذى عذب فى الله فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، واستشهد فى هذه الموقعة وهو ابن أربعين سنة

---

(١) أى الشعر المجاور لها

غزوة بنى النضير

النضير اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة فى حدائق وآطام لهم (١)

قال غير واحد من أهل السير لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بُطحان ونزل بنو قريظة مهزوراً وهما واديان يهبطان من حرة هناك تنصب منها مياه عذبة ، فاتخذ بنو النضير الحدائق والآطام وأقاموا بها (٢) وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين أو ثلاثة وكانوا يمتلكون نخيلا بجوار المدينة

كانت هذه الغزوة فى شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة (يونية سنة ٦٢٥ م)

خرج رسول الله ﷺ يوم السبت فصلى فى مسجد قُباء ومعه نفر من أصحابه المهاجرين والأنصار . ثم أتى بنى النضير فكلمهم أن يعينوه فى دِيَة الكلبيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمرى . فقالوا نفعل يا أبا القاسم ما أحببت . وخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر به . وقال عمر بن جحاش بن كعب بن بَسيل النضرى أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة . فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا والله ليخبرنّ بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه وجاء رسول الله ﷺ الخبر بما هموا فنهض سريعاً كأنه يريد حاجة فتوجه الى المدينة ولحقه أصحابه

ثم بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مَسلمة ان اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشراً فمن رُئى بعد ذلك ضرب عنقه . فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون وأرسلوا الى ظَهرٍ لهم بذى الجَدر وتكاروا من ناس من أشجع ابلا فأرسل اليهم ابن أُبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا

---

(١) آطام : حصون ، مفردها أطم (٢) راجع معجم البلدان

فى حصنكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى فيما قال ابن أبى فأرسل الى رسول الله ﷺ انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فأظهر رسول الله ﷺ التكبير وكبّر المسلمون لتكبيره . وقد حاربت يهود . فسار اليهم النبى ﷺ فى أصحابه فصلى العصر بفضاء بنى النضير وعلى رضى الله عنه يحمل رايته واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم وخذلهم بن أبىّ وحلفاؤهم من غطفان فأيسوا من نصرهم . فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم . فقالوا نخرج عن بلادك ، فقال لا أقبله اليوم . ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة(١) فرضوا بذلك ونزلوا عليه . وكان حصارهم خمسة عشر يوما

احتمل بنو النضير من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام . فكان من سار من أشرافهم الى خيبر سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها

لما أيقن بنو النضير بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل وقد كانوا ينظرون الى الخشبة فى منازلهم مما يستحسنونه أو الباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل

لكن الدكتور اسرائيل ولفنسون يقول فى رسالته : (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) « ان هدم البيوت لم يكن القصد منه التخريب وأخذ الأخشاب بل ان هدم نجاف البيوت يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة وهى أن كل يهودى يعلق على نجاف بيته صحيفة تشتمل على وصية موسى لبنى اسرائيل أن يحتفظوا بالايمان باله واحد ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا فاليهود حين ينزحون من منازلهم يأخذونها معهم وهى عادة متبعة عند اليهود الى يومنا هذا . قال ويظهر أن يهود بلاد

(١) وهى الدروع والسلاح

العرب كانوا يضعون تلك الصحيفة فى داخل النجاف خوفا من اتلاف الهواء أو مس الايدى فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت وأخذوها »

وانا نسلم ان هذه عادة اليهود ولا ننازعه فى انهم اخذوا تلك الصحائف المقدسة مع ما أخذوا لكن أخذ الصحائف فقط لا يستدعى هدم البيوت والا كان الواحد منهم اذا انتقل من بيت الى آخر هدم البيت الأول لاستخراج صحيفته وهذا محال. وعبارة ابن اسحاق صريحة فى أن الرجل منهم كان يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق . والنجاف الذى يقال له الدوارة وهو الذى يستقبل الباب من أعلى الأسكفة . وفى السيرة الحلبية صاروا ينقضون العمد والسقوف وينزعون الخشب حتى الأوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسداً وبغضاً

قال ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى التى ابتاعوا منه . وكانت احدى نساء بنى غفار بزهاء وفخر ماروى مثله من حى من الناس فى زمانهم .

وقد حملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ،وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا لكونهم اخوانهم . وقبض رسول الله ﷺ ماتركوه من الأموال والدروع والسلاح . فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وهى الخوذة وثلاثمائة وأربعين سيفاً . فكانت أموال بنى النضير مختاراً لرسول الله ﷺ . فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبنى عبد المطلب وما فضل جعله فى السلاح والكراع (١) هذا ماذهب اليه الامام أبو حنيفة رضى الله عنه .

وذهب الشافعى رضى الله عنه الى أنه ﷺ قسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مئونتهم عن الأنصار ، وهذا يتفق مع ما رواه ابن اسحاق فانه قال : وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين

(١) الخيل

الأولين دون الأنصار إلا أن سهـل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله ﷺ

ولم يسـلم من بنى النضير الا رجـلان : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها

وقتل فى هذه الغزوة عزوك . وكان شجاعا رامياً من بنى النضير قتله على رضى الله عنه . ثم بعث رسول الله ﷺ أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة ليدركوا الذين فروا من على رضى الله عنه فقتلوهم وطرحوا رءوسهم فى بعض الآبار

قال ابن اسحاق : ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيهـا ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمـل به فيهم .

وفى البخارى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عبـاس رضى الله عنهما سورة الحشر قال : قل سورة النضير

﴿ ملحوظة ﴾ لم أعثر فى المراجع التى اطلعت عليها على عدد بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

تحريم الخمر

الاصلاح الاجتماعى العظيم

قال جماعة من الصحابة يارسول الله أفتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل فيهـا قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة البقرة ، فشربها قوم وتركها آخرون . ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف ناساً فشربوا وسكروا فقام بعضهم يصلى المغرب فقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فنزل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ سورة النساء . فقـل شاربوها . ثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبى وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعد شعرا فيـه هجاء للأنصار فضربه أنصارى بلحى[1] بعير فشجه شجة موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً فانها تذهب بالعقل والمال فنزل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ الى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ سورة المائدة فقال عمر : انتهينا يارب

والحـكمة فى تحريم الخمر تدريجاً على هـذا الترتيب أن القوم كانوا ألفوا شربها وكان انتفاعهم بذلك عظيما فعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق ذلك عليهم

روى أبو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهمـا قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة : من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة . قال الخطابى : وتخصيص الخمر بهذه الأشياء الخمس ليس لأجل أن الخمر لا يكون الامن هذه الخمسة بأعيانها وانمـا جرى ذكرها خصوصاً لكونها معهودة فى ذلك الزمان .

---

(١) اللحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان

والخمر الذى حرمه الشارع هو ما خامر العقل أوْ ستره. عن ابن عمر قال : سمعت عمر رضى الله عنه على منبر النبى ﷺ يقول : أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير . والخمر ما خامر العقل (البخارى)

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله . قال : قال رسول الله ﷺ « ما أسكر كثيره فقليله حرام » . وقالت عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق[1] فملء الكف منه حرام » . ونهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر ، والمفتر كل شراب يورث الفتور والتخدير فى الأعضاء

وقد حرمت الخمر فى السنة الرابعة من الهجرة أثناء غزوة بنى النضير

وحرم بعض الناس الخمر فى الجاهلية، وقيل ان أول من حرمها الوليد بن المغيرة، وقيل قيس بن عاصم السعدى ومنهم مقيس بن صبابة السهمى وعبد المطلب وأبو طالب وقصى بن كلاب وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة وغيرهم

وقد انتشرت المسكرات فى بلاد المسلمين وراجت تجارتها حتى دخلت القرى . وضعف رجال الدين عن أبطالها واقتصروا على الوعظ والارشاد . ولم نر منهم حركة اجتماعية قوية لحمل الحكومات على سن قانون التحريم حتى تعجب الغربيون من اباحة المسكرات فى بلاد يدين أهلها بالاسلام الذى يعتبر الخمر رجساً من عمل الشيطان !! فاللهم هبنا شجاعة وقوة وإقداماً ووفق الحكومات الاسلامية الى العمل بتعاليم دينهم القويم

---

(١) الفرق بفتحتين : مكيال يقال انه يسع ستة عشر رطلا

غزوة ذات الرقاع

اختلف فى سبب تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع . قيل هى اسم شجرة فى موضع الغزوة سميت بها . وقيل لأن أقدامهم نقبت من المشى فلفوا عليها الخرق . وقيل بل سميت برقاع كانت فى ألويتهم . وقيل ذات الرقاع جبل فيه سواد وبياض وحمرة فكأنها رقاع فى الجبل فسميت الغزوة بذلك الجبل والأصح انه موضع لقول دُعثور

* حتى اذا كنا بذات الرقاع *

وتسمى هذه الغزوة غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها

قال ابن اسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع وبعض شهر جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان نخل وهى ذات الرقاع فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ثم انصرف المسلمون .

صلاة الخوف ـ جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى لنا فقامت طائفة معه وأقبلت طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل فجاءوا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين

وسبب خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الغزوة انه بلغه انهم جمعوا جموعاً لمحاربته صلى الله عليه وسلم فأخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج فى اربعمائة من أصحابه وقيل أكثر من ذلك واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى رضى الله عنه وقيل عثمان بن

عفان رضى الله عنه وسار الى أن وصل الى موضع يسمى وادى الشقرة وبث السرايا فرجعوا إليه من الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحداً فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضى غطفان فلم يجد فى مجالسهم إلا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا فى رءوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاءوا لمحاربة جيش رسول الله ﷺ وأخاف الناس بعضهم بعضاً ولم يكن بينه وبين القوم حرب

وفى هذه الغزوة وقعت قصة الرجل الذى اخترط سيف النبى ﷺ وهو نائم تحت الشجرة واسم الرجل دعثور وقد جاء فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة فى واد كثير العِضاه [1] فنزل رسول الله ﷺ وتفرق النـاس فى العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة (شجرة طلح) فعلق بها سيفه . قال جابر فنمنا نومة ثم اذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فاذا عنده أعرابى جالس فقال رسول الله ﷺ : ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتاً مجرداً فقال لى من يمنعك منى ؟ قلت الله . فها هو ذا جالس . ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الواحدة عضاهة : هو كل شجر ذى شوك أو ماعظم منه

غزوة بدر الأخيرة

وتسمى غزوة بدر الصغرى وبدر الموعد للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أُحد وتسمى بدرا الثالثة . وتسمى أيضاً غزوة السويق

خرج رسول الله ﷺ الى بدر ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس وذلك فى شهر شعبان لميعاد أبى سفيان . واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه . وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه . وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل موضعا قريبا من مرّ الظهران ثم بدا له الرجوع فقال يامعشر قريش انه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع ورجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق . يقولون انما خرجتم تشربون السويق . هذه حيلة دبرها أبوسفيان لأنه لم يكن يريد حربا بل خرج لئلا يقال أخلف وعده ولم يخرج ، على أنه لم يعارضه أحدمن قريش فى الرجوع فكان الجيش كذلك لا يريد الحرب

وكان أبو سفيان قد بعث الى المدينة شخصا اسمه نعيم ليرجف أصحاب رسول الله ﷺ بكثرة العدو ليحملهم على عدم الخروج وذلك ليكون له عذر فى الرجوع الى مكة ولكن رسول ﷺ لم يبال بما سمع من كثرة عدد الجيش وتثبيط همة الناس فقال والذى نفسى بيده لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدى

وأقام ﷺ ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان وفى هذه المدة باع المسلمون ما معهم من التجارة فربحوا كثيراً .

وفى سنة أربع هذه تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية . وفيها أمر رسول الله زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . وفى جمادى الأولى من هذه السنة توفى عبد الله بن عثمان بن عفان وكان عمره ست سنين وهو ابن بنت رسول الله رقية وفيها ولد الحسين رضى الله عنه

غزوة دومة الجندل

وهى أول غزوات الشام

دُومَة الجنْدَل مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وهى أقرب بلاد الشام الى المدينة وبقرب تبوك .

وكانت هذه الغزة فى ربيع الأول سنة خمس (يولية سنة ٦٢٦م) واستعمل النبى ﷺ على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفارى . وسببها أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فخرج ﷺ فى ألف من أصحابه ومعه دليل له من بنى عذرة يقال له مذكور فأصاب أهل دومة الجندل الرعب وتفرقوا ثم عاد الى المدينة . قال ابن الأثير وغنم المسلمون ابلا لهم . وقال ابن اسحاق ثم رجع رسول الله قبل أن يصل اليها ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقية سنته

تزوج رسول الله ﷺ

زينب بنت جحش

تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية فى شهر صفر من السنة الخامسة (يونية سنة ٦٢٦ م) وهى أخت عبد الله بن جحش وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ وكانت قديمة فى الاسلام . تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة

كان زيد بن حارثة مولى خديجة وهبته لرسول الله ﷺ قبل البعثة وهو ابن ثمانى سنوات فأعتقه وتبناه.وكانوا يدعونه زيد بن محمد . وقد زوجه رسول الله ﷺ بنت عمته « زينب بنت جحش » ولما خطبها رسول الله على زيد امتنعت من انكاحه نفسها فقال لها رسول الله انكحيه فقالت يارسول الله أؤامر نفسى وبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً)

وعند ذلك قالت زينب رضيته لى يارسول الله منكحا ؟ قال نعم . قالت اذن لا أعصى رسول الله . قد أنكحته نفسى . والسبب فى ابائها بادىء الأمر أنها كانت ترى أن زيداً غير كفء لها وقالت انها خير منه حسبا ونسبا وكانت امرأة فيها حدة فلما نزلت الآية رضيت

ثم ان زيدا كان يشكوها لرسول الله ﷺ لأنها تؤذيه وتتكبر عليه بسبب النسب وعدم الكفاءة ، فكان يقول له « أمسك عليك زوجك » : أى لا تطلقها . لكنه لم يطق معاشرتها وطلقها . وهذا طبيعى فان الانسان لا يستطيع معاشرة زوجة تتكبر عليه وترى نفسها أرقى منه . وبعد أن انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ

لابطال عادة التبنى بفعله ، فان الشرع يستفاد من فعله كما يستفاد من قوله . وذلك ان الله أراد نسخ تحريم زوجة المتبنى . قال تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) وقال (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة وقال تعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا)

وقد كان الله أوحى الى رسوله أن زيداً سيطلق زوجته وتتزوجها بعده الا أن النبى ﷺ بالغ فى الكتمان وقال لزيد « أمسك عليك زوجك » فعاتبه الله على ذلك حيث قال (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وهو عتاب على ترك الأولى ، وكان الأولى فى مثل ذلك أن يصمت عليه الصلاة والسلام أو يفوّض الأمر الى رأى زيد رضى الله عنه . ولم يخبر النبى ﷺ بما أوحى اليه من تطليق زيد لزينب وتزوجه إياها مخافة طعن الأعداء والمنافقين فعوتب عليه ولأنه أيضا لم يؤمر بالاخبار به بل كان مجرد اعلام له خاصة . وللقصّاص فى هذه القصة كلام لا ينبغى أن يجعل فى حيز القبول ويجب صيانة النبى ﷺ عن مثله

وكانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول زوجنى الله من السماء . وأولم عليها رسول الله ﷺ بخبز ولحم . وكانت امرأة صالحة صوّامة قوّامة كثيرة الخير تعمل بيدها وتتصدق به . وكان اسمها برة فسماها رسول الله زينب ، وهى وقتئذ بنت خمس وثلاثين سنة . وبسبب زينب نزل الحجاب .

وتوفيت سنة عشرين وهى بنت ثلاث وخمسين سنة وهى أول نساء رسول الله ﷺ موتا بعده . أرسل اليها عمر بن الخطاب اثنى عشر ألف درهم كما فرض لنساء النبى ﷺ فأخذتها وفرقتها فى ذوى قرابتها وأيتامها ثم قالت : « اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا » فماتت وصلى عليها عمر بن الخطاب ودخل قبرها

أسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش · وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش . قيل هى أول امرأة صنع لها النعش أشارت به أسماء بنت عميس كانت رأته فى الحبشة ، ودفنت بالبقيع فيما بين دار عقيل ودار ابن الحنفية .

وعن عائشة قالت يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت فى هذه الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف . ان الله عز وجل زوجها نبيه ﷺ فى الدنيا ونطق به فى القرآن . ان رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله أسرعكن بى لحوقا أطولكن باعا فبشرها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به عليه السلام وهى زوجته فى الجنة

غزوة المريسيع

أو غزوة بنى المصطلق

المُرَيْسيع ماء لبنى خزاعة وتسمى هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة (ديسمبر سنة ٦٢٦ م) وسببها أن الحارث بن أبى ضرار الخزاعى كان قد جمع الجموع لمحاربة النبى ﷺ فخرج رسول الله ﷺ وخرج معه كثير من المنافقين وكان معه ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة مولاه وقيل أبا ذر الغفارى . وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما وقتل رسول الله ﷺ جاسوسا للمشركين وبلغ عليه السلام المريسيع من ناحية قديد الى الساحل وصف أصحابه للقتال ودفع راية المهاجرين لأبى بكر رضى الله عنه وراية الأنصار لسعد بن عبادة وحمل المسلمون على المشركين فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو هشام بن صبابة وقد قتل خطأ أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى انه من العدو

وكان من جملة السبى جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضرار رئيس بنى المصطلق وكانت تحت مسافع بن صفوان فقتل فى هذه الغزوة وكان اسمها برة فسماها رسول الله جويرية وعن عائشة قالت لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أولا بن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة مُلاّحة لا يراها أحد الا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها . قالت عائشة فوالله ما هو الا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ما قد رأيت فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت يارسول الله أنا جورية بنت الحارث

سيد قومه وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى فقال رسول الله ﷺ أو خير من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم . ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس انه قد تزوجها فقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق فلقد أعتق بها مائة من أهل بيت بنى المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها . ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها وقسم لها . وكانت حين تزوجها رسول الله ﷺ بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين وهى بنت خمس وستين سنة وبسبب زواجها هدى الله أكثر بنى المصطلق الى الاسلام ثم أسلم الحارث ومن هنا تظهر حكمة رسول الله ﷺ فى زواجها

قتل هشام بن صبابة

قلنا ان هشام بن صبابة قتل خطأ أصابه رجل من الأنصار فبينا الناس على ذلك الماء (المريسيع) وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الانصار وصرخ جهجاه يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن فقال « أقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما عدَونا وجلابيب قريش ماقال القائل . سمن كلبك يأ كلك . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنَّ الاعزُّ منها الاذلَّ » ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير بلادكم . فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب . فقال يارسول الله مر به عباد بن بشر بن وقش فليقتله . فقال رسول الله ﷺ (فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل) وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه ان زيد بن أرقم قد بلغه ماسمع منه فحلف بالله ما قلت ماقال ولا تكلمت به وكان عبد الله بن أبي فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله ﷺ من أصحابه من الانصار - يارسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل حدَبا على عبدالله بن أبي ودفعا عنه فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه تحية النبوة وسلم عليه . ثم قال يارسول الله لقد رحت فى ساعة مبكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ماقال صاحبكم ؟ قال وأى صاحب يارسول الله ؟ قال عبدالله بن أبي . قال

وما قال ؟ قال زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال أسيدفأنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال يارسول الله أرفق به فوالله لقد جاء بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا .

ثم مَتنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى . ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويقَ النقيع يقال له نقعاء فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوا فانما هَبّت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن ثابت بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين قدمات فى ذلك اليوم ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان على مثل أمره فقال (إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ)

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا

وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما فيما يظهر فقال يا رسول الله جئتك مسلما وجئت أطلب دية أخى قتل خطأ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابة فأقام عندرسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتداً

آية التيمم

نزلت آية التيمم فى هذه الغزوة وذلك بسبب أن عائشة رضى الله عنها انقطع

عقدها فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الناس معه على التماسه حتى ابتعدوا عن الماء ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً رأسه على فخذ عائشة رضى الله عنها . فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فكان ضياع العقد سبباً فى نزول هذه الآية . وقال أبو بكر لابنته بعد أن كان يعاتبها « والله يابنتى انك كما علمت مباركة » وآية التيمم مذكورة فى سورة النساء والمائدة

عائشة وحديث الافك

كان حديث الافك فى غزوة بنى المصطلق ولا خلاف فى ذلك ولكن علماء السير اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أو قصة الافك . وخلاصة حديث الافك أن عائشة رضى الله عنها بعد غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين آذنوا بالرحيل ابتعدت عن الجيش لقضاء شأنها ، وبينما هى مقبلة الى رحلها وجدت أن عقدها قد انقطع فعادت تبحث عنه فوجدته . لكنها لما رجعت وجدت أن الجيش قد رحل فجلست وغلبها النوم فنامت فرآها صفوان بن المعطّل السُّلَمى وكان وراء الجيش فاستيقظت باسترجاعه (١) فأناخ راحلته وأركبها وانطلق حتى أتى الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فأشاع عبد الله بن أبى فى العسكر حديث الافك (٢) وانتشر بعد دخولهم المدينة لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومرضت عائشة رضى الله عنها شهراً واستاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استياء شديداً ثم ذهبت عائشة الى بيت أبيها . وقد علمت بحديث الناس . وقالت لأمها ما ذا يتحدث الناس ؟ فقالت يابنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة (٣) عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها . فبكت بكاء شديداً مما يتحدث الناس . وكانت لا تنام الليل من شدة الحزن والبكاء

فلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد قلقه واستبطأ الوحى فلم ير غير استشارة أصحابه

---

(١) أى بقوله انا لله وانا اليه راجعون (٢) وفى حديث ابن عمر فقال عبد الله بن أبي فجر بها ورب الكعبة (٣) من الوضاءة وهى الحسن والجمال وكانت عائشة كذلك .

فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد واستشارهما فى فراق أهله . فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بما يعلم من براءة أهله . وأما على رضى الله عنه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير . وسل الجارية التى كانت تخدم عائشة تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة وسألها فأقسمت انها لم تر عليها شيئاً . وكانت عائشة رضى الله عنها ترجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئها الله بها . وما كانت تظن أن الله تعالى منزل فى شأنها وحياً . وبينا رسول الله ﷺ فى حيرة اذ نزل الوحى عليه ببراءة عائشة رضى الله عنها . قال تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (١)

وعصبة الافك حسان بن ثابت رضى الله عنه ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش. وعبد الله بن أبيّ المنافق. فلما نزلتْ براءة عائشة جلدهم رسول الله كل واحد ثمانين جلدة الا عبدالله بن أبى فانه لم يجلده . وفى ذلك يقول عبد الله بن رواحة :

لقد ذاق حسان الذى هو أهله وحمنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأبرحوا

قال السهيلى ان من نسب عائشة رضى الله عنها الى الزنا كان كافرا لأن ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر

وقال عروة ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ولو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفى بها فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة

جاء فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النور

اذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . فأقرع بيننا فى غزاة غزاها فخرج سهمى فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة فآذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى الرحل فلمست صدرى فاذا عِقْدٌ لى من جَزع[1] ظَفَار[2] قد انقطع فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه فأقبل الذين يُرَحِّلون لى[3] فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم[4] وانما يأكلن العُلْقةَ من الطعام[5] فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأممت الموضع الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الىَّ . فبينا أنا جالسة غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطِّل السُّلَمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها . فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذى تولى الافك عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ويريبنى فى وجعى انى لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أمرض انما يدخل فيسلم فيقول كيف تيكم لا أشعر بشىء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مِسْطح قِبل المناصع[6] مُتبرَّزَنا[7] لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فى البرية أو فى التنزه

---

(١) هو خرز معروف فى سواده بياض (٢) مدينة باليمن (٣) أى يشدون الرحل على بعيرى (٤) وفى رواية والنساء يومئذ لم يهبلهن اللحم، وهبله اللحم تهبيلا إذا كثر عليه وركب بعضه بعضا يقال رجل مهبل (٥) القليل من الطعام (٦) موضع خارج المدينة (٧) موضع قضاء حاجتنا

فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبى رُهم نمشى فعثَرَتْ فى مِرطها[١] فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدراً ؟ فقالت ياهَنْتَاهُ[٢] ألم تسمعى ما قالوا فأخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضاً على مرضى . فلما رجعت الى بيتى دخل علىَّ رسول الله ﷺ فسلم . فقال كيف تِيكُمْ . فقلت ائذن لى الى أبوَىّ . قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبلهما . فأذن لى رسول الله ﷺ فأتيتُ أبوىَّ . فقلت لأمى ما يتحدث الناس به ؟ فقالت : يابنية هوِّنى على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها . فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم . ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب . وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله . فأما أسامة فأشار عليه بالذى يعلم فى نفسه من الود لهم . فقال أسامة أهلك يارسول الله ولا نعلم الا خيراً . وأما علىٌّ فقال يارسول الله لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تَصدقك فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرَةَ . فقال يابريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك ؟ فقالت بريرة لا والذى بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً أغمصه[٣] عليها قط أكثر من انها جارية حديثة السن تنام على العجين فتأتى الدَّاجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبىّ ابن سَلول. فقال رسول الله ﷺ : من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى الا خيراً . وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا خيراً . وما كان يدخل على أهلى الا معى . فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله أنا والله أعذرُكَ منه ان كان من الأوس ضربنا عنقه. وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحاً ، ولكن احتملته الحمية ، فقال كذبت والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك . فقام أسيد بن الحضير فقال كذبت لعمر الله والله لنقتلنه فانك منافق تجادل

(١) كسائها (٢) أى ياهذه (٣) أى أعيبه

عن المنافقين . فثار الحيَّان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فحضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومى لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندى أبواى . وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدى . قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ما قيل قبلها . وقد مكث شهراً لا يوحى اليه فى شأنى بشيء . قالت فتشهد ثم قال : ياعائشة لقد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممتِ بذنب فاستغفرى وتوبى اليه ، فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلصَ دمعى حتى ما أحس منه قطرة . وقلت لأبى أجب عنى رسول الله ﷺ . قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله ﷺ فيما قال . قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ . قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن . فقلت والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة ، والله يعلم أنى لبريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى لبريئة لتصدقنى والله ما أجدلى ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ثم تحولت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله . ولكن والله ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحياً يتلى ولأنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم بالقرآن فى أمرى . ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه الوحى، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان(١) من العرق فى يوم شات . فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى : ياعائشة احمدى الله فقد برأك الله . فقالت لى أمى : قومى الى رسول الله ﷺ فقلت لا والله لا أقوم اليه

(١) اللؤلؤ

ولا أحمد الا الله فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ الآيات . فلما أنزل الله عز وجل هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه ـ والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة . فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنْكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الى قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فقال أبو بكر : بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع الى مِسطح الذى كان يجرى عليه . وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمتِ ما رأيتِ ؟ فقالت يارسول الله أحمى سمعى وبصرى . والله ما علمت عليها الا خيراً . قالت وهى التى كانت تُساميني فعصمها الله بالورع اه

هذه قصة الافك وقد ظهر أن المنافقين قد افتروها وعلى رأسهم عبد الله بن أبىّ لشدة حقدهم على رسول الله فنسبوا الى عائشة ، وهى من أشرف بيت ، ماهى بريئة منه ليلوثوا سمعتها الطاهرة النقية ، ولكن الحق تعالى برأها من كل سوء وأعلى قدرها فاطمأن زوجها رسول الله وأبوها وأمها وجميع المسلمين . وان كان هذا شأن الحاسدين فى كل زمان فان الله عز شأنه لا بد أن يكلأ عباده الصالحين ويرعاهم وينصرهم على القوم الظالمين

غزوة الخندق

وهي الأحزاب

كانت غزوة الخندق فى شوال من السنة الخامسة (فبراير سنة ٦٢٧ م) باتفاق المؤرخين لكن ابن خلدون يقول فى تاريخه (والصحيح أنها فى الرابعة ويقويه ابن عمر يقول ردنى رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازنى يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة فليس بينهما الا سنة واحدة وهو الصحيح فهى قبل دومة الجندل بلا شك) [1]

تحزب الأحزاب

حزّب نفر من اليهود الأحزاب على رسول الله ﷺ ومنهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحييّ بن أخطب النضرى وكنانة بن أبى الحقيق النضرى وهوذة ابن قيس الوائلى

قال الاستاذ ولفنسون : « لما نزل أشراف بنى النضير فى خيبر أخذوا يفكرون فى الثأر من الأنصار وجعلوا يفكرون فى الوسائل التى توصلهم الى آطامهم وتردهم الى مزارعهم فى منطقة يثرب فعزم نفر من اليهود فيهم سلام بن أبى الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع أن يحزبوا الأحزاب على المسلمين »

أى الدينين خير ؟

لما دعت اليهود قريشاً لمحاربة النبى ﷺ وقالوا لهم سنكون معكم حتى نستأصله ارتابوا فى أمرهم لأن دين اليهود قريب فى جوهره من الاسلام وبعيد عن عبادة

---

(١) راجع سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى والواقدى وطبقات ابن سعد وحياة محمد لمستر موير

الأصنام كل البعد وقريش عباد أصنام . ولذلك قالوا لهم :

يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ماقالوا واستعدوا للحرب . ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان ودعوهم الى مشاركتهم فى الحرب وذكروا لهم استعداد قريش فأجابوهم

ان اليهود أجابوا قريشا بأن دين قريش (الوثنى) خير من دين محمد مخالفين بذلك دينهم الداعى الى عبادة الله الواحد توصلا الى غرضهم وهو محاربة المسلمين وطردهم من المدينة واعادة اخوانهم الى ديارهم وكان خيراً لهم أن يعيشوا مع المسلمين فى وفاق ويكفوا عن الدسائس والفتن والانضمام الى الأعداء

وقد أدرك الأستاذ ولفنسون أنهم أخطأوا فى تفضيلهم دين قريش على الاسلام فقال فى كتابه تاريخ اليهود صفحة ١٤٢ مانصه :

« والذى يؤلم كل مؤمن باله واحد من اليهود والمسلمين على السواء انما هو تلك المحادثة التى جرت بين نفر من اليهود وبين قريش الوثنيين حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الاسلامية »

ولا يخفى ان الذين أدلوا بهذا الحديث ليسوا من عامة اليهود حتى يقال انهم لا يعلمون مايقولون أو انهم لا يمثلون اليهود بل هم من رؤسائهم وأصحاب النفوذ فيهم . فهل هؤلاء لايستحقون التأديب ؟

خروج الأحزاب و قوادهم

خرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب . وخرجت غطفان وقائدها عيينة ابن حصن بن حذيفة فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعود بن رُخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع

حفر الخندق

فلما سمع رسول الله ﷺ بتحزبهم وخروجهم لمحاربته أمر بحفر الخندق حول المدينة . والذى أشار عليه ﷺ بحفره سلمان الفارسى رضى الله عنه وقد كان الفرس يحفرون الخنادق للدفاع فى الحرب . قال سلمان يارسول الله كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا ، وعلى كل حال فان كلمة خندق فارسية الأصل

اشتغل رسول الله ﷺ بحفر الخندق بنفسه واستغل المسلمون معه . أما المنافقون فكانوا يتوانون وينصرفون بدون اذن رسول الله ﷺ ويستثقلون العمل ويثبطون العزائم .

سلمان منا أهل البيت

خط رسول الله ﷺ الخندق ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قوياً . فقالت الأنصار سلمان منا . وقالت المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ « سلمان منا أهل البيت »

اعتراض صخرة بيضاء ومعجزة الرسول

بينما جماعة من المسلمين يعملون فى حفر الخندق فى الجزء المخصص لهم ومعهم سلمان الفارسى اذ ظهرت صخرة بيضاء مَرْوَة فكسرت حديد معاولهم وشقت عليهم . فقالوا ياسلمان ارق الى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه[1] فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله بأبينا أنت وأمنا . خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت

---

(١) أى الخط الذى رسمه لهم الرسول

علينا حتى ما نحيك فيهـا قليلا ولا كثيراً . فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجـاوز خطك . فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان فى الخندق وأخذ المعول من سلمان رضى الله عنه فقال باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج منها نور أضـاء ما بين لابتيها يعنى لابتى المدينـة . فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمر الساعة من مكانى . ثم ضرب الثـانية فقطع ثلثاً آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت مابين لابتيها . فقـال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن فأبشروا بالنصر فسر المسلمون . ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبـل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينـة حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم . فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة .

وجاء فى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنه قال :

« إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة [١] فجاءوا النبى ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقـال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر [٢] ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا [٣] فأخـذ النبى ﷺ المعول فضرب فى الـكدية فعادت كثيباً أهيل »

عدد الجيشين

كان أهل الخندق ثلاثة آلاف . ولمـا فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمى بجانب أحد

---

(١) أى قطعة من الأرض لا تعمل فيها المعاول (٢) أى من ألم الجوع أو خشية انحناء صلبه
(٣) أى من جنس ما يطعم أو يشرب

نقض العهد

كان كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة قد وادع النبي ﷺ على قومه وعاقده على ذلك فذهب اليه حيي بن أخطب النضرى وهو أحد الذين حزبوا الأحزاب فلما سمع كعب حيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فألح عليه ابن أخطب ففتح له ومازال يستميله ويغريه حتى نقض كعب عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ وصار هو وقومه بنو قريظة مع الأحزاب على رسول الله ﷺ وعلم بذلك رسول الله ﷺ وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف

اشتداد الحصار

اشتد الخوف من تحزب الأحزاب ولاسيما بعد أن نقض بنوقريظة العهد وانضموا الى الأعداء وظن المؤمنون كل الظن وانتهز المنافقون هذه الفرصة لتثبيط العزائم وهمّ بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبتهم الله ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر ولم يكن بينهم غير الرمى بالنبال

اقتحام الخندق

خرجت فوارس من قريش على خيلهم بعد أن تهيأوا للقتال حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم يمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم السبخة بين الخندق وسلع وخرج عليّ بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموها وخرج عمرو بن عبد ود وطلب المبارزة وكان عمره تسعين سنة فبارزه عليّ ابن أبى طالب فقتله. وذكر ابن اسحاق أن المشركين بعثوا الى رسول الله ﷺ يشترون

جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى ، وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان ابن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة . ومن بني مخزوم نوفل ابن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة ، فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه عليّ فقتله . ومن الذين كانوا يناوشون المسلمين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وذلك قبل اسلامهما

ورُمِيَ سعد بن معاذ يومئذ بسهم رماه رجل يقال له ابن العرقة العامرى (١) فقال خذها وأنا ابن العرقة . فقال سعد عرق الله وجهك فى النار فأصاب الأكحل منه فقطعه . فقال سعد اللهم لاتمتنى حتى تقر عينى فى (بنى قريظة) وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهليه . ونقل سعد وهو مجروح الى خيمة رفيدة وقد كانت امرأة تداوى الجرحى فى المسجد

حسان بن ثابت يخشى القتال

كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع — حصن حسان بن ثابت — قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ان أتانا آت . قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل اليه فاقتله ، فقال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب والله لقد

---

(١) العرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة رضي الله عنها أم أبيها. وابن العرقة هذا اسمه حيان بن عبد مناف

عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت ، فلما قال ذلك لى ولم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته . فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل. قال : مالى بسلبه من حاجة يابنت عبد المطلب [1]. فكانت صفية أشجع من حسان

استمرار القتال وفوات الصلاة

استمرت المقاتلة فى يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل ﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ماصلينا فيقول رسول الله ﷺ ولا أنا فلما انكشف القتال وجاء ﷺ الى قبته أمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء فى رواية جابر رضى الله عنه أنه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما . وفى رواية أن التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على أنه وقع فى بعض تلك الأيام وجاء فى بعض الروايات « شغلونا عن الصلاة الوسطى . صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً »

ان الحرب خدعة

جاء نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف بن ثعلبة الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بماشئت . فقال له رسول الله ﷺ : انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة [2] فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديماً فى الجاهلية فقال لهم يابنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا

---

(١) راجع تاريخ الطبرى — غزوة الخندق (٢) قال النووى اتفقوا على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن الا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز

بتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وقد ظاهر تموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم . البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره فليسوا كهيئتكم ان رأوا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولاطاقة لكم به ان خلابكم . فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه . فقالوا لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يامعشر قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمداً وقد بلغنى أمر رأيت حقا علىّ أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا علىّ . قالوا نفعل ذلك . قال فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم : فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحداً : ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الىّ ولا أراكم تتهموننى . قالوا صدقت . قال فاكتموا علىّ . قالوا نفعل ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت فى شوال سنة خمس وكان مما صنع الله عز وجل لرسوله أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد . فلما رجعت اليهم

الرسل بالذى قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فارسلوا الى بنى قريظة أنا والله لا ندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فان أنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كانوا غير ذلك تشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا . فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم . وبذلك نجحت الخدعة

وفى طبقات ابن سعد : حُصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلص الى كل امرىء منهم الكرب فأراد رسول الله ﷺ أن يعالج غطفان على أن يعطيهم ثلث الثمر ويخذّلوا بين الناس وينصرفوا عنه فأبت ذلك الأنصار فترك ما كان أراد من ذلك . وقد تبين لنا أن نعيم بن مسعود قد قام بذلك خير قيام

حرب الطبيعة

نجح نعيم بن مسعود فى خدعته وأوقع الفشل بين بنى قريظة وقريش . ثم جاءتهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح أبنيتهم . فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . وكان حذيفة صاحب سر رسول ﷺ فى المنافقين لم يعلمهم أحد الا حذيفة . أعلمه بهم رسول الله ﷺ . قال حذيفة فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء . قال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

خطبة أبى سفيان

قام أبو سفيان بن حرب . فقال « يامعشر قريش لينظر امرؤ جليسه » قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى . فقلت من أنت ؟ فقال أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : « يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك

الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل » ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم

هذه خطبة أبى سفيان فى الجيش . وكان قائدهم ولابقاء للجند بعد رجوع القائد ونصيحته لهم بالعودة ، ولاشك انهم سئموا الاقامة ولم يروا فائدة من الانتظار أكثر مما انتظروا . وقد ساءت حالهم بسبب اشتداد البرد وهبوب الريح وعدم رغبة بنى قريظة فى القتال . وقد كانوا يؤملون دخول المدينة . فكان الخندق عقبة فى سبيلهم بالرغم من كثرة عددهم . ولما سمعت غطفان بمافعلت قريش انشمروا راجعين الى بلادهم تاركين مااستثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون . وانصرف المسلمون عن الخندق ورجعوا الى المدينة ووضعوا السلاح بعد أن حاصرهم المشركون خمسة عشر يوماً . وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة

قال ﷺ بعد انصراف الأحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا . وقد كان كما أخبر ﷺ . وكانت هذه الغزوة آخر محاولة من جانب أشراف مكة للقضاء على الدين الجديد الا وهو الاسلام

خسائر المسلمين

ذكر ابن اسحاق أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لاغير : ثلاثة من الاوس وهم : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس ، وعبد الله بن سهل ، وثلاثة من الخزرج وهم . الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة ، وكعب بن زيد

خسائر المشركين

أما عدد قتلى المشركين فثلاثة : منبه بن عبد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله المخزومى ، وعمرو بن عبد وُد

غزوة بنى قريظة

بنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس . وسيد الأوس حينئذ سعد بن معاذ

ذكرنا أن بنى قريظة نقضوا العهد وحاربوا رسول الله مع الأحزاب واشتد البلاء على المسلمين ثم كفوا عن القتال لما أوقعه نعيم من الفشل بينهم وبين قريش فكان تأديبهم أمراً لا مناص عنه لأن وجودهم بالمدينة فتنة تهدد المسلمين ولأنهم هم الذين حزبوا الأحزاب وانضموا الى الأعداء فى غزوة الخندق

لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق دخل المدينة لسبع بقين من ذى القعدة سنة خمس هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الصبح ودخل بيت عائشة رضى الله عنها . قال ابن اسحاق فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ كما حدثنى الزهرى معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال نعم . فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم . ان الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم . وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعته فقال رسول الله ﷺ فأين . قال ههنا وأومأ الى بنى قريظة . قالت فخرج اليهم رسول الله ﷺ

فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن فى الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام

وقدم رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس .
وكان عدد من خرج الى القتال ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً

فلما دنا على كرم الله وجهه من الحصن (١) ومعه نفر من المهاجرين والأنصار

---

(١) حصن بنى قريظة يبعد عن المدينة بنحو ميلين أو ثلاثة الى الجنوب الشرقى

وغرز اللواء عند أصل الحصن ، سمع من بني قريظة مقالة قبيحة فى حقه ﷺ (١) فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق فقال يارسول الله لاعليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال لم ؟ أظنك سمعت لى منهم أذى . قال نعم يارسول الله . قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال ياإخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا ياأبا القاسم ما كنت جهولا

ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد ؟ قالوا يارسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة. عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ ذلك جبريل بُعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم (٢)

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة كما قال ابن اسحاق وقال الواقدى احدى وعشرين ليلة . حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب

وقد كان حيي بن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :

يامعشر اليهود انه قد نزل بكم من الأمر ماترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم : قالوا وماهن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فو الله لقد كان تبين لكم انه لنبيٌّ مرسل وانه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا لانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره

قال فاذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم ؟

---

(١) سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق (٢) سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق وكذا فى تاريخ الطبرى عن ابن اسحاق

قال فاذا أبيتم هذه علىَّ فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة .

قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فأصابه من المسخ ما لم يخف عليك

قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً

ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث الينا أبا لُبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره فى أمرنا . فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه ، قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم . وقالوا له : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال نعم . وأشار بيده الى حلقه « انه الذبح » قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله (باذاعته سره)

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده[1] وقال لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبداً . وقال لا يرانى الله فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه وكان قد استبطأه قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له . فأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه

ثم ان توبة أبى لبابة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة فبشرت أبا لبابة بذلك ثم أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتواثبت الأوس فقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج . وقد فعلت فى موالى الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه . فسأله اياهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له .

---

(١) وتعرف بأسطوانة أبى لبابة واسطوانة التوبة

فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ فى خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رُفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . وقد قال رسول الله ﷺ لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب (١)

حكم سعد بن معاذ

كان أبو لبابة بن عبد المنذر قد عرف حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة لأنه لما ذهب اليهم أشار بيده الى حلقه « انه الذبح » ثم ندم على هذه الاشارة واعتبرها خيانة لله ورسوله ﷺ وكان ما كان منه . أما سعد بن معاذ فقد كان حكمه فى بنى قريظة معروفاً أيضا لأنه لما أصيب فى غزوة الخندق قال : « اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى فى بنى قريظة » وقد بقى مجروحا الى أن استدعاه رسول الله ﷺ ليحكم فى بنى قريظة

فأتاه قومه فاحتملوه على حمار وأقبلوا معه الى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا عليه . قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الأشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين . قال رسول الله ﷺ : قوموا الى سيدكم فانزلوه . فقال رسول الله ﷺ احكم فيهم . قال : فانى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم وأن تقسم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله

---

(١) راجع غزوة الخندق فى هذا الكتاب

فأمر رسول الله ﷺ أن تـكون النساء والذرية فى دار ابنة الحارث امرأة من بنى النجار وأمر بالأسارى أن يكونوا الى دار أسـامة بن زيد. ثم خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة فخندق بها خنادق فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليها ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب . وكعب بن أسد رأس القوم وهم ٦٠٠ أو ٧٠٠ وقيل انهم كانوا من ٨٠٠ الى ٩٠٠

وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالا : يا كعب ما ترى مايصنع بنا ؟ فقال كعب : فى كل موطن لاتعقلون . ألاترون الداعى لاينزع وانه من ذُهب به منكم لا يرجع . هو والله القتل

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة ، أنملة أنملة لئلا يُسلبها . مجموعة يداه الى عنقه بحبل . فلمـا نظر الى رسول الله ﷺ قال : أما والله مالمت نفسى فى عداوتك . ولـكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيهـا الناس لا بأس بأمر الله . كتاب الله وقدره وملحمة قد كتبت على بنى اسرئيل . ثم جلس فضربت عنقه

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحـدة . قالت والله انهـا لعندى تحـدث معى وتضحك ظهراً وبطنا ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله قلت ويلك مالك ؟ قالت : أقتل . قلت ولم ؟ قالت حدث أحدثته . قالت فانطلق بها فضربت عنقها . فـكانت عائشة تقول : ماأنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تُقتَل

وكانت تدعى هـذه المرأة بنانة امرأة الحـكم القرظى كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد فقتلته بارشاد زوجها لأنه أحب أن لاتبقى بعده فيتزوجها غيره ولم يقتل أحد من المسلمين فى هذه الغزوة غير خلاد

غنائم المسلمين

أمر رسول الله ﷺ أن يجمع ما فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ١٥٠٠ سيف و ٣٠٠ درع و ٢٠٠٠ رمح و ٥٠٠ ترس وحجفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أى يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة .فخمس ذلك مع النخل والسبى ثم قسم الباقى على الغانمين وكانت أسهم القسمة ٣٠٧٢ سهماً لأن المسلمين ٣٠٠٠ والخيل ٣٦ وللفرس سهمان ولصاحبه سهم . ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم منهم خيلا وسلاحاً واصطفى لنفسه من نسائهم (ريحانة) بنت عمرو بن جنافة فكانت عند رسول الله حتى توفى عنها وهى فى ملكه وعرض عليها الزواج فأبت وكانت حين سباها قد تعاصت بالاسلام وأبت الا اليهودية ثم أسلمت

دفن القتلى

ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشققن جيوبهن ونشرن شعورهن وضربن خدودهن وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام . وقيل ان بعضاً منهم تولى قتله الأوس وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير

وفاة سعد

لما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً . قال ابن اسحاق حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى قال من شئت من رجال قومى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ فى جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له

العرش ؟ قال فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات . وعن الحسن البصرى قال : كان سعد رجلا بادناً فلما حمله الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المسلمين والله ان كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال : ان له حملة غيركم والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش . وعن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبّح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ثم كبر فكبّر الناس معه. فقالوا يارسول الله مم سبحت . قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وقد دفن سعد ببقيع الغرقد . قال رسول ﷺ « كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ » وأم سعد كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر . وهى أول من بايع النبى ﷺ من نساء الأنصار

خسائر المسلمين فى غزوة بنى قريظة

خلاد بن سويد ـ طرحت عليه رحى . أما أبو سنان بن محصن فمات ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها الى اليوم واليه دفنوا أمواتهم فى الاسلام

ما نزل من القرآن

فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ابن اسحاق وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق وأمر بنى قريظة من القرآن القصة فى سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء ونعمته عليهم وكفايته اياهم حين فرج الله ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ لقول أوس بن قيظى ومن كان على مثل رأيه من قومه ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ فهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم

أُحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل الى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ظاهروهم أى عاونوهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة . من صياصيهم من الحصون والآطام التى كانوا فيها

يهود المدينة

وما آل اليه أمرهم

كان بين الأوس والخزرج حروب قديمة . فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة لقبهم بالأنصار لأنهم هم الذين نصروه فتآخى الفريقان وأمحى ما كان بينهما من العداوة وصاروا بنعمة الاسلام اخواناً وآخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار . أما يهود المدينة فقد كانت بنو قريظة والنضير حلفاء الأوس وبنو قينقاع حلفاء الخزرج وقد عاهدهم رسول الله ﷺ وأقرهم على دينهم وأموالهم . لكنهم ثاروا ونقضوا عهده وتعنتوا فى مناقشته وحسدوه على انتصاراته وكادوا له وعادوا ينكرون عليه نبوته . فلما رأى رسول الله ﷺ منهم الغدر وشدة العناد ودس الدسائس ، اراد التخلص منهم متحيناً الفرص فدعا بنى قينقاع الى الاسلام بعد غزوة بدر . وكانوا يسكنون بالمدينة ، فلما أبوا وأجابوه بكل جرأة غزاهم وأجلاهم الى أذرعات بالشام فى السنة الثانية من الهجرة وأرسل من قتل كعب بن الأشرف الشاعر الذى كان يهجو رسول الله ﷺ بأشعاره ويحض كفار قريش على قتاله وذلك فى السنة الثالثة من الهجرة . وغزا فى السنة الرابعة بنى النضير . وقد تقدم سبب هذه الغزوة . وأجلاهم عن المدينة فمنهم من سار الى الشام ومنهم من ذهب الى خيبر . ثم غزا بنى قريظة فى السنة الخامسة لأنهم هم الذين حزبوا الأحزاب عليه فى غزوة الخندق وانضموا الى الأعداء فى أحرج المواقف . وبعد غزوة بنى قريظة لم تقم لليهود قائمة بالمدينة وخضع المنافقون كل الخضوع وقد كانوا فئة قليلة . أما المدينة فلم تعد ملجأ للمضطهدين بل صارت مركزاً لسلطة دينية عظيمة واستطاعت اخضاع جزيرة العرب بعد سنين قليلة

سرية القرطا (١)

واسلام ثُمامة بن أُثال الحنفى

كانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصارى فى ثلاثين راكباً إبلا وخيلا . وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم ففعل ما أمر به فلما أغار عليهم هرب باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق ١٥٠ بعيراً و ٣٠٠٠ شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم .

وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليـلة وأسر ثمامة بن أثال روى ابن اسحاق عن أبي هريرة رضى الله عنه أن خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله . فقال أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بأمره صلى الله عليه لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه . فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك ياثمامة ؟ قال عندى خير يامحمد ان تقتل تقتل ذا دم ، وان تنعم تنعم على شاكر ، وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه حتى كان الغد ، ثم قال له ما عندك ياثمامة ؟ قال ما قلت لك : ان تنعم تنعم على شاكر . فتركه حتى كان بعد الغد : فقال ما عندك ياثمامة ؟ قال عندى ماقلت لك فقال : اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : (أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله) ثم قال والله يامحمـد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض الىّ من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الىّ . والله ما كان من دين أبغض الىّ من دينـك فأصبح دينك أحب الدين كله الىّ . والله ما كان من بلد أبغض الىّ

---

(١) القرطا من بنى بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية وهى قرية لبنى كلاب على طريق البصرة الى مكة وهى الى مكة أقرب . وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال

من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الىّ . وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره النبى ﷺ بخير الدنيا والآخرة وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة يلبى وينفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت ؟ قال لا . ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى ﷺ وقيل انه منع عن مكة الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز(١)

ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقاً كثيراً من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط وقام مقاماً حميداً بعد وفاة النبى ﷺ حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حمٓ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ ثم قال : فأين هذا من هذيان مسيلمة ؟ فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين

(١) الوبر والدم

غزوة بنى لحيان

كانت فى أول شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة (يونية ـ يولية سنة ٦٢٧م) وسببها أن رسول الله ﷺ حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه القراء الذين قتلوا ببئر معونة فى شهر صفر من السنة الرابعة . فأظهر ﷺ انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فخرج من المدينة فسلك على غُراب[١] على طريقه الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين ثم على صخيرات اليمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى نزل على غُران وهى منازل بنى لحيان[٢] الى بلد يقال لها ساية . وكان معه ٢٠٠ رجل ومعهم ٢٠ فرساً واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

وقد وجد رسول الله ﷺ أن القوم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال . فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا من كل ناحية من نواحيهم . ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم . ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً . وكانت غيبته ﷺ عن المدينة أربع عشرة ليلة

اغارة عُيَيْنَةَ بن حصن

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يقم الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل لغطفان[٣] على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة وكانت عشرين لقحة وفيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح

والرجل الذى قتلوه هو ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل

---

(١) جبل بناحية المدينة (٢) غران واد بين أمج وغسفان (٣) ٤٠ فارسا

وامرأته التى أسروها اسمها ليلى وقد نجت لأنهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى ﷺ ليـلا على حين غفلتهم . ويقال ان الناقة اسمها العضباء . فانطلقت ولما علموا بها طلبوها فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنهـا . فلما قدمت على النبى ﷺ أخبرته بذلك . وقالت : يارسول الله انى نذرت لله تعالى أن أنحرها ان نجانى الله عليها . فقال : بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك أن تنحريها . انه لا نذر لأحد فى معصية ولا لأحد فيما لا يملك . انما هى ناقة من ابلى . ارجعى الى أهلك على بركة الله

غزوة ذى قرد

وهى غزوة الغابة

ذو قَرَد ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان . وكانت فى ربيع الأول سنة ست (يوليه سنة ٦٢٧ م) وفى البخارى أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوماً

وسببها اغارة عيينة بن حصن الفزارى على لقاح رسول الله ﷺ كما تقدم لما أغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ، ونودى ياخيل اركبى . وأول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى

ركب رسول الله ﷺ فى خمسمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم كعادته . وخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ٣٠٠ يحرسون المدينة . وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه . وقال امض حتى تلحقك الخيول وأنا على اثرك

وكانت نتيجة هذه الغزوة أنهم أدركوا العدو فهزموه وقتلوا رؤساءه واستنقذوا اللقاح . وقيل بعضها ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحدوهو محرز بن نضلة . وسار رسول الله ﷺ حتى بلغ ذا قرد فى اتجاه خيبر فالتجأ العدو الى بنى غطفان. وقد أبلى فى هذه الغزوة سلمة بن الأكوع بلاءً حسناً وكان رامياً

قتل أبو قتادة مسعدة بن حكمة الفزارى فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمراً على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً

وكانت مدة غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أيام وصلى بذى قرد صلاة الخوف

سرية الغمر

أو سرية عكاشة بن محصن الأسدى

الغَمْر ماء لبنى أسد على ليلتين من فَيد ـ قلعة بطريق مكة ـ وكانت فى شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة .

خرج عكاشة رضى الله عنه فى أربعين رجلا فنذر به القوم فهربوا فنزلوا على بلادهم فوجدوا ديارهم خالية لهربهم . فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريباً فقصدوها فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبنى عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا ٢٠٠ بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله ﷺ ولم يلقوا حرباً

سرية محمد بن مسلمة الأنصارى

الى ذى القَصَّة (١)

كانت فى شهر ربيع الثانى (الموافق شهر أغسطس سنة ٦٢٧ م)

خرج محمد بن مسلمة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه . وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم . فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم . فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح فى أصحابه . السلاح ! فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا . ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا فحمله رجل من المسلمين حتى ورد به المدينة جريحاً

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا

---

(١) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا مى طريق الربذة (الواقدى)

الى منازلهـم فأغار عليهم فلم يجد أحداً ووجـد نعما وشاء فساقه وأصـاب رجـلا واحداً فأسلم فتركه وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه وشيئا من متاعهم وقدم به المدينة

وظاهر من ارسال محمد بن مسلمة فى عشرة رجال ان السبب هو مابلغهم من ان بنى ثعلبة وانمار جمعوا على أن يغيروا على سرح المدينـة وهى ترعى بهيفاء (١) وكانت الماشية قد ازدادت بسبب ماغنمه المسلمون . فلما قتل محمد بن مسلمة بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة طلباً لثأر المقتولين

سرية زيد بن حارثة

وفى شهر ربيع الآخر أيضاً كانت سرية زيد بن حارثة الى بنى سليم بالجموم (٢) فأصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فأسروهم

ثم سرية زيد بن حارثة أيضـاً الى العيص وكانت فى جمادى الأولى سـنة ست (سبتمبر سنة ٦٢٧ م)

وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه أن عيراً قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة ومعه سبعون راكباً ليتعرض لها فأدركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أميه بن خلف وأسر منهم ناساً : منهم أبو العاص بن الربيع . وأم هالة بنت خويلد أخت خديجة . وكان أبو العاص من رجال مـكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة . وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ . فدخلت زينب على رسول الله ﷺ فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل . وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له . ثم ذهب أبو العاص الى مـكة فأدى الى كل ذى مال ماله ثم أسلم وخرج فقدم المدينة

وكانت زينب هاجرت قبله الى المدينة وتركته على شركه ثم بعدأن أسلم وهاجر ردها ﷺ اليه

(١) موضع على سبعة أميال من المدينة (٢) ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينـة

وكان ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب من أبى العاص

سرية أخرى لزيد بن حارثة

هـذه السرية الى حِسْمَي . أرض ينزلها جـذام وراء وادى القرى وذلك من جهة الشام وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست (١ كتوبر سنة ٦٢٧ م)

وسببها أن رسول الله ﷺ كان قد أوفد دحيـة بن خليفة الـكلبى بكتاب الى قيصر يدعوه الى الاسـلام فأعطاه جائزة وكساه . فلقيه الهنيد بن عارض فى الطريق وهو عائد فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شىء كان معه عنـد حسمى فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامى ممن كان أسلم فاستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية

قدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى ٥٠٠ رجل فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فأقبل بهم حتى هجموا على القوم فأغاروا عليهم وأكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنـه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم . فأخذوا من الابل ١٠٠٠ بعير ومن الشاء ٥٠٠٠ ومن السبى مائة من النساء والصبيان . ولا شك أن هذا الاحصاء تقريبى كما يستدل عليه من الأرقام

ثم رحل رفاعة بن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله ﷺ كتابه الذى كان كتبه له ولقومه حين قدم عليه فأسلم . فلما قرئ الكتاب لرسول الله ﷺ قال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقال رفاعة أنت أعـلم يارسول الله لا نحرّم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً الى زيد فرد عليهم كل ما أخذ منهم

سرية عبد الرحمن بن عوف

الى دُومة الجَنْدَل

اسلام الأصبغ بن عمرو الكلبي

كان رسول الله ﷺ غزا دومة الجندل فى ربيع الأول سنة خمس (يوليه سنة ٦٢٦ م) وقد تقدم ذكرها .

أما هذه السرية فكانت فى شعبان سنة ست (نوفمبر سنة ٦٢٧ م) أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لهذه السرية وقد أصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فأدناه رسول الله ﷺ منه فأقعده بين يديه وعممه بيده . ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء ثم حمد الله وصلى على نفسه ﷺ ثم قال « خذه يا ابن عوف اغْزُوا جَمِيعاً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً فَهٰذَا عَهْدُ اللهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فِيكُمْ » فأخذ عبد الرحمن اللواء . وبعثه رسول الله ﷺ الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن بجيشه وكانوا ٧٠٠ رجل حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف . ثم أسلم فى اليوم الثالث (الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً) وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج تماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة وفازت بصحبة رسول الله ﷺ وهى أم ابنه أبى سلمة

سرية على بن أبى طالب

الى بنى سعد بن بكر

خرج علىٌّ رضى الله عنه ومعه (١٠٠) رجل الى بنى سعد بن بكر فى شعبان

سنة ست . وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أنهم ساعون فى جمع الناس لامداد يهود خيبر فأغاروا على نعم وشاء كثيرة وهرب الرعاء وساقوا النعم والشاء معهم وكانت ٥٠٠ بعير و ٢٠٠ شاة وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة

سرية زيد بن حارثة الى أم قِرْفَة

كانت هذه السرية فى رمضان سنة ست من الهجرة . وسببها أن زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ (وهذه أول مرة خرج فيها أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فى تجارة الى الشام) . فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم . وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فبعثه اليهم فى جيش فأحاطوا بمن وجدوه من بنى فزارة فقتلوهم وأخذوا (أم قرفة) وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى . وكانت ملكة رئيسة وذات شرف فى قومها وكانت عجوزا كبيرة فأسرها قيس بن المحسر وقيل ابن سحل فقتلها قتلا فظيعا ، ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها . وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ وقيل لأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها . وقالت لهم اغزوا المدينة واقتلوا محمدا . وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبى ﷺ فقام رسول الله ﷺ اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفر به .

ذكر هذه الغزوة الواقدى وذكرها السيد دحلان فى الجزء الثانى من كتاب السيرة النبوية . وانى أشك فى تفاصيل القصة بهذه الصفة . أشك فى اسم قيس هذا الذى أسر أم قرفة فقد قيل انه ابن المحسر وقيل ابن سحل وقيل ابن المحسن [1]

---

(١) جاء فى أسد الغابة « قيس بن المحسر الكنانى الشاعر » واختلف فى اسمه فقيل أيضا قيس بن مسحل وسماه ابن اسحاق مسحرا وقد أخرج أبو عمر قيس بن المحسر وذكر فيه أنه غزا مع زيد بن حارثة أم قرفة وقتلها ولم يذكر أنه مثل بها

وأشك فى أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يمثل بامرأة ويقتلها هذا القتل الشنيع مع العلم بأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة ، وأوصى عبد الرحمن بن عوف حين أرسله الى دومة الجندل فقال : ﴿ أُغْزُوا جَمِيعًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا فَهَذَا عَهْدُ اللهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فِيكُمْ ﴾

وليس بين سرية عبد الرحمن بن عوف وسرية زيد بن حارثة الى أم قرفة غير شهر واحد .

وسيأتى فى سرية عبد الله بن عتيك أن رسول الله ﷺ نهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة

وعلى كل حال لا يمكن أن يبلغ النبى قتل أم قرفة على هـذه الصورة الشنعاء من غير أن يبدى استياءه . لذلك كان ما روى من التمثيل بأم قرفة مردوداً

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل سلام بن أبى الحقيق

كانت هذه السرية لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بن أبى الحقيق اليهودى وهو من أعداء رسول الله ﷺ الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ هذه الغزوة فقد قيل انها كانت فى ذى الحجة سنة خمس بعد الخندق . وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الأشرف الواقع سنة ثلاث وذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى السنة الثالثة فى النصف من جمادى الآخرة . أما الواقدى فانه زعم أن هذه السرية التى وجهها رسول الله ﷺ الى أبى رافع أوسلام بن أبى الحقيق انما وجهها اليه فى ذى الحجة من سنة أربع من الهجرة . والثابت أن سلام بن أبى الحقيق كان من الذين حزبوا الأحزاب فى غزوة الخندق . وغزوة الخندق كانت فى السنة الخامسة وكان سلام هذا ممن ذهب الى خيبر بعد اجلاء بنى النضير ثم انه بعد الخندق أخذ يحرض بنى فزارة والقبائل الأخرى ولذلك نرجح أن هذه السرية كانت فى السنة السادسة كما ذكرها السيد دحلان فقد قال « انها كانت فى رمضان سنة ست » . (شهر ديسمبر سنة ٦٢٧ م)

خرج الى رسول الله ﷺ خمسة من الخزرج وهم :

(١) عبد الله بن عتيك (٢) عبد الله بن أنيس (٣) أبو قتادة (٤) الاسود ابن خزاعى (٥) مسعود بن سنان الاسلمى . واستأذنوه فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر لأن الأوس كانوا قد أصابوا كعب بن الأشرف فأراد الخزرج أن لا يكون للاوس فضل عليهم عند رسول الله ﷺ

فأمرهم ﷺ بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة [1] وأمّر عليهم عبد الله بن

(١) راجع الطبرى

عتيك . فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل والحركة جاءوا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله بن عتيك اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن ، فأقبل حتى دنا من البواب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كأنه يقضى حاجته مخافة أن يُعرف فدخل واختبأ عند باب الحصن ثم صعد اليه وكان عبد الله بن عتيك يتكلم اليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته . فقالت : من أنت ؟ قال : جئت أبا رافع بهدية . ففتحت له وقالت ذاك صاحبك . فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت . قال فقلت أبا رافع . لاعرف موضعه . فقال من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وأنا دهش فما أغنت شيئا ولم أقتله وصاح أبو رافع . فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته ياأبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك . قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك ؟ قال ثم دخلت عليه كأنى أغيثه وغيرت صوتى . فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال لأمك الويل ! ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف . فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعتُ ظبة السيف فى بطنه حتى دخل فى ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت انى قتلته

وفى الطبرى « ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده »

قال ابن عتيك ـ فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ولما علم ابن عتيك انه قتل أبا رافع أخبر رسول الله ﷺ

ووقع فى بعض الروايات ان الذى قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما فى صحيح البخارى أن الذى قتله هو عبد الله بن عتيك وفى أسد الغابة ـ « وهو الذى ولى قتل أبى رافع بن أبى الحقيق بيده وكان فى بصره ضعف » الخ

سرية عبد الله بن رواحة

الى أُسير بن رِزَام

كانت سرية عبد الله بن رواحة الأنصارى الخزرجى الى أُسير بن رِزَام[1] اليهودى بخيبر فى شوال سنة ست من الهجرة (يناير سنة ٦٢٨ م) وسببها أنه لما قتل أبو رافع سلام بن الحقيق أمّرت يهود عليها أسَيراً فاقترح عليهم طريقة للانتقام من رسول الله ﷺ فأقروه عليها ، وحاصلها أن يذهب الى غطفان ويجمعهم ويسير الى رسول الله ﷺ فى عُقر داره . فسار الى غطفان فلما بلغه ﷺ وجه عبد الله ابن رواحة فى ثلاثة نفر فى شهر رمضان سراً ليستكشف له الخبر فذهب الى ناحية خيبر ثم عاد فأخبر رسول الله ﷺ بما سمع ورأى، وقدم عليه أيضا خارجة بن حُسيل وقال له تركت أسير بن رزام يسير اليك فى كتائب يهود . فندب رسول الله ﷺ الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا ان رسول الله ﷺ بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع فى ذلك فشاور يهود فخالفوه فى الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بنى اسرائيل . قال بلى قد مللنا الحرب . فخرج أسير وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين . فلما كانوا بقرقرة ندم أسير على مسيره الى رسول الله ﷺ وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه وفى رواية عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفى ففطنت له (يتضح من ذلك أن أسيراً كان أعزل) فدفعت بعيرى وقلت غدراً أى

---

(١) أسير بن رزام بهذا الضبط لكن مسترموير يقول انه ابن زارم ويكتبه هكذا (Osier ibn zarim)

عدو الله مرتين . فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لى أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقتلوهم ولم يفلت منهم غير رجل واحد ولم يصب من المسلمين أحد ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثوه الحديث فقال « حقا قد نجا كم الله من القوم الظالمين »

سرية كُرز بن جابر الفهرى

كان كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه أحد رؤساء قريش أسلم بعد الهجرة واستشهد عام الفتح وهو الذى خرج رسول الله لطلبه فى غزوة بدر الأولى وقد مر ذكرها

كانت هذه السرية فى جمادى الأولى سنة ست وسببها أن أناساً من عكل وعرينة [1] يبلغ عددهم نحو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وكانوا حين قدموا المدينة سقاماً مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم (قال مستر موير انهم كانوا مصابين بداء الطحال)

فقالوا يارسول الله انا كنا أهل ضرع (أى ماشية وابل) ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فأمر لهم بذود من الابل [2] ومعها راع وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم باتباعهم اشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبداً له اسمه يسار . وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك فى عينيه واستاقوا الذود وحُمل يسار ميتا الى قباء فدفن هناك . فهؤلاء أعراب قساة غلاظ القلوب يقابلون الاحسان بالاساءة يكرمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهب لهم الماشية ويرسل معهم الراعى رأفة بهم ويصف لهم الدواء الشافى لدائهم فيأخذون الابل ويشربون ألبانها وتصح أجسامهم ثم يجحدون النعمة

---

(١) عكل : حى من قضاعة ، وعرينة : حى من بجيلة (٢) هى من الثلاثة الى العشرة

ويكفرون بعد اسلامهم ويقتلون ذلك الراعى الأمين المسكين ويمثلون به أشنع تمثيل ويسرقون الابل . جرائم متعددة يقترفونها . فهل هؤلاء يستحقون العفو والاحسان والمعاملة الحسنة ؟ كلا بل الحكمة تقضى بقطع دابرهم واستئصال شأفتهم ليكونوا عبرة لمن اعتبر ولئلا يجرؤ بعد ذلك أحد من أمثال هؤلاء اللصوص القتلة الخائنين أن يعبث بالاسلام والمسلمين . وهذا ما فعله رسول الله ﷺ فانه عليه الصلاة والسلام لما جاءه الصريخ بما وقع منهم بعث فى آثارهم خيلا من المسلمين قريباً من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبى ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ولم يفلت منهم أحد وتركوا فى ناحية الحرة فى الشمس حتى ماتوا

وأنزل الله فى هؤلاء ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا ومثلوا وقطعوا الطريق وسرقوا

أمر الحديبية

الحديبية هى بئر سمى المكان باسمها ، وقيل قرية أكثرها فى الحرم على تسعة أميال من مكة

وسببها أن النبى ﷺ رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين

فخرج رسول الله ﷺ من المدينة فى ذى القعده من السنة السادسة (فبراير سنة ٦٢٨ م) معتمراً « زائرا البيت » لا يريد حربا بعد أن مضى عليه ﷺ ست سنوات بعد الهجرة فى المدينة لم يزر فيها مكة ولم يعتمر ولم يحج . فخرج فى هذه السنة معتمراً واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب . فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى (ما يهدى الى الحرم من النعم) وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا أنه انما خرج زائراً للبيت ومعظماً له وأخرج معه زوجته أم سلمة رضى الله عنها ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وجملة أصحابه الذين خرجوا معه من ١٤٠٠ الى ١٦٠٠

أما مارواه ابن اسحاق من أنه ﷺ ساق معه الهدى ٧٠ بدنة (١) وكان الناس ٧٠٠ رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، فلا بد أن يكون هذا العدد فى بدء خروجهم قبل أن ينضم اليه ﷺ من عداهم من الاعراب . ولم يخرج ﷺ معه بسلاح الا سلاح المسافر ، السيوف فى القرب . فلما كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى ، فقال له « يارسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم

---

(١) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها : والجمع بدن

العوذ المطافيل[١] قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لاتدخلها عليهم أبداً . وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم[٢] قد قدموا الى كراع الغميم[٣] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش ؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غيرطريقهم التى هم بها ؟ فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله. فسلك بهم طريقا وعراً (واسم هذا الرجل حمزة بن عمرو الأسلمى) فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة عند منقطع الوادى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه . فقالوا ذلك . فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا ، رجعوا راكضين الى قريش (ذكر أن فرسان قريش كانوا ٢٠٠ منهم عكرمة بن أبى جهل وكان قائدهم خالد بن الوليد)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته القصواء فقال الناس خلأت[٤] فقال « ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لاتدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى صلة الرحم الا أعطيتهم اياها »

ثم قال للناس انزلوا . فقالوا يارسول الله مابالوادى ماء ينزل عليه فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن[٥] واختلف فيمن نزل فى القليب بسهم

---

(١) العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن . والمطافيل الأمهات التى معها أطفالها والمراد أنهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرار (٢) لم يكن خالد بن الوليد قد أسلم خلافاً لما زعمه بعض المؤرخين من أنه كان مع المسلمين (٣) موضع قريب من مكة (٤) بركت من غير علة (٥) سيرة ابن هشام

رسول الله ﷺ فقيل هو سائق بدنه - ناجية بن جندب وقيل انه البراء بن عازب وقيل عبادة بن خالد وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه ﷺ جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها . ثم قال دعوها ساعة فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا . وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدى رسول الله ﷺ ركوة يتوضأ منها فأقبل الناس نحوه فقال مابالكم ؟ قالوا يارسول الله ليس عندنا مانتوضأ به ولا نشرب الامافى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حيان بينهما بأن ذلك وقع فى وقتين . وكانت قصة الركوة قبل قصة البئر

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وانما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان . فرجعوا الى قريش . فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمداً لم يأت لقتال ، انما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب

وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لايخفون عنه شيئاً كان بمكة

ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا ، قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ

ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاماً لما رأى . فقال لهم ذلك . فقالوا له اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك . فغضب الحليس عند ذلك وقال : يامعشر قريش

والله ما على هذا حالفنا كم ولا على هذا عاقدنا كم . أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به

ثم بعثوا الى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى فقال يامعشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وانى ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال :

يا محمد أجمعت أوشاب الناس (١) ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم ؟ انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً (تكرر هذا الكلام فقد قاله « بشر بن سفيان ») وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً (٢)

وكان أبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعداً فقال (امصص بظر اللات (٣) أنحن ننكشف عنه ؟)

فقول أبى بكر « امصص بظر اللات » مبالغة منه فى سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيراً لمعبوده وعادة العرب الشتم بذلك . وقد ساء أبا بكر قول عروة أن أصحابه ﷺ ينكشفون عنه غداً أى يفرون فقال له ما قال وأجابه بما فيه تحقير له ولمعبوده

فقال عروة بعد أن سمع هذه الاهانة : من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أبى قحافة . فقال أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بها

قال الزهرى ان اليد المذكورة هى أن عروة كان يحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضى الله عنه بعون حسن

---

(١) بمعنى اخلاط الناس (٢) يريد أن أصحابه صلى الله عليه وسلم يفرون عنه غداً (٣) البظر فى قول أبى بكر رضى الله عنه: هو الفرج. واللات: اسم صنم كانت تعبده ثقيف لأن عروة كان بالطائف فاللات كان معبوده

ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول ا كفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل اليك فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك . فتبسم رسول الله ﷺ . فقال له عروة من هـذا يامحمد ؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال أى غدر ! وهل غسلت سوأتك الا بالأمس .

ولشرح هذا الموقف نقول : المغيرة بن شعبة هو ابن أخى عروة . وقد كان أثناء حديث عروة مع رسول الله ﷺ قائماً على رأس رسول الله ﷺ ومعـه السيف بقصد الحراسة وعليه المِغْفَر (١) فكان المغيرة كلما أهوى عروة بيده الى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف (٢) . وكانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحيـة من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل ، وفى الغالب انمـا يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لمكانته ورفعته فى قومه أنه نظير للنبى ﷺ وما علم حينئذ أنه لا نظير له فاللائق منعه

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا (أى غدر وهل غسلت سوأتك الا بالأمس) ان المغيرة بن شعبة قبل اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين والأحـلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح الأمر

وبعد أن قال عروة ما قال كلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً

فقام من عند رسول الله ﷺ ورجع الى أصحابه وقد بهره ما رأى من احترام أصحابه ﷺ له فقال :

« أى قوم ، فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى . والله ما رأيت ملـكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً . والله ما يتنخم

---

(١) زرد ينسج على قدر الرأس (٢) وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها

نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده إجلالا وتوقيراً وما يحدون النظر اليه تعظيما له، وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبداً فروا رأيكم »

فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف

قال ابن اسحاق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ

وبعثت قريش أربعين أو خمسين رجلا منهم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأُخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : « يارسول الله انى أخاف قريشاً على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى . وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها . ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحربهم وأنه انما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته

فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ (١) . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به . فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة سول الله ﷺ اليهم : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها .

(١) ابان بن سعيد بن العاص هو ابن عم عثمان أسلم بعد ذلك

فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل

وقيل ان عثمان بن عفان دخل مكة ومعه عشرة من الصحابة باذن رسول الله ﷺ ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم . وقيل ان قريشاً احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه . وعلى كل حال أبطأ عثمان رضى الله عنه عن الرجوع فقلق عليه المسلمون، فلما بلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، أى نقاتلهم

والظاهر أن أبا سفيان لم يكن بمكة وقتئذ لأننا لم نسمع له رأياً ونرجح أنه كان غائباً فى تجارة

بيعة الرضوان

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة (١) وأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ينادى الناس الى البيعة

قال سلمة بن الأكوع رضى الله عنه : بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه إما الفتح وإما الشهادة ، وفى رواية بايعناه على الموت . ولم يتخلف أحـد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قدضبأ اليها يستتر بها من الناس ، وكان أول من بايعه صلى الله عليه وسلم أبو سنان الأسدى

ولما لم يكن عثمان رضى الله عنه حاضرا بايع عنه النبى صلى الله عليـه وسلم على تقدير حياته ، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال : اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وفى ذلك اشارة منه الى أن عثمان لم يقتل . وانما بايع القوم اخـذا بثأر عثمان جريا على ظاهر الاشاعة وتثبيتا وتقوية لهم . وكان عـدد الذين بايعوه (١٤٠٠)

قال تعالى يذكر هـذه البيعة ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وبعد أن جاء عثمان رضى الله عنه بايع بنفسه

تأثير البيعة فى قريش

لما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى فيهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس

---

(١) شجرة هناك من أشجار السمر . وقد بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناساً يصلون عند الشجرة التى كانت البيعة عنـدها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنـه من اتساع الامر وظهور البدعة وان تعبد كالاصنام فأمر بها فقطعت

الصلح

بعثت قريش سهيل بن عمرو [١] اخابنى عامر بن لؤى الى رسول الله ﷺ وقالوا له : ائت محمدا فصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فو الله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة أبدا فلما أقبل سهل قال رسول الله ﷺ قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل وطالت المراجعة بينه وبين النبى ﷺ . فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا [٢] . قال أبو بكر : الزم غرزه [٣] فانى أشهد انه رسول الله . قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله : ألست برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى . فكان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً

ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم . فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان

---

(١) كان سهيل سياسيا قادراً وخطيباً مصقعاً (٢) أى الخصلة المذمومة (٣) أى ركابه

بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه (وكان على رضى الله عنه وبعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة يعارضون فى محو كلمة رسول الله) وتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب : السيوف فى القرب لاتدخلها بغيرها . وكتبت نسخة أخرى من هذا العقد لتبقى عند المسلمين لأن سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى وقيل ان الذى كتب النسخة الأخرى محمد بن مسلمة ولم يكن أحد فى القوم راضياً بجميع مارضى به النبى ﷺ غير أبى بكر

وقد جاء فى كتاب الصلح « وان بيننا عيبة مكفوفة » أى أموراً مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه « لا اسلال ولا اغلال » أى لاسرقة ولاخيانة

مزايا هذا الصلح

نقل النووى عن العلماء « أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى ﷺ وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى ﷺ كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة . فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاءوا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبى ﷺ ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن

الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما وازداد الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام . فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تم لهم من الميل »

وانا نضيف الى ذلك أن مزايا هذا الصلح التى غابت عن أصحابه ﷺ ولم تخف عنه عظيمة جداً فقد اعترف له ﷺ فى هذه المعاهدة بأنه قوة مستقلة نظير قريش وأن الهدنة توجد للمسلمين فرصـة لنشر دينهم فى جزيرة العرب بلا معارضـة ثم ان النبى ﷺ كان واثقاً من جهة أخرى من اخلاص أصحابه وحبهم له وشدة تمسكهم بالعقيدة الاسلامية فلا ينضمون الى قريش بينما كان يتوقع اسلام بعض القبائل وفوق ذلك فقد سمح له بزيارة مكة لتأدية الفريضة الدينية مع المسلمين فى العام القابل والاقامة بها مدة ثلاثة أيام من غير أن يتعرضوا لهم بسوء وبسبب ماجاء فى هذه المعاهدة من المزايا ازداد عدد المسلمين زيادة عظيمة فبعد أن كان عدد جيش الحديبية (١٤٠٠) بلغ عددهم عند فتح مكة بعـد عامين (١٠٫٠٠٠) وفى دائرة المعارف الاسـلامية « ان محمداً ﷺ فاز فى صلح الحديبية على قريش فوزاً سياسياً باهرا [1] »

لما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وقيل ان الذى حلقه فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى . فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال والمقصرين فقالوا فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال لم يشكوا

وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هديه جملا لأبى جهل فى رأسـه برة من فضة يغيظ بذلك المشركين وكانت بدنه ﷺ التى نحرها بالحديبية ٧٠ . وكانت اقامته ﷺ بالحديبية نحو عشرين يوما

قال الزهرى فى حديثه (ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا حتى

---

(1) Encyclopaedia of Islam .

اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) ثم كانت القصة فيه وفى أصحابه حتى انتهى الى ذكر البيعة فقال تعالى (انَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ انَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)

واختلف الناس فى المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضى الله عنهم : الفتح هنا فتح الحديبية . وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضى لتحقق وقوعه

ونرجح أن الفتح المقصود هو فتح الحديبية لأن هذه الآية نزلت بعد انصرافه منها وهذا الفتح مقدمة لفتح مكة وقد روى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الأنصارى الأوسى : قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم (١) . وقد جمع الناس وقرأ عليهم (انافتحنا لك فتحاً مبيناً) فقال رجل يارسول الله أو فتح هو ؟ قال : إى والذى نفسى بيده انه لفتح . وروى موسى بن عقبة والزهرى والبيهقى عن عروة بن الزبير قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم راجعاً فقال رجل من أصحابه ماهذا بفتح . لقد صدنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الأمان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين بهو أعظم الفتوح . أنسيتم يوم أُحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم . أنسيتم يوم الأحزاب اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا

---

(١) هو موضع أمام عسفان

فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يانبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وأمره منا

تنفيذ المعاهدة

قد راعى رسول الله ﷺ تنفيذ هذه المعاهدة بدقة فكان فى مدة الصلح يرد الرجال المهاجرين ولا يرد النساء بعد الامتحان وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنها ماهاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله . قال الله تعالى (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ) فلما هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر ﷺ ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة وهى أخت عثمان بن عفان لأمه - لم يردها النبى ﷺ لأن الشرط يقضى برجوع الرجال فقط . ولما خرج أخوها عمارة والوليد فى ردها بالعهد ، أخبرهما رسول الله بأن النساء المؤمنات لايرجعن وأن الشرط فى الرجال فقط وأن النساء يمتحن فرجعا الى مكة وأخبرا قريشاً بذلك فرضوا به

ورد رسول الله ﷺ أبا بصير فذهب - بعد أن قتل خنيساً الذى كان جاء فى طلبه - الى محل فى طريق الشام يمر به ذوو الميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده ﷺ يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكباً أسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ فى مدة الهدنة خوفاً من أن يردهم الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لايظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له ﷺ تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم فكتب رسول الله ﷺ الى أبى جندل وأبى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم

من المسلمين يلحق ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله ﷺ فى يده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول رسول الله ﷺ يوم الحديبية « سيجعل الله لأبى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا »

رسل النبى ﷺ

الى الملوك والأمراء

قبل أن نذكر كتب النبى ﷺ الى الملوك والأمراء يجدر بنا أن نلقى نظرة على حالة الامبراطورية الرومانية ودولة الفرس.

كانت الحروب ناشبة بين الامبراطورية الرومانية والفرس ففى سنة ٦٢١ م انتصرت جيوش الفرس واستولت على الشام ومصر وآسيا الصغرى وذلك قبل الهجرة بسنة . وكان الفرس وقتئذ يهددون القسطنطينية وأخيراً ظهر هرقل وتحول على إعادة مجد دولته وفى زمن الهجرة (سنة ٦٢٢ م) كان الامبراطور الرومانى يطارد المغيرين من آسيا الصغرى. وفى الموقعة الثانية من مواقعه سارت جيوشه الى قلب بلاد الفرس نفسها . وفى أثناء السنوات الثلاث التى كان فيها يسترد هرقل مجد الامبراطورية كان رسول الله ﷺ فى نزاع مع قريش وأعقب ذلك حصار الفرس للقسطنطينية الذى كان قبل حصار المدينة فى غزوة الأحزاب بنصف سنة (يولية سنة ٦٢٦ م) وفى الموقعة الثالثة والى هرقل انتصاره السابق فانتصر انتصاراً تاما فى أول ديسمبر سنة ٦٢٦م فى موقعة نينوى وبذلك انكسرت جيوش الفرس وتشتت شملهم وفى التاسع والعشرين من هذا الشهر فر كسرى الى عاصمة ملكه . وفى فبراير سنة ٦٢٨ قتله ابنه (شيرويه) واستولى على العرش وعقد معاهدة صلح مع الامبراطور الرومانى على أن تبقى حدود الدولتين على ما كانت عليه من قبل وفى حوالى هذا الوقت كان النبى ﷺ يعقد صلح الحديبية مع رؤساء قريش وفى ربيع هذه السنة خرج هرقل لزيارة القدس

خاتم رسول الله ﷺ

قيل لرسول الله ﷺ عندما أراد ارسال كتبه الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام

انهم لايقرءون الكتاب الا اذا كان مختوما فاتخذ ﷺ خاتماً من فضة وكان نقشه ثلاثة أسطر (محمد) سطر (رسول) سطر (الله) سطر . والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الأسطر . ورسول فى الوسط : والله فوق . وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم به فكان ذلك الخاتم فى يده ﷺ ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر ثم فى يد عثمان رضى الله عنهم حتى وقع فى بئر أريس فى السنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه

كتب رسول الله ﷺ

كان ﷺ يفتتح أكثر كتبه بلفظ « من محمد رسول الله الى فلان » وربما افتتحها بلفظ « أما بعد » وربما افتتحها بلفظ « هذا كتاب » وربما افتتحها بلفظ « سلم أنت »

وكان يصرح فى الغالب باسم المكتوب اليه فى أول المكاتبات وربما اكتفى بشهرته فان كان المكتوب اليه ملكا كتب بعد ذكره اسمه « عظيم القوم الفلانيين » وربما كتب « ملك القوم الفلانيين » وربما « كتب صاحب مملكة كذا »

وكان يعبر عن نفسه ﷺ فى أثناء كتبه بلفظه الافراد مثل « أنا » و « لى » و « جاءنى » و «وفدعلىَّ» وماأشبه ، وربما أتى بلفظ الجمع مثل « بلغنا » و «جاءنا» ونحو ذلك

وكان يخاطب المكتوب اليه عند الافراد بكاف الخطاب . مثل « لك وعليك » وتاء المخاطب . مثل « أنت قلت كذا وفعلت كذا » وعند التثنية بلفظها مثل : « أنتما ولكما وعليكما » وعند الجمع بلفظه . مثل « أنتم ولكم وعليكم » وما أشبه ذلك .

وكان يأتى فى صدور كتبه بالسلام . فيقول فى خطاب المسلم « سلام عليك » وربما قال : « السلام على من آمن بالله ورسوله » وفى خطاب الكافر « سلام على

من اتبع الهدى » وربما أسقط السلام من صدر الكتاب

وكان يأتى فى صدور الكتب بالتحميد بعد السلام . فيقول : « فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو » وربما تركه . وقد يأتى بعد التحميد بالتشهد وقد لا يأتى به .

وكان يتخلص من صدر الكتاب الى المقصود تارة بأما بعد وتارة بغيرها

وكان يختم كتبه بالسلام تارة ، فيقول فى خطاب المسلم « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » وربما اقتصر على السلام . ويقول فى خطاب الكافر « والسلام على من اتبع الهدى » وربما أسقط السلام من آخر كتبه

١ - كتاب رسول الله ﷺ

الى هِرَقْل (Heraclius)

كان ارسال الكتاب الى هرقل سنة ست من الهجرة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية وكان وصوله اليه فى المحرم سنة سبع وقد أمر رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى هرقل وكان هرقل قد نذر أنه اذا ظهر على الفرس وأخرجهم من بلادهم زار القدس حاجا ماشياً على قدميه . فخرج فى خريف سنة ٦٢٨ م (السنة السابعة من الهجرة) وفاء بنذره . وفى أثناء سفره سلم اليه حاكم بصرى كتاب النبى ﷺ وكان دحية لما انتهى الى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم ليوصله الى هرقل

وهذا نص الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى أما بعد . أسلم تسلم . وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان تتول فان إثم الاكارين عليك [١]) عن عبد الله بن عباس قال : [٢] « حدثنى أبو سفيان بن حرب قال : كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله لم نأمن أن لا نجد أمناً فخرجت فى نفر من قريش تجار الى الشام وكان وجه متجرنا منها غزة فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها وانتزع له منهم صليبه الأعظم وكانوا قد استلبوه اياه فلما بلغ ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ له وكانت حمص منزله خرج منها يمشى على قدميه متشكراً لله حين رد

---

(١) الأكار هو الفلاح . والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك

(٢) راجع الطبرى الجزء الثالث

عليه مارد ليصلى فى بيت المقدس وتبسط له البسط وتلقى عليها الرياحين. فلما انتهى الى ايلياء وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته وأشراف الروم . أصبح ذات غداة مهموماً يقلب طرفه الى السماء، فقال له بطارقته والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً . قال أجل . أريت فى هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر . قالوا أيها الملك ما نعلم أمة تختتن الا يهود وهم فى سلطانك وتحت يدك فابعث الى كل من لك عليه سلطان فى بلادك فمره فليضرب أعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم . فوالله انهم لفى ذلك من رأيهم يديرونه اذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها . فقال أيها الملك ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدث عن أمر عجب حدث ببلادهم فسله عنه . فلما انتهى به رسول صاحب بصرى الى هرقل قال هرقل لترجمانه : سله ما كان هذا الحدث الذى كان ببلاده ؟ فسأله : فقال خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبىّ قد اتبعه ناس وصدقوه وخالفه ناس . وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك . قال فلما أخبره الخبر ، قل جردوه فجردوه فاذا هو مختون . فقال هرقل هذا والله الذى أُريت لاما تقولون . أعطوه ثوبه . ثم دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً وبطناً حتى تأتينى برجل من قوم الرجل يعنى النبى ﷺ

قال أبو سفيان : فوالله انا لبغزة اذ هجم علينا صاحب شرطته فقال أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال انطلقوا بنا الى الملك . فانطلقنا معه فلما انتهينا اليه قال أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا نعم . قال فأيكم أمس به رحماً ؟ قلت أنا . قال أبوسفيان : وايم الله مارأيت من رجل أرى أنه كان أنكر من ذلك الأغلف يعنى هرقل . فقال : ادنه فأقعدنى بين يديه وأقعد أصحابى خلفى . ثم قال : انى سأسأله فان كذب فردوا عليه ، فوالله لو كذبت ماردوا علىّ ولكنى كنت امرأ سيداً أتكرم عن الكذب وعرفت أن أيسر مافى ذلك ان أنا كذبته أن يحفظوا ذلك علىّ ثم يحدثوا به عنى ، فلم أكذبه . فقال أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدعى مايدعى . قال فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره . وأقول له أيها الملك

مايهمك من أمره ؟ ان شأنه دون ما يبلغك فجعل لا يلتفت الى ذلك . ثم قال : أنبئني عما أسألك عنه من شأنه . قلت سل عما بدالك . قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت محض أوسطنا نسباً . قال فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ماقال فهو يتشبه به ؟ قلت لا . قال : فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت لا . قال . قال فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قال قلت الضعفاء والمساكين والأحداث والغلمان والنساء . وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : أخبرني عن من تبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟ قال قلت ماتبعه رجل ففارقه . قال : أخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال قلت سجال يدال علينا وندال عليه . قال فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً مما سألني عنه أغمزه فيه غيرها . قلت لا ونحن منه فى هدنة ولا نأمن غدره . قال فوالله ما التفت اليها مني ثم كر على الحديث

قال سألتك كيف نسبه فيكم فزعمت أنه محضٌ من أوسطكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي اذا أخذه لايأخذه الا من أوسط قومه نسباً . وسألتك هل كان أحد من أهل بيتك يقول بقوله فهو يتشبه به فزعمت أن لا . وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان . وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ، فزعمت أن لايتبعه أحد فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه . وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ما تحت قدميّ هاتين ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . قال فقمت من عنده وأنا أضرب احدى يديّ بالأخرى وأقول أى عباد الله لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة (١) أصبح

---

(١) أمر أمر ابن أبي كبشة أى عظم أمره هذا . وفى رواية مازلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبي كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه سلم كان يكنى أبا كبشة وكان خالف قريشا فى عبادة الاصنام فشبهوا به النبي صلى الله عليه وسلم لمخالفته اياهم فى عبادتها

ملوك بنى الأصفر يهابونه فى سلطانهم بالشام . قال وقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ . فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته

وفى البخارى أن قيصر لما صار الى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال : يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبى فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد أغلقت وقالوا أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابى . فلما رأى نفرتهم وأيس من ايمانهم قال ردوهم على . وقال انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه . اه فلم يسلم هرقل

وجميع المصادر الأجنبية تنكر هذه المحاورات التى جرت بين هرقل وأبى سفيان مما يدل على ميله الى الاسلام لأنه كان عريقا فى المسيحية متمسكا بها فلا يتصور أن يقول لأبى سفيان « لئن كنت صدقتنى عنه ليغلبنى على ما تحت قدمىّ هاتين ولوددت انى عنده أغسل قدميه » ولا يمكن أن يدعو قومه الى اتباع النبى وترك النصرانية وهو رئيسها فى وقت كان يحتفل فيه باسترداد الصليب الأعظم من الفرس

٢ _ كتاب رسول الله ﷺ

الى الحارث بن أبى شمر الغسانى

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدى الى الحارث بن أبى شمر الغسانى وكان أميراً بدمشق من جهة قيصر ومعه كتاب رسول الله ﷺ وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى ملكك) وختم الكتاب

قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله تعالى

قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله ﷺ . فقال حاجبه لاتصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألنى عنه ﷺ وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول انى قرأت فى الانجيل وأنى أجد صفة هذا النبى بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فأراه خرج بأرض القرظ فأنا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى . وكان هذا الحاجب رومياً اسمه مرى

قال شجاع وكان يكرمنى ويحسن ضيافتى ويخبرنى باليأس من الحارث ويقول هو يخاف قيصر . قال فخرج الحارث يوماً فوضع التاج على رأسه فأذن لى عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع منى ملكى أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته . علىّ بالناس . فلم يزل جالساً حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى . وكتب الى قيصر يخبره بخبرى فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضى الله عنه وقد بعثه رسول الله ﷺ . فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لاتسر اليه واله عنه ووافنى بايليا

ولما بلغ النبى ﷺ خبره قال « باد ملكه » ويفهم من هذا أنه لم يسلم

٣ - كتاب رسول الله ﷺ

الى كسرى عظيم الفرس

(Chosroes Eparwiz)

كتب رسول الله ﷺ الى كسرى بن هرمز وبعث بالكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمى لأنه كان يتردد على كسرى كثيراً وهذا نص الكتاب :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حياً . أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس)

فمزق كتاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله « مزق ملكه »

ثم كتب كسرى الى أمير له باليمن يقال له « باذان » أن ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلْدين فليأتيانى به . فبعث « باذان » قهرمانه وهو « بابويه » . وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له « خرخسرة » وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال لبابويه ائت بلد هذا الرجل وكلمه وأتنى بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنخب من أرض الطائف فسألاهم عنه فقالوا هو بالمدينة . واستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك . كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه بابويه . فقال ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثنى اليك لتنطلق معى فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك وان أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر

اليهما . ثم أقبل عليهما فقال : ويلكما من أمركما بهذا ؟ قال ربنا . يعنيان كسرى فقال رسول الله : لكن ربى أمرنى باعفاء لحيتى وقص شاربى . ثم قال لهما ارجعا حتى تأتيانى غداً وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه (شيرويه) فقتله فى شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا بعد ما مضى من الليل كذا وكذا

قال الواقدى : « قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها »

فدعاهما فأخبرهما فقالا هل تدرى ماتقول انا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟ قال نعم أخبراه ذلك عنى وقولا له ان دينى وسلطانى سيبلغ مابلغ ملك كسرى وينتهى الى منتهى الخف والحافر وقولا له إنك ان أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء . ثم أعطى « خرخسرة » منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فقال والله ماهذا بكلام ملك وانى لأرى الرجل نبياً كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كان هذا حقا ما فيه كلام ، انه لنبى مرسل . وان لم يكن فسنرى فيه رأينا

اسلام باذان

لم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه وهو :

« أما بعد فانى قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم فى ثغورهم فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه اليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه »

فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال ان هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن فكانت حمير تقول لخرخسرة ذو المعجزة للمنطقة

التى أعطاه اياها رسول الله ﷺ والمنطقة بلسان حمير المعجزة فبنوه اليوم ينسبون اليها خرخسرة ذو المعجزة . وقد قال بابويه لباذان ما كلمت رجلا قط أهيب عندى منه . فقال له باذان هل معه شرط ؟ قال لا

ولما أسلم باذان ولاه النبي ﷺ على مخاليف اليمن وكان منزله بصنعاء دار مملكة التبابعة وبقى حتى مات بعد حجة الوداع فولى النبى ﷺ ابنه (شَهْر) بن باذان على صنعاء وولى على كل جهة واحداً من الصحابة رضوان الله عليهم

ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم فى خلافة عمر رضى الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته ﷺ

وقد انكر الأستاذ نورث (C. R. North) فى كتابه الذى أسماه موجزاً عن الاسلام (An outline of Islam) طبعة سنة ١٩٣٤ ص ٣٤ أن رسول الله ﷺ أرسل كتابا الى امبراطور الروم وآخر الى امبراطور الفرس وزعم أن ذلك ليس له أساس تاريخى . وهكذا ينكر مؤرخو الفرنجة حتى الحقائق الثابتة

٤ – كتاب رسول الله ﷺ

الى المقوقس عظيم القبط (١)

بعث رسول الله حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه الى المقوقس . وذلك أنه ﷺ عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله ؟ فوثب اليه حاطب وقال أنا يارسول الله فقال بارك الله فيك ياحاطب وهذا نص الكتاب :

﴿ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ ٱلْقِبْطِ . سَلَامٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱلْإِسْلَامِ . أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ ٱللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ كُلِّ ٱلْقِبْطِ . يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ٱللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

وهذا الكتاب محفوظ بدار الآثار فى الاستانة قيل عثر عليه عالم فرنسى فى دير بمصر قرب أخميم فى زمن سعيد باشا

فسار حاطب بالكتاب حتى قدم على المقوقس الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية وأعطاه كتاب رسول الله ﷺ فضمه الى صدره وجعله فى حق عاج ودعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب :

(الى النبى ﷺ . بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم

---

(١) اسم المقوقس باللغة القبطية Pkauchios ومعنى المقوقس مطول البناء . وهذا لقب كل من ملك مصر وكان اسم هذا المقوقس جريج بن ميناء

القبط . سلام عليك . أما بعدفقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وماتدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام) وذكر له ما كان من اكرامه لحاطب وقيل انه دفع له مائه دينار وخمسة أثواب ودعا رجلا عاقلا فلم يجد بمصر أحسن ولا أجمل من مارية (مريم) وأختها سيرين وهما من أهل حفن من كورة أنصنا ، قرية بصعيد مصر (١) فبعث بهما الى رسول الله ﷺ وأهدى له بغلة وعسلا من عسل بنها . وقيل بعث له غير ذلك عشرين ثوباً من قباطى مصر وطيباً وعوداً ومسكا . ولكنه لم يسلم وقد قبل رسول الله ﷺ هذه الهدايا فأخذ مارية لنفسه وأهدى سيرين لحسان بن ثابت وهى أم عبدالرحمن بن حسان والبغلة تسمى « الدلدل » وكانت شهباء ولم يكن فى العرب يومئذ بغلة غيرها ودعا فى عسل بنها بالبركة

وقد ذكر المرحوم حفنى ناصف بك أصناف الهدايا التى أرسلها المقوقس الى رسول الله ﷺ وهى : (٢)

١ - مارية بنت شمعون وكانت أمها رومية

٢ - جارية أخرى يقال لها سيرين ولكنها أقل جمالا من مارية

٣ - جارية أخرى يقال لها قيسر

٤ - جارية سوداء يقال لها بريرة

٥ - غلام أسود يقال له هابو

٦ - بغلة شهباء وهى التى سميت بدلدل

٧ - فرس مسرج ملجم وهو الذى سمى بميمون

---

(١) جاء فى الحديث الشريف « أهدى المقوقس الى النبى صلى الله عليه مارية من حفن من رستاق أنصنا » وفى كتاب الانتصار لابن دقماق :

« وأنصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمه وكان بها مقياس صغير يقاس فيه ماء النيل وبعضه باق الى الآن وهى على ضفة النيل الشرقية قبالة الاشمونين - وقال : ان الاشمونين ذات كيمان عظيمة وان بانيها أشموم بن مصر ونقل عن القبط أن أشموم بنى سردابا تحت الارض من الاشمونين الى أنصنا » وقرية الاشمونين بمديرية أسيوط

(٢) راجع مجلة الهلال السنة ٤١ الجزء الاول ص ٧٨

٨ ـ حمار أشهب وهو الذى سمى بيعفور

٩ ـ مربعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك

١٠ ـ جانب من عسل بنها

١١ ـ ألف مثقال من الذهب

١٢ ـ عشرون ثوباً من قباطى مصر

١٣ ـ جانب من العود والند [1] والمسك

١٤ ـ قدح من قوارير

ويقال انه كان من ضمن الهدية طبيب فقال له النبى ﷺ « ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع »

وقد أسلمت مارية قبل أن تصل الى المدينة هى وسيرين بدعوة حاطب بن أبى بلتعة

مارية القبطية

كان رسول الله يعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة جميلة فأنزلها رسول الله ﷺ وأختها على أم سليم بنت مِلحان فأسلمتا فوطىء مارية بالملك وحولها الى مال له بالعالية كان من أموال بنى النضير فكانت فيه فى الصيف وفى خرافة النخل فكان يأتيها هناك وكانت حسنة الدين ووهب اختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبد الرحمن وولدت مارية لرسول الله غلاماً فسماه ابراهيم . وتوفيت فى خلافة عمر سنة ١٦ هـ ودفنت بالبقيع وكان عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها

---

(١) الند : الطيب ، غير عربى

ابراهيم ابن رسول الله ﷺ

لما ولد ابراهيم عق عنه رسول الله ﷺ بشاة يوم سابعه وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن فى الأرض وكانت قابلة مارية سلمى مولاة رسول الله ﷺ فخرجت الى زوجها أبى رافع مولى رسول الله فأخبرته بأنها قد ولدت غلاماً فجاء أبو رافع الى رسـول الله ﷺ فبشره فوهب له عبـدا وغار نساء رسول الله ﷺ واشتد عليهن حين رزق منها الولد . كانت ولادة ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة (ابريل سنة ٦٣٠ م) وتنافست فيه نساء الأنصار أيهن ترضعه فدفعه رسول الله الى أم بُرْدة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد فـكانت ترضعه

٥ – كتاب رسول الله ﷺ

الى النجاشي أصحمة

التجأ المهاجرون الأولون الى الحبشة فأكرمهم النجاشي وبقوا هنالك آمنين من اضطهاد قريش ولما هاجر رسول الله الى المدينة عاد أربعون من المهاجرين والتحقوا بالنبي ﷺ بالمدينة وبقي منهم في الحبشة نحو خمسين أو ستين تحت حماية النجاشي وقد حمل عمرو بن الضمري رسالتين اليه يدعوه في احداها الى الاسلام وفي الأخرى يأمره أن يزوجه أم حبيبة وهذه صورة كتابه ﷺ الى النجاشي الذي يدعوه فيه الى الاسلام:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ مسلمٌ أَنْتَ[1] فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيْمِنَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفْخِهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا جَاءَكَ فَاقْرِهِمْ وَدَعِ التَّجَبُّرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللهِ فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نُصْحِي وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وكتب الجواب للنبي ﷺ وهذا هو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله . من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يانبي الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله الا هو الذي هداني الى الاسلام . أما بعد فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب

---

(١) أي أنت سالم لأن السلم بمعنى السلامة

السماء والأرض ان عيسي ما يزيد على ماذكرت . وقد عرفنا مابعثت به الينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وأرسلت اليك بابنى ارها بن الأصحم بن أبجر فانى لا أملك إلا نفسى وان شئت أن آتيك فعلت يارسول الله (١)

قال ابن اسحاق « وذكر لى أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة فاذا كانوا فى وسط البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا »

اسلام النجاشى

ان رواية ابن اسحاق صريحة بأن النجاشى أصحمة أسلم . وقد قرأ جعفر بن أبى طالب عليه سورة مريم وقول عيسى ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ الآية . وفى هذه الآية نص عيسى عليه السلام على اثبات عبوديته وقال تعالى ﴿ ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وفى قوله عيسى بن مريم اشارة الى أنه ولد هذه المرأة وابنها لا انه ابن الله . وقال عز شأنه ﴿ وَإِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

وقد شك بعضهم فى اسلام النجاشى لكن المصادر التاريخية المهمة تصرح باسلامه (٢) وفى قول عمرو بن العاص انه بايع النجاشى على الاسلام وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه ولكنه كان يخفى اسلامه على قومه

ومما يقوى اسلام النجاشى أنه كان مسيحياً نسطوريا (٣) ومذهب نسطور قائم على التوحيد وينكر ألوهية المسيح فمن ذلك قوله (لا تقولوا مريم أم الله لأنها

---

(١) راجع ابن اسحاق (٢) راجع سيرة ابن هشام والطبرى وأسد الغابة ترجمة عمرو بن أمية الضمرى (٣) راجع كتاب حياة محمد تأليف ايرفنج Irving وموير الجزء الرابع

من البشر ويستحيل أن يولد الا له من البشر)

وقد ذكرت أن بحيرا الراهب الذى أكرم النبي عليه الصلاة والسلام عندما رحل الى الشام وعرفه بعلامات فيه ، كان متبعاً هذا المذهب - ونسطور هذا كان رجلا جليل القدر متبحراً فى الديانة المسيحية والذى يدل على مكانته الرفيعة فى الدين المسيحى أنه كان بطريرك القسطنطينية من عام ٤٢٨ الى ٤٣١ م [(١)] وكان له أتباع كثيرون من القساوسة لكنه اضطهد لعقيدته ونفى . فاذا كانت عقيدة النجاشى كما علمت هى عقيدة نسطور فالراجح أنه أسلم عندما عرض عليه الاسلام رسول الله ﷺ وقرأ عليه سورة مريم التى تنطبق على مذهبه ولأن الاسلام يحارب عبادة الاصنام ويدعو الى التوحيد وينكر ألوهية عيسى عليه السلام ويقر نبوته

وجاء فى مسند الشافعى (من كتاب الجنائز والحدود) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ نعى للناس النجاشى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وهذا دليل على اسلام النجاشى لأن رسول الله ﷺ لا يصلى الا على مسلم

وفى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى . مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم [(٢)] أصحمة

---

(١) راجع دائرة المعارف الانجليزية (٢) فى الاسلام كما جاء فى شرح البخارى للقسطلانى

زواج أم حبيبة

بنت أبي سفيان برسول الله ﷺ

عن محمد بن عمر قال : أرسل رسول الله ﷺ الى النجاشي ليزوجه «أم حبيبة» بنت أبي سفيان (١) ويبعث بها اليه مع من عنده من المسلمين . فأرسل النجاشي ــ جارية له يقال لها ابرهة الى أم حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله ﷺ اياها فأعطتها أوضاحاً لها وفتخاً سروراً بذلك ، وأمرها أن توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها فخطب النجاشي على رسول الله ﷺ وخطب خالد فأنكح أم حبيبة ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها فدفعها الى خالد بن سعيد . فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير جاءت بها ابرهة فأعطتها خمسين مثقالا . وقالت كنت أعطيتك ذلك وليس بيدى شي وقد جاء الله عز وجل بهذا . فقالت ابرهة : قد أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئا وأن ارد اليك الذى أخذت منك فردته وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمداً رسول الله وآمنت به وحاجتي اليك أن تقرئيه مني السلام . قالت نعم . وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكره . قالت أم حبيبة فخرجنا فى سفينتين وبعث معنا النواتى حتى قدمنا الجار ثم ركبنا الظهر الى المدينة فوجدنا رسول الله ﷺ بخيبر فخرج من خرج اليه وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت اليه فكان يسائلني عن النجاشي وقرأت عليه من ابرهة السلام فرد رسول الله ﷺ

---

(١) أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن عفان بن أبي العاص . قيل اسمها رملة وقيل هند وهى اخت معاوية بن أبي سفيان

عليها . ولما جاء أباسفيان تزويج النبى ﷺ أم حبيبة قال « ذلك الفحل لا يقرع أنفه »

وقد أراد رسـول الله ﷺ بزواج أم حبيبة بنت أبى سفيان أن يستميل أباها الى قضيته . وقد كان وصول مهاجرى الحبشة الى المدينة فى فصل الخريف فى جمادى الأولى السنة السابعة من الهجرة (اغسطس سنة ٦٢٨ م) وفى سيرة ابن هشام أسماء من عادوا من الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ

٦ – كتاب رسول الله ﷺ

الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة (١)

أرسل رسول الله ﷺ كتابا الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة مع سليط ابن عمرو العامرى : وهذه صورة الكتاب

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ . سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ﴾

فلما قرئ على هوذة الكتاب رد رداً لطيفاً على سليط . قال الواقدى ان أركون دمشق الروحى من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءنى كتاب من النبي يدعونى الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لاتجيبه ؟ قال ضننت بدينى وأنا ملك قومى ولئن تبعته لن أملك . قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك فى اتباعه وانه للنبي العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله ... وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق . ثم ان هوذة كتب للنبي ﷺ جواب كتابه وقال فيه :

« ماأحسن ماتدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الأمر أتبعك »

وكأنه أراد الشركة فى النبوة أو الخلافة بعده ﷺ . وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هَجَر فقدم بكتابه على النبي ﷺ وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبي ﷺ قال : « باد وباد مافى يديه »

ولما انصرف رسول الله من الفتح بلغه موت هوذة وقيل ان رسول الله قال : اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى .

---

(١) اليمامة بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة وهوذة رئيس قبيلة مسيحية وهى بنو حنيفة باليمامة وسليط بن عمرو الذى أرسله النبي صلى الله عليه وسلم كان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة

نتيجة ارسال الرسل

الى الملوك والأمراء

ذكرنا الكتب التى أرسلها رسول الله ﷺ الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة ولا شك أن فى ذلك قوة عجيبة وشجاعة عظيمة لأن رسول الله وان كان قد عقد الصلح مع مكة لكنه لم يكن قد تم له فتحها ولم يسلم أهلها وهذه الكتب ليس من السهل ارسالها الى هؤلاء ولا سيما الى هرقل وكسرى والمقوقس يدعوهم فيها الى الاسلام ولو كان غير رسول الله لخشى عاقبة ذلك فان هؤلاء ملوك أقوياء على تخوم بلاده ولكان ارساله الرسل سابقاً لأوانه . الا أن رسول الله لما كان واثقا من قوة رسالته ونصر الله سبحانه وتعالى أقدم علي ارسال رسله بقلب ثابت وعزم صادق فكانت النتيجه مايأتى :

١ ـ أنه ﷺ تمكن من معرفة سياسة هؤلاء الملوك والأمراء نحوه وميلهم اليه فكانت هذه الكتب بمثابة جس نبضهم

٢ ـ اسلام باذان أمير اليمن ومن معه

٣ ـ ان المقوقس وان كان لم يسلم الا أنه أظهر الود بتلطفه مع رسول الله ﷺ وارساله الهدايا

٤ ـ اسلام النجاشي على ماهو مشهور فى كتب التاريخ وان كان لم يستطع حمل شعبه على الاسلام

غزوة خيبر [1]

خيبر واحة كبيرة على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام (والبريد اثنا عشر ميلا عربياً فتكون المسافة كلها ٩٦ ميلا عربيا)

وسكان خيبر يهود . وهى ذات حصون ومزارع ونخل كثير وكان سكانها غير مجتمعين فى صعيد واحد بل كانوا متفرقين فى الوديان المجاورة ويقطنون بيوتا حصينه وسط النخيل وحقول القمح . وكانت خيبر مركزاً لدسائس اليهود الذين هاجروا اليها وتشتمل على سبعة حصون مبنية بالحجارة وهى :

حصن ناعم . القموص حصن أبى الحقيق . حصن الشق . حصن النطاة . حصن السلالم . حصن الوطيح . حصن الكتيبة

قال القزوينى : وخيبر موصوفة بكثرة الحمى لاتفارق أهلها وكان أهلها يهود موصوفين بالمكر والخبث ومنها كان السموأل بن عادياء المشهور بالوفاء

كانت غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة (أغسطس سنة ٦٢٨ م) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم من السنة السابعة وولى تلك الحجة المشركون ثم خرج فى بقية المحرم الى خيبر وكان معه ١٦٠٠ منهم ٢٠٠ فارس ويلاحظ أن عدد الفرسان فى هذه الغزوة قد ازداد لأنهم لم يكونوا فى الغزوات السابقة يجاوزون الثلاثين وذلك بفضل عناية رسول الله بتربية الخيل . وخرج معه من نسائه أم سلمة رضى الله عنها وهى التى كانت خرجت معه الى الحديبية واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى واستنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمة فلا . وكان الله قد وعد

---

(١) معنى خيبر باللغة العبرية الحصن أو القلعة

رسوله ﷺ عند انصرافه من الحديبية فى سورة الفتح بمغانم كثيرة بقوله تعالى ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾

وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ أتى خيبر ليلا فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال » وفى رواية لابن اسحاق أنه ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه . قفوا ثم قال .

« اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن . ورب الرياح وما ذرين . فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها . ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله »

فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم ودفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر ودفع راية لسعد بن عبادة ونزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا خلفاءهم ومظاهرين لهم على رسول الله ﷺ وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حساً خلفهم فظنوا أن المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر

وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصن الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصن النطاة . وكان النبى ﷺ نزل قريباً من حصن النطاة فأشار عليه ﷺ الحباب بن المنذر بالتحول قائلا ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمر النخل (١) فتحول رسول الله ﷺ وتحول الناس الى موضع حائل بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا ٤٠٠ نخلة ثم نهاهم عن القطع وقاتل ﷺ يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب فى يده قناة وترس وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة

---

(١) أى النخل المجتمع بعضه على بعض

أخو محمد بن مسلمة برحى ألقيت عليه من حصن ناعم ألقاها عليه مرحب اليهودى
وكان الحر فى ذلك اليوم شديداً ومكث ﷺ سبعة أيام يقاتل أهل حصن النطاة
يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضى
الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل اليه ليداوى
جرحه . وكان اليهود كعادتهم يحاربون أمام الحصون لأنهم يخشون الحرب فى الميدان
فاذا انهزموا عادوا الى حصونهم وأغلقوها دونهم

ولما كانت الليلة السادسة أتى رجل من يهود خيبر فى جوف الليل الى النبى ﷺ
وأخبره أنه خرج من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة
ويذهبون الى حصن الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيأون للقتال وأخبره أن فى حصن
الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً
فاذا دخل فيه رسول الله ﷺ أوقفه على أسراره

وكان رسول الله ﷺ تأخذه الشقيقة (١) فى بعض تلك الأيام فيبعث أناساً من
أصحابه فلم يكن فتح ومنهم أبو بكر وعمر بن الخطاب

ثم قال ﷺ لمحمد بن مسلمة لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله . لايولى الدبر . يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه من قاتل أخيك

وفى الغد بعث رسول الله ﷺ الى علىّ رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد
فجىء به الى رسول الله ﷺ وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الأبيض وبصق فى
عينيه ودلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع . وقال على رضى الله عنه فما رمدت
بعد يومئذ . ثم دعا النبى ﷺ لعلى رضى الله عنه بقوله « اللهم اكفه الحر والبرد »
قال على رضى الله عنه فما وجدت بعد ذلك لاحراً ولا برداً . فكان يلبس فى الحر
الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد

فلما أخذ علىّ الراية قال أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال رسول الله ﷺ انفذ
على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم

---

(١) وجع يأخذ نصف الوجه والرأس

فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

فخرج على رضى الله عنه حتى ركز الراية تحت الحصن فكان أول من خرج اليه من أهل الحصن الحارث أخو مرحب وكان مشهوراً بالشجاعة فقتله علىّ وانهزم اليهود الى الحصن . ثم خرج اليه مرحب لابسا درعين ومتقلدا سيفين ومعتما بعمامتين ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح فبرز له على رضى الله عنه ثم حمل مرحب على علىّ وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ان علياً ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف بالأضراس

وقيل ان محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً اليهودى انتقاماً لأخيه محمود والصحيح الذى عليه أكثر أهل السير والحديث أن على بن أبى طالب هو الذى قتل مرحباً

ثم خرج ياسر أخو مرحب فخرج اليه الزبير رضى الله عنه وقتله وعند ذلك قال له رسول الله ﷺ « فداك عم وخال ، لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » [1]

وكان أول حصن فتحه المسلمون هو حصن الناعم من حصون النطاة على يد علىّ رضى الله عنه ثم القموص . ولم يزل القتال ناشبا بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها

وقتل من اليهود ٩٣ واستشهد من المسلمين ١٥ رجلا [2] وأخذ رسول الله ﷺ كنز آل أبى الحقيق وكان من بنى النضير الذى حمله حيىّ بن أخطب لما أجلى عن المدينة وأمر رسول الله بقتل كنانة وأخيه الربيع لأنهما أخفيا مال حيى وقد علم رسول الله بمكان المال وأتى اليه به وقوّم بعشرة آلاف دينار وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون فلما فتح حصن الصعب وكان أكثر الحصون طعاما ، فيه شعير وتمر وودك أى سمن وزيت وشحم ، ومتاع وماشية وكان به ٥٠٠ مقاتل - أمر النبى ﷺ المسلمين أن

---

(١) الحوارى : الناصر (٢) عدد قتلى المسلمين فى طبقات ابن سعد ١٥ وفى سيرة ابن هشام ٢٠

يأكلوا ويعلفوا ولا يخرجوا به الى بلادهم وكان صاحب الغنائم أبا اليسر كعب بن زائد الأنصارى

فتحت الحصون كلها عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فقد مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوماً فلم يخرج أحد منهم فهمَّ رسول الله أن يحمل عليهم وأن ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية والخروج من خيبر وأرضها بذراريهم وألا يصحب أحداً منهم الاثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئا فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحداً . ووجد المسلمون فى الحصنين المذكورين ١٠٠ درع و ٤٠٠ سيف و ١٠٠٠ رمح و ٥٠٠ قوس عربية بجعابها ووجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر رسول الله ﷺ بدفعها اليهم وبهذه المناسبة نذكر ما كتبه الاستاذ ولفنسون فى كتابه تاريخ اليهود ببلاد العرب صفحة ١٧٠ :

« ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف فى نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون الى النبى بالبنان ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ويذكرون بازاء ذلك مافعله الرومان حين تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ ب م اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم وما فعله المتعصبون من النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الأندلس حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة . هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الاسلام » اه

ونضيف الى ذلك أن هذه ليست أول مرة تسامح فيها رسول الله ﷺ وترك فيها صحائف اليهود المقدسة ولم يتعرض لها بسوء ولم يحقرها مع شدة عداوتهم له فقد سمح لهم قبل ذلك بأخذ صحفهم المقدسة المشتملة على وصية موسى لبنى اسرائيل عند اجلائهم من المدينة فى غزوة بنى النضير كما تقدم

ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السبى فكان من نصيب دحية بن خليفة الكلبى صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يانبى الله أعطيت دحية صفية سيدة بنى قريظة والنضير ، لا تصلح الا لك . فقال ادعوه بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال لدحية خذ جارية من السبى غيرها فأخذ أخت كنانة ابن الربيع بن أبى الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سِبط هارون أخى موسى عليهما السلام فاصطفاها لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها . وفى المواهب أنه صلى الله عليه وسلم أخذ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم

وفى هذه الغزوة سمت اليهودية الشاة للنبى صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وأخت مرحب انتقاماً لقتل أبيها وزوجها وأخيها

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة ؟ فقالت من أخبرك ؟ قال أخبرتنى هذه التى فى يدى مشيراً للذراع . قالت نعم . قال لها ماحملك على ذلك ؟ قالت ان كنت نبياً يطلعك الله وان كنت كاذباً فأريح الناس منك . وقد استبان لى أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها [1] . وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة

وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ماأدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضى الله عنه «أشبهت خلقى وخلقى» فرقص جعفر رضى الله عنه لسروره بهذا الخطاب

---

(١) اختلف العلماء هل قتلها النبى صلى الله عليه وسلم أولا . قال القاضى عياض انه لم يقتلها أولا حين اطلع على فعلها، وقيل له اقتلها ، فقال لا . فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصا

ولفرط ما أصابه من الفرح ولم ينكر عليه ﷺ رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عندما يجدون من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع . وقدم من الحبشة أبو موسى الأشعرى رضى الله عنهما وجماعة من قومه فأسهم لهم ولم يسهم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً الا لمن شهدها معه

وقد قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر فأعطى الراجل سهماً والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ثم دفع ﷺ لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجنا كم . ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه الى أن وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم الى الشام بعد أن استشار فى ذلك الصحابة رضى الله عنهم

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر فكان ببعض الطريق فلما كان آخر الليل قال من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال أنا يارسول الله أحفظه عليك فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا وقام بلال يصلى فصلى ما شاء الله أن يصلى ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم الا مس الشمس وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هبّا . فقال ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال صدقت ، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالا فأقام الصلاة فصلى رسول الله ﷺ بالناس فلما سلم أقبل على الناس فقال : اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تبارك وتعالى يقول « أَقِمِ الصلاةَ لذكرى » . وكان فتح خيبر فى صفر

صلح أهل فدك

فدك بلدة يهودية بالقرب من خيبر ـ لما علم أهلها بانهزام خيبر خافوا فبعثوا الى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل

غزوة وادى القرى

وادى القرى موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر نزل وادى القرى أصيلا مع الغروب وحاصرهم ﷺ أربعة أيام وهيأ أصحابه للقتال فقتل منهم احد عشر رجلا وفتحها رسول الله عنوة وغنمه الله أموالهم وأصاب المسلمون أثاثا ومتاعا كثيراً وقسم رسول الله ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخل بأيدى اليهود وعاملهم عليها وولاها عمرو بن سعيد بن العاص وصالحه أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادى القرى وولاها ﷺ يزيد بن أبي سفيان . وكان اسلامه يوم فتحها . وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة ثم رجع الى المدينة بعد أن بسط نفوذه على القبائل اليهودية شمالىّ المدينة

قال مستر موير ان غزوة وادى القرى كانت فى جمادى الثانية سنة سبع (سبتمبر سنة ٦٢٨ م) لأنه أرخ الزحف على خيبر بشهر جمادى الأولى (أغسطس سنة ٦٢٨ م)

ويجعل بعضهم غزوة خيبر وغزوة وادى القرى غزوة واحدة لأنه لم يرجع من خيبر

خمس سرايا

فى خريف وشتاء السنة السابعة الهجرية

(سنة ٦٢٨ م)

بعد عودة رسول الله ﷺ من خيبر قضى بقية الخريف والشتاء فى المدينة وفى هذه الأثناء بعث خمس سرايا منها ثلاث فى شهر شعبان:

١ ـ سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا الى قبيلة بنى هوازن بجهة تُرَبة دار بقرب مكة . فلما علموا بمجيئه هربوا فانصرف راجعاً إلى المدينة

٢ ـ سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى بنى كلاب قبيلة بنجد فسبى منهم جماعة وقتل آخرين

٣ ـ سرية بشير بن سعد الأنصارى الى بنى مرة بفدك ومعه ثلاثون رجلا . فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فاستاق بشير النعم والشاء وانحدر الى المدية ثم أدركه العدد الكثير من بنى مرة عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحابه فأصيبوا وولى منهم من ولى وجرح بشير وعاد الى المدينة بصعوبة

٤ ـ وفى رمضان كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى الى أهل المنيعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى مائة وثلاثين راجلا فهجموا عليهم فى وسط محالهم وقتلوا كثيرا منهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد رجلا يقال له نهيك بن مرداس الأسلمى وفى رواية ان اسمه مرداس بن نهيك بعد أن قال لا اله الا الله محمد رسول الله . فقال رسول الله ﷺ يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقال يارسول الله انما قالها تعوذا من القتل . قال : (هل شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟) فقال أسامة لا أقاتل أحداً يشهد أن لا اله الا الله

٥ ـ . وفى شوال أرسل بشير بن سعد أيضا الى يُمن و جِناب وهى أرض لغطفان ومعه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان وأعدهم عيينة بن حصين للاغارة على المدينة فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعماً كثيرة فغنمها

قال الواقدى وفى هـذه السنة (السابعة) رد رسول الله ﷺ زينب ابنته على أبى العاص بن الربيع وذلك فى المحرم (أسر أبو العاص يوم بدر فمن عليه رسول الله ﷺ بلا فداء بسبب زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ ورد عليه رسول الله زينب بنكاح جديد وقيل بالنكاح الأول وأسلم قبيل فتح مكة)

قال وفيها قدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المقوقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلدُل وحماره يَعفور وكساء وبعث معهما بخصى فكان معهما . وفى هذه السنة اتخذ النبى ﷺ منبره الذى كان يخطب الناس عليه واتخذه درجتين ومقعدا وفى الطبرى أنه عمل سنة ثمان

عمرة القضاء

قد اختلف فى تسمية هذه العمرة عمرة القضاء . فقال مالك والشافعى والجمهور لأنه قاضى قريشاً سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الحكم لا لأنها قضاء عن العمرة التى صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة . وقال أبو حنيفة وأحمد ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على هذا ظاهرة

لما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجب . وشعبان . ورمضان . وشوالا . ثم خرج فى ذى القعدة فى السنة السابعة (فبراير سنة ٦٢٩ م) فى الشهر الذى صده فيه المشركون بالحديبية معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدّيلى ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله ﷺ منهم وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضاً . فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان وساق معه ﷺ ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فارس خوفا من غدر أهل مكة فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداوأصحابه فى عسر وجهد وشدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه . فلمادخل رسول الله ﷺ اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى [1] ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف والمسلمون يطوفون معه . وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذا بخطام ناقته . وكان المشركون على جبل قعيقعان ثم سعى رسول الله ﷺ بين

(١) الاضطباع الذى يؤمر به طائف البيت أن يدخل الرداء تحت ابطه الايمن ويرد طرفه على يساره ويبدى منكبه الايمن ويغطى الايسر . سمى بذلك لابداء أحد الضبعين

الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج (موضع على ثمانية أميال من مكة) يقيمون على السلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام ﷺ بمكة ثلاثاً كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك العهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه فأسكته ﷺ وأذن بالرحيل

جاء فى البخارى من حديث البراء فلما دخلها[1] ومضى الأجل[2] أتوا علياً رضى الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج رسول الله ﷺ

(١) يعنى مكة (٢) الأيام الثلاثة

زواج رسول الله ﷺ

بميمونة رضى الله عنها

تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة سبع فى عمرة القضاء وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة وهى أخت أم الفضل زوج العباس رضى الله عنهما وأخت أسماء بنت عميس لأمها زوج حمزة رضى الله تعالى عنه . وكان الذى زوجه اياها العباس بن عبد المطلب وأصدقها عنه ﷺ أربعمائة دينار وأراد ﷺ أن يبنى بها فى مكة فلم يمهلوه يبنى بها وقال لهم ماعليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاماً ؟ فقالوا لاحاجة لنا فى طعامك اخرج عنا من أرضنا . هذه الثلاثة قد مضت فخرج فبنى بهـا بسرف قريب مكة . قال ايرفنج فى كتابه حياة محمد « ان النبى لم يتزوج بميمونة بنت الحارث الا سياسة يريد بها استمالة رجلين قويين لأن ميمونة كانت أرملة مسنة تبلغ من العمر احدى وخمسين سنة وهذان الرجلان هما خالد بن الوليد ابن اخت ميمونة وهو البطل المشهور الذى حارب محمداً ﷺ فى غزوة أحد ولما أسلم سمى سيف الله وصديقه عمرو بن العاص »

وهذا ماقلناه فى سبب تعدد زوجات النبى ﷺ فان خالد بن الوليد أسلم بعد زواج رسول الله ﷺ بخالته ميمونة بقليل وأسلم معه فى يوم واحد عمرو بن العاص وميمونة رضى الله عنها آخر زوجاته ﷺ

ماقبل سرية موتة

من الحوادث

فى خلال الصيف أعد رسول الله ﷺ عدة سرايا قبل غزوة مؤتة وهى :

١ - سرية الأخرم : فى ذى الحجة سنة سبع (ابريل سنة ٦٢٩ م) فى خمسين رجلا الى بنى سليم . خرج الأخرم يدعوهم الى الاسلام فعلموا بخروجه فأمطروا المسلمين وابلا من النبل وأحاطوا بهم من كل ناحية حتى قتل عامتهم وجرح أميرهم ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ بالمدينة فى أول صفر

٢ - سرية غالب بن عبد الله الليثى الى بنى الملوح بالكديد[1] فى صفر سنة ثمان (يونية سنة ٦٢٩ م) خرج المسلمون حتى اذا كانوا بقديد لقوا الحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء وهى أمه فأخذوه . فقال انه جاء يريد الاسلام ولكنهم أوثقوه وخلفوا عليه رجلا وشنوا عليهم الغارة واستاقوا النعم وحملوا ابن البرصاء وعادوا الى المدينة وأسلم ابن البرصاء وتوفى آخر خلافة معاوية رضى الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح «لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة»

٣ - سرية أخرى لغالب بن عبد الله الليثى : لما رجع غالب بن عبد الله الليثى من سريته الأولى بعثه رسول الله ﷺ الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك (وقد تقدم ذكر سرية بشير التى جرح فيها) ومعه ٢٠٠ رجل وذلك فى شهر صفر سنة ثمان . وقد نجحت هذه السرية نجاحاً تاما فقد قاتل المسلمون ساعة ووضعوا فيهم السيف وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وعادوا الى المدينة

٤ - سرية شجاع بن وهب الأسدى الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيء[2] فى شهر ربيع الأول سنة ثمان (يولية سنة ٦٢٩ م) ومعه أربعة وعشرون رجلا

(١) ماء بين عسفان وقديد (٢) ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة

فأصابوا نعما كثيرة وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة

٥ - سرية كعب بن عمير الغفارى الى ذات أطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الأول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعاً كثيراً فجاءوا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ولم ينج منهم غير رجل جريح فى القتلى . قال ابن سعد هو الأمير . فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبى ﷺ فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث عليهم لكن بلغه أنهم ساروا الى موضع آخر فتركهم

اسلام عمرو بن العاص

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وأمه النابغة بنت حرملة سبية من بنى جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة وأخوه لأمه عمرو بن أثاثة العدوى وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى

سأل رجل عمرو بن العاص عن أمه فقال سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بنى عترة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت فان كان جعل لك شيئا فخذه . وهو الذى أرسلته قريش الى النجاشى ليسلم اليهم من عنده من المسلمين جعفر بن أبى طالب ومن معه فلم يفعل وقال له يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقاً . قال أنت تقول ذلك ؟ اى والله فأطعنى . فخرج من عنده مهاجراً الى النبى ﷺ فأسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشى وهاجر الى النبى ﷺ وقيل كان اسلامه فى صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر وكان قد همّ بالانصراف الى النبى ﷺ من عند النجاشى ثم توقف الى هذا الوقت وقدم على النبى ﷺ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدرى فتقدم خالد وأسلم وبايع ثم تقدم عمرو فأسلم وبايع على أن يغفر له ما كان قبله فقال له رسول الله ﷺ . الاسلام والهجرة يجبان ما قبلهما (١)

وحدث عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحاق وغيره . قال عمرو لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً وانى لقد رأيت أمرا فما ترون فيه ؟ قالوا وماذا رأيت ؟ قال رأيت أن نلحق بالنجاشى

---

(١) يجبان أى يقطعان ويمحوان ما قبلهما من الكفر والمعاصى والذنوب

فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير . قالوا ان هذا الرأى . قلت فاجمعوا لنا مانهديه له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى هذا عمرو بن أمية الضمرى لو قد دخلت على النجاشى لسألته اياه فاعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحباً بصديقى . أهديت الىَّ من بلادك شيئاً ؟ قلت له نعم أيها الملك قد أهديت اليك أدماً كثيرا ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام لتقتله ؟ قلت أيها الملك أكذاك هو ؟ قال ويحك ياعمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت أفتبايعنى له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابى وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابى اسلامى ثم حرجت عامدا الى رسول الله ﷺ فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل فتح مكة وهو مقبل من مكة فقلت له أين يا أبا سليمان ؟ قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبى اذهب والله فأسلم . فحتى متى ؟ والله ماجئت الا لأسلم . فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يارسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ياعمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته ثم انصرفت [١]

روى الزبير بن بكار أن رجلا قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت فى عقلك ؟ قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بَيّن فوقع الاسلام فى قلبى

وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى أن صحابياً أسلم على يد تابعىّ ولا يعرف مثله .

وقد كان عمرو بن العاص رجلا سياسياً حربياً وقد نقلنا قوله من فيه عن ذهابه الى الحبشة وسبب اسلامه ومنه يتبين أنه فكر طويلا فى انتشار الاسلام وفى مركزه فرأى أخيرا أن خير مايتخلص به من حرج مركزه هو أن يهاجر الى الحبشة موفدا من قبل قريش بقصد قتل عمرو بن أمية الضمرى ظنا منه أن النجاشى سيسلمه اياه فقدم له الهدايا تزلفا اليه واعتمد على صداقة الملك له . وبذلك يكون قد خدم قريشا من جهة وأقام بالحبشة بعيدا عن النضال بين رسول الله وقريش حتى اذا انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح مكة كان هو آمنا بالحبشة . لكن النجاشى لم يسلمه عمرو بن أمية الضمرى ولا غيره من المسلمين وغضب عليه وفوق ذلك عرض عليه الاسلام فلم ير بدآ من مبايعة النجاشى على الاسلام لأنه رأى أن النجاشى نفسه قد أسلم اعتقادا منه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . وفى قول عمرو دليل واضح على اسلام النجاشى

وكان اسلام عمرو قبل الفتح فى السنة الثامنة من الهجرة (سنة ٦٢٩ — ٦٣٠م) وكان يبلغ من العمر إذذاك نحو اثنتين وأربعين سنة وقد اكتسب الاسلام باسلامه هو وخالد بن الوليد قائدين عظيمين وبطلين كبيرين قاما بدور مهم فى تاريخ الفتح الاسلامى ونشر الدعوة واعزاز الدين .

---

(١) راجع سيرة ابن هشام

وقد روت أم سـلمة زوج رسول الله ﷺ وكانت من المهاجرات الى الحبشة تفاصيل ذات شأن عن اقامة المسلمين بهـا وايفاد قريش لعبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومى وعمرو بن العاص والتدابير التى دبرها عمرو والمناقشة التى حصلت بحضرة النجاشي وحضور البطارقة والقتال الذى نشب بينه وبين من نازعه بسبب اعترافه بصحة المبادئ الاسلامية مما لم يذكره عمرو بن العاص وهذه روايتها رضى الله عنها

قالت : لمـا نزلنا أرض الحبشة جاورنا بهـا خير جار النجاشى آمنا على ديننـا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا الى النجاشى فينا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها اليه الأدم فجمعوا أدما كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك مع عبـد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومى وعمرو بن العاص بن وائل السهمى وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تـكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشى هداياه ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم . قالت فخرجا فقدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار وعند خير جار . فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ثم قالا لـكل بطريق منهم انه قد صبا الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم . وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم . فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بمـا عابوا عليهم . فقالوا لهما نعم . ثم انهم قربا هداياهما الى النجاشى فقبلها منهما . ثم كلمـاه فقالا له : أيها الملك انه صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . ولم يكن شىء أبغض الى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العـاص من أن يسمع النجاشى كلامهم . فقالت بطارقته حوله : صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا

عليهم فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشى ثم قال لا ها الله ايم الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا أكاد قوماً جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم مايقول هذان فى أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى . ثم أرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ماتقولون للرجل اذا جئتموه ؟ قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن فى ذلك ما هو كائن . فلما جاءوه وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ماهذا الدين الذين فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الأمم ؟

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له :

« أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار : يأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدد عليه أمور الاسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ماحرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل من الخبائث ما كنا نستحل فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به الله من شىء ؟ فقال له جعفر . نعم . فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ . فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى والله النجاشى حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى

أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم . ثم قال النجاشي : ان هـذا والله والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة . انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبداً ولا أكاد قالت أم سلمة : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لأنبئنهم غـداً بعيبهم عندهم ثم استأصل به خضراءهم . قالت فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا . قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبـد . ثم غدا عليه الغـد فقال له أيها الملك انهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما . فأرسل اليهم فسألهم عما يقولون فيه قالت فأرسل اليهم يسألهم عنـه . قالت ولم ينزل بنا مثله . فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى اذا سألـكم عنـه ؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائنا فى ذلك ماهو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ماتقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذى جاء به نبينا : « هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول » فضرب النجاشى يده الى الأرض فأخـذ منها عودا . ثم قال ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود . فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى (١) . من سبكم غرم ثم من سبكم غرم . فما أحب ان لى دبراً (٢) ذهبا وأنى آذيت رجلا منـكم . ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملـكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه

قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار . قالت فو الله انا على ذلك اذ نزل به يعنى من ينازعه فى ملـكه . قالت فو الله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه . وسار النجاشي وبينهما عرض النيل . فقال أصحاب رسول الله ﷺ : من رجل يخرج حتى يحضر

(١) السيوم الآمنون (٢) الدبر بلسان الحبشة الجعل

وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام أنا وكان أحدث القوم سناً فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة (١)

هاتان روايتان عن ذهاب عمرو بن العاص الى الحبشة وما جرى بينه وبين النجاشى خاصاً بالمهاجرين المسلمين . الرواية الأولى عن عمرو نفسه والثانية عن أم سلمة والرواية الأولى مذكورة فى سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق والثانية فى مسند الامام أحمد بن حنبل ويستفاد من رواية عمرو بن العاص أنه ذهب الى الحبشة موفداً من قريش ومعه أدم كثير ليقدمه الى النجاشى هدية له بقصد تسليم المهاجرين كلهم أو بعضهم اليه وأنه تمكن من مقابلة النجاشى وطلب منه ذلك فغضب غضباً شديداً وأبى اجابة طلبه ورد هديته اليه لكن عمراً لم يذكر المناقشة التى حدثت أمام النجاشى بينه وبين جعفر بن أبى طالب بحضور البطارقة فى أمر عيسى بن مريم عليه السلام واقتناع النجاشى بما أجاب به جعفر رضى الله عنه . غير أن عمرو بن العاص قال ان النجاشى صافحه وأسلم . وقالت أم سلمة انه ظهر من ينازعه فى ملكه (على أثر اقراره بما قاله جعفر طبعاً) ومما لاشك فيه أن عمرو بن العاص لم ينجح فى مهمته سواء أكان موفداً من قبل قريش أم ذاهباً من تلقاء نفسه ليرى له مخرجاً من موقفه ازاء رسول الله ﷺ لأنه بقى الى ذلك الوقت ولم يسلم بعد أن انتشر الاسلام فى المدينة وما جاورها وقوى المسلمون وصاروا يهددون مكة فخاف ان هو بقى على حاله ولم يسلم أن يظهر الاسلام فى مكة أيضا فيذعن عند ذلك مضطرا . فلما رأى أن النجاشى لم يسلم له بشىء وأنه متمسك بمراعاة حسن جوار من عنده من المهاجرين ومصدق برسالة النبى ﷺ عاد وهو موطن النفس على أن يذهب تواً الى رسول الله ويسلم عنده وقد تم له ذلك بالفعل فأسلم هو وخالد بن الوليد

(١) راجع الجزء الأول من مسند الامام أحمد بن حنبل حديث جعفر بن أبى طلب

خالد بن الوليد واسلامه

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو سليمان وقيل أبو الوليد القرشي المخزومي . أمه لبابة الصغرى وهى بنت الحارث بن حزن الهلالية وهى أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وهو ابن خالة أولاد العباس بن عبد المطلب الذين من لبابة

وكان أحد أشراف قريش فى الجاهلية وكان اليه القبة وأعنة الخيل فى الجاهلية . أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فانه كان يكون المقدم على خيول قريش فى الحرب

ولما أراد الاسلام قدم على رسول الله ﷺ هو وعمرو بن العاص وطلحة بن أبى طلحة العبدرى فلما رآهم رسول الله ﷺ ، قال لأصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها

وقد تقدم أن ذكرنا فى أمر الحديبية أن النبى ﷺ سار حتى انتهى الى عسفان فلقيه بشر بن أبى سفيان الكعبى وقال يارسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لاتدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيل قريش قد قدموه الى كراع الغميم

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضر لى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ فليس موطن أشهده الا أنصرف وأنا أرى فى نفسى أنى فى غير شىء وأن محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الىَّ كتاباً فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد ؟ قد سألنى رسول الله ﷺ عنك فقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به . فقال ما مثله

يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيراً له ولقدمناه على غيره . فاستدرك ياأخى ماقد فاتك من مواطن صالحة »

فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله ﷺ ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا ؟ فقال لو لم يكن يبقى غيرى ما اتبعته أبداً . فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى قال صفوان . قلت فاكتم ذكرماقلت لك ، قال لا أذكره . ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى . قلت هذا لى صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الأربع مسافع والحلاس والحارث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت أن أذكر له ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لوصب فيه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ماقلت لصفوان وعكرمة فأسرع الاجابة وواعدنى ان سبقنى أقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فعدونا حتى انتهينا الى الهدة (١) فوجدنا عمرو بن العاص بها . فقال مرحباً بالقوم . فقلنا وبك . قال أين مسيركم ؟ قلنا الدخول فى الاسلام . قال وذلك الذى أقدمنى . وفى لفظ قال عمرو لخالد ياأبا سليمان أين تريد ؟ قال والله لقد استقام الميسم (٢) وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى ؟ قال عمرو أنا والله ماجئت الا لأسلم . فاصطحبنا جميعاً

فوصلوا المدينة وقال خالد : فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله ﷺ فلقيت أخى فقال أسرع فان رسول الله ﷺ قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله ﷺ يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علىّ السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . قال الحمد لله الذى هداك . قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لايسلمك الا الى

(١) هو اسم محل (٢) أى تبين الطريق وظهر الأمر

خير . قلت يارسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك .
فقال ﷺ « الاسلام يجب ما كان قبله » وتقدم عثمان وعمرو فأسلما
وكان عمرو بن العاص أسن منهما

قال خالد بن الوليد : اعتمر رسول الله ﷺ [١] فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر . والأكثر على أنه مات بحمص سنة ٢١ وعمره بضع وأربعون سنة فى خلافة عمر بن الخطاب

(١) لعلها عمرة الجعرانة

سرية موتة

موتة من عمل البلقاء وهى مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس شرق البحر الميت وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان (سبتمبر سنة ٦٢٩ م)

وقد سمى البخارى هذه السرية غزوة وان لم يخرج فيها النبى ﷺ لكثرة جيش المسلمين فيها

وسببها أن النبى ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأسدى بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبى شمر الغسانى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل ابن عمرو الغسانى فأوثقه وضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره

هذا هو السبب الذى ذكره أغلب المؤرخين الا أن ابن اسحاق لم يذكر سبباً لهذه السرية وهذه أول سرية حارب فيها المسلمون جيشاً مسيحياً

فأمّر رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله ﷺ الناس وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فان أصيب فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميراً

وكان ممن حضر يهودى اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعاً لأن أنبياء بنى اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مئة أصيبوا جميعاً . ثم جعل يقول لزيد أعهد أى أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبياً . قال زيد أشهد أنه رسول صادق بار وعقد لهم ﷺ لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاه أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف[1] وقال: « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا

---

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام

باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله . لاتغدروا ولا تغلوا ولاتقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء »

فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغسانى فجمع أكثر من مائة ألف من الردم وضم اليهم القبائل القريبة الموالية فلما نزل المسلمون معان من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فأقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقال نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له فشجع الناس عبد الله بن رواحة على المضى فقال « ان التى تكرهون للتى خرجتم لها اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولا قوة وانما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فربما فعل،وان تكن الأخرى فهى الشهادة وليست بشر المنزلتين » فقال الناس لقدصدق ابن رواحة

فمضوا الى موتة ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لأحد به من العدد الكثير الزائد على مائتى ألف والسلاح والخيل وآلات الحرب فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل المسلمون معه بشجاعة على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح ثم أخذ اللواء جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل . وانما عقرها خوفاً أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديداً فقطعت يمينه فأخذاللواء بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل ووجد فيه بضع وسبعون جرحا مابين ضربة بسيف وطعنة برمح ثم أخذاللواء عبدالله ابن رواحة وتقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل عن فرسه وقاتل حتى قتل (١)

---

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الاكبر الأنصارى الخزرجى ثم من بنى الحرث يكنى « أبا محمد » وقيل « أبا رواحة » وقيل « أبا عمر » وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة من بنى الحارث بن الخزرج أيضا وكان ممن شهد العقبة وكان

روى سعيد بن منصور أنهم دَفنوا يومئذ زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فى قبر واحد

ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلانى البلوى حليف الأنصار وكان من أهل بدر فقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا أنت . قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد . وفى الصحيح حتى أخذ الراية «سيف من سيوف الله» فقاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا وكان لم يمض على اسلامه الا ثلاثة أشهر تقريباً وقد تفرق المسلمون لما قتل عبد الله بن رواحة وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعاً فاستطاع خالد بن الوليد بعد أن أخذ اللواء وتولى القيادة أن يجمع شملهم وجعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فظن العدو أن المدد جاءهم . قال ابن اسحاق فلما أخذ الراية (خالد) دافع القوم وخاس بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف . وسمى ابن اسحاق اثنى عشر قتيلا من المسلمين فى هذه الغزوة ولا نعلم عدد قتلى العدو

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بما حدث فى ساحة القتال قبل رجوع الجيش الى المدينة ونادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال :

« يأيها الناس باب خير . باب خير . باب خير . أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو . فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له . ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره » فمن يومئذ سمى خالد « سيف الله »

قال بعضهم كون ما وقع يوم موتة فتحا ونصراً واضح لاحاطة العدو بهم

نقيب بنى الحارث بن الخزرج وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاالفتح وما بعده . وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم

انى تفرست فيك الخير نافلة ... الله يعلم أنى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا أكثر من مائتى ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة أنهم يقتلون عن آخرهم

وفى هذه الغزوة فرت طائفة من الصحابة الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم « أنتم الفرارون » ورسول الله ﷺ يقول « بل هم الكرارون »

وأول من جاء بخبر الجيش يعلى بن أمية رضى الله عنه فلما قدم قال له النبى ﷺ « ان شئت فأخبرني وان شئت أخبرتك » . قال فأخبرنى يارسول الله لأزداد يقينا فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ووصف له ما كان فقال « والذى بعثك بالحق ماتركتَ من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت » . لكن مستر « موير » اعتبر تلك الرواية التى ذكر فيها أن النبى ﷺ أخبر بما حدث فى ساحة القتال قبل أن يصله الخبر خرافة ، لأن الخبر كان قد وصل رسول الله من أول رسول أرسله خالد بن الوليد الى المدينة وعلى ذلك فليست هناك معجزة كما يقول المسلمون ، لكنه لم يعلق شيئا على معجزة رسول الله التى تنبأ فيها باصابة زيد وجعفر وعبد الله ابن رواحة قبل أن يذهبوا الى الحرب وقد أصيبوا جميعا بالترتيب كما ذكر . فكان حقا عليه وهو مؤرخ أن يصرح برأيه فى هذه المسألة لا أن يذكرها بلا تعليق ويغمض الطرف عنها . والحقيقة أنه لما رأى أن هذه المعجزة واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار لم يشأ أن يقرها ويعترف بها

مواساة رسول الله ﷺ لآل جعفر

عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها زوج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قالت دخل على رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتنى ببنى جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفى رواية وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال نعم

أصيبوا هذا اليوم . قالت فقمت أصيح واجتمع علىّ النساء وجعل رسول الله ﷺ يقول لى ياأسماء لاتقولى هجرا ولاتضربى خداً وقال « اللهم قدمه الى أحسن الثواب واخلفه فى ذريته بأحسن ماخلفت أحداً من عبادك فى ذريته »

وخرج رسول الله ﷺ الى أهله فقال : لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم . وقيل انه دخل على فاطمة وهى تقول : واعماه ، فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى . ثم قال ﷺ : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم . وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب « الوضيمة »

ولحسان بن ثابت قصيدة فى رثاء جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه

اسلام فروة بن عامر الجذامى

كان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب بعمان فأهدى الى النبى ﷺ بغلته البيضاء وبعث اليه رسالة باسلامه مع رسول فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرى فوق احدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

قال ابن اسحاق زعم الزهرى أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بأننى ... سلم لربى أعظمى وبنانى

وقال مسيو برسيفال M.C.de Pareeyal ان الصلب وقع بعد غزوة موتة عقاباً له على ذنبه . والراجح أن ذلك كان بعد فتح مكة سنة تسع وهى سنة الوفود ودخول العرب فى دين الله أفواجاً

سرية عمرو بن العاص

أو سرية ذات السلاسل [1]

كانت غزوة موتة فى جمادى الأولى وقد تولى القيادة فيها خالد بن الوليد بعد أن قتل الأمراء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم وكان قد أسلم حديثا مع عمرو بن العاص. فأظهر كفاءة حربية أمام جيش الروم العظيم وتمكن من جمع شمل الصحابة بعد أن تفرقوا وعاد فريق منهم الى المدينة فرجع خالد سالماً ولم يتحمل المسلمون الا خسارة قليلة

وفى جمادى الثانية أى بعدشهر (اكتوبر سنة ٦٢٩ م) جاء دور عمرو بن العاص فأرسله رسول الله ﷺ الى بلاد بلى [2] وعذرة فى (٣٠٠) من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم (٣٠) فرساً

وسببها انه ﷺ بلغه أن جمعاً من قضاعة تجمعوا للاغارة على المسلمين وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة

وسميت هذه السرية (ذات السلاسل) لأن الأعداء ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا وقيل سميت بذلك لأن بها ماء يقال له السَّلسل

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال بعث الىّ النبى ﷺ يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال ياعمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك. قلت

---

(١) هى وراء وادى القرى بضم السين الأولى وفتحها لغتان وبينها وبين المدينة عشرة أيام

(٢) بلاد بلى وعذرة هى وراء ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة

لم أسلم رغبة فى المـال . قال « نعم المال الصالح للرجل الصالح » فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسـول الله ﷺ يستمده . فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه (٢٠٠) من سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا . فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس . فقال عمرو انما قدمت علىّ مداداً وأنا الأمير . فقال أبو عبيدة لا ولـكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليـه أمر الدنيا . فقال ياعمرو ان رسول الله ﷺ قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فأطاع له أبو عبيدة فـكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا مذعورين بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون ولم يغنموا شيئاً

أما البلاذرى فيقول ان المسلمين غنموا

وأرسل عمرو بن العاص رسولا الى النبى ﷺ ينبئه بانتصاره فى أول غزوة له وأنه عزز نفوذ رسول الله ﷺ على تخوم الشام ثم عاد الى المدينة

وقد حدّث عمرو بن العاص نفسه بأن رسول الله ﷺ لم يبعثه على قوم فيهم أبو بـكر وعمر الا لمنزلة له عنده . قال عمرو فأتيته ﷺ حتى قعدت بين يديه فقلت يارسـول الله : أى الناس أحب اليك ؟ قال عائشة . قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال . قال أبوها . قلت ثم من . قال ثم عمر بن الخطاب . فعد رجالا فسكتّ مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله عن هذا

سرية أبى عبيدة بن الجراح

سمى البخارى هذه السرية بغزوة « سيف البحر [1] » بكسر السين واشتهرت « بسرية الخبط »

---

(١) ساحل البحر

بعث رسول الله ﷺ فى شهر رجب سنة ثمان (نوفمبر سنة ٦٢٩ م) أبا عبيدة ابن الجراح على رأس ثلاثمائة رجل . وكان فيهم عمر بن الخطاب الى أرض جُهينة ليلقى عيراً لقريش ولمحاربة حىّ من جهينة فنفد ما كان معهم من الزاد فأكلوا الخبط وهو ورق السلم وأصابهم جوع شديد . قال أهل السير ، ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهى سمكة كبيرة فأكلوا منها

وفى شعبان سنة ثمان (ديسمبر سنة ٦٢٩ م) أرسل رسول الله ﷺ أبا قتادة رضى الله عنه الى نجد ومعه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن الغارة على غطفان بأرض محارب فقاتلهم وسبى سبياً كثيراً واستاق النعم . وفى أول شهر رمضان من هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ أبا قتادة أيضاً الى إضم على ثلاثة برد من المدينة فى ثمانية رجال ليوهم قريشاً أنه توجه الى تلك الناحية بعد أن نقضت قريش العهد حتى يفاجئهم على غير استعداد منهم لحربه . خرج أبو قتادة ومن معه فلقوا عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم بن جثامة (واسمه يزيد بن قيس) لشىء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتاعه . فلما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه الخبر نزل فيهم القرآن ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ الآية

والاختلاف فى المراد بهذه الآية كثير جداً . قيل نزلت فى المقداد . وقيل فى غالب الليثى

ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعاً وبلغهم أنه ﷺ خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فأخبروه الخبر . فسأله محلم أن يستغفر له . فقال « لاغفر الله لك » زجراً كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة . فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات . وذكر الطبرى أن محلم بن جثامة توفى فى حياة النبى ﷺ فدفنوه فلفظته الأرض مرة بعد أخرى فأمر به فألقى بين جبلين وجعل عليه حجارة وقال رسول الله ﷺ « ان الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يريكم آية فى قتل المؤمن »

غزوة فتح مكة

لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده

والسبب فى دخول خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ أن خزاعة كانت حليفة جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك . ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده . ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام عارفاً بذلك ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبىّ بن كعب رضى الله عنه فأقرهم النبى ﷺ على حلفهم .

وقد كان بين بنى بكر بن عبد مناة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام . قال ابن اسحاق فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً باولئك النفر الذين أصابوا منهم بنى الأسود بن رزين فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل وهو يومئذ قائدهم وليس كل بنى بكر بايعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ـ ماء لهم ـ فأصابوا منهم رجلا وتجاوزوا واقتتلوا ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة الى الحرم فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر يانوفل انا قد دخلنا الحرم « الهك . الهك » فقال كلمة عظيمة لا إله له اليوم يابنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى انكم لتسرفون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه وقد أصابوا منهم ليلة

بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجـلا مفئودا (ضعيف الفؤاد) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد . فقال له منبه ياتميم انج بنفسك . فأما أنا فوالله انى لميت، قتلونى أو تركونى قد انبتّ فؤادى وانطلق تميم فأفلت وأدركوا منبهاً فقتلوه

فلما دخلت خزاعة مكة لجأوا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعى ودار مولى لهم يقال له رافع

قال الواقدى كان ممن أعان من قريش بنى بكر على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية . وعكرمة بن أبى جهل . وسهيل بن عمرو مع غيرهم وعبيدهم

وذكر غيره حويطب بن عبـد العزى · وشيبة بن عثمان وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك

وكان جملة من قُتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليـه وهو فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال :

يارب انى ناشد محمداً ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدَا

قد كنتم ولداً وكنا والداً ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا اعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا ... ان سيم خَسفاً وجهه تربَّدا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا ... ان قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لى فى كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل . وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هُجداً ... وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم . وفى رواية فقام ﷺ وهو يجر رداءه ويقول : لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسى . وفى رواية قال والذى نفسى بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى وأهل بيتى . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب مما كان من شأن بنى كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان . ثم قال ﷺ لعمرو بن سالم وأصحابه بعد أن علم منهم حقيقة ماحدث ارجعوا وتفرقوا فى الأودية فرجعوا وتفرقوا وكان عددهم نحو أربعين راكبا من خزاعة وقصد رسول الله بتفرقهم اخفاء مجيئهم

وخرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة ولكن لم يبلغنا ماذا قال وفد بديل وبماذا أجابهم رسول الله

وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه فلقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله ليشدد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سفيان بديلا . قال من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن انه قد أتى رسول الله ، قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى . قال أوما أتيت محمدا ؟ قال لا . قال فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى (وهذا من فراسة العرب) فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان (زوج رسول الله) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال يا بنية والله ماأدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله . قال والله لقد أصابك بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله فقال ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى

رسول الله ؟ فوالله لو لم آخذ الا الذرّ لجاهدتكم . ثم خرج فدخل على على بن أبى أبى طالب رضى الله عنه وعنده فاطمة ابنة رسول الله وعندها الحسن بن علىّ غلام يدب بين يديها فقال : ياعلىّ انك أمس القوم بى رحماً وأقربهم منى قرابة . وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً . اشفع لنا الى رسول الله . قال ويحك ياأبا سفيان والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت الى فاطمة فقال يابنة محمد هل لك أن تأمرى بُنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟ قالت والله ما بلغ بنىَّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد . قال أبا الحسن انى أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى . فقال له والله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك . قال أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد . فقال :

« أيها الناس انى قد أجرت بين الناس » ثم ركب بعيره وانطلق [1]

أراد أبو سفيان من ذهابه الى المدينة أن يشدد العقد ويزيد فى المدة ولكن النبى ﷺ أعرض عنه ولم يجبه بشىء ووجد من أبى بكر وعمر وعلى وفاطمة رضى الله عنهم كل اعراض ولم يعده أحد منهم بشىء حتى يئس ورجع بخفى حنين لكنه على كل حال كان يعلم أن رسول الله قد عزم على أمر ازاء ما كان من تعدى بنى بكر ومساعدة نفر من قريش لهم فى هذا التعدى لأن ذلك نقض للعهد .

أما ما تخيله بعض المستشرقين من أن أبا سفيان اتفق مع رسول الله على أنه اذا دخل مكة اجتنب سفك الدماء وان أباسفيان يقوم من جانبه بمنع أهل مكة من المقاومة فهذا لا أساس له ، وليس فى السير شىء يدل على هذا الاتفاق

وقد قالوا أيضاً ان رسول الله كان ينتظر أى فرصة تسنح لفتح مكة فلما وقع الاعتداء على خزاعة تظاهر بالغضب ووعد بأخذ الثأر والانتصار لهم . والحقيقة ان

---

(١) راجع ابن اسحاق

اعتداء بنى بكر نقض صريح للعهد وكيف لايغضب وقد قتل من خزاعة وهم حلفاؤه أكثر من عشرين نفراً وقد لجأوا اليه وناشدوه أن يدفع عنهم هذا الاعتداء !

والدليل على أن أبا سفيان عاد من غير أن يحظى بأى اتفاق أنه لما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد علىّ شيئا . ثم جئت ابن أبى قحافة (أبا بكر) فلم أجد عنده خيرا . ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم جئت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علىّ بشئ صنعته فوالله ما أدرى هل يغنينى شيئا أم لا . قال وبماذا أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت . قالوا فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا . قالوا ويلك والله ان زاد على أن لعب بك فما يغنى عنا ماقلت . قال لا والله ما وجدت غير ذلك

غير أن قريشاً لما طالت غيبة أبى سفيان اتهمته أشد التهمة وقالوا قد صبأ واتبع محمداً سراً وكتم اسلامه . ولكنه لم يصبأ ولم يتبع رسول الله ﷺ انما طالت غيبته بسبب أنه أكثر من الالتجاء والتحدث الى أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ليشفعوا الى رسول الله ﷺ . فلما طال انتظاره وأيس منهم عاد الى مكة من غير أن ينال طائلا

ثم ان رسول الله ﷺ تجهز وما أعلم أحداً وكان يقول : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة » وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضى الله عنه يطوف على الأنقاب فيقول لاتدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه الا رددتموه . وقيل أمر بالطرق فحبست فعمى على أهل مكة لايأتيهم خبر

كتاب حاطب الى مكة

كتب حاطب بن أبى بلتعة البدرى حليف بنى أسد كتابا الى مكة يخبرهم بمسير النبى ﷺ وأرسله مع امرأة (١) استأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه مااستطعت

---

(١) اسم هذه المرأة سارة وهى مولاة لبنى عبدالمطلب وسيأتى ذكرها فيمن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة

ولا تمرى على الطريق فان عليه حراساً . فجعلت الكتاب فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على ابن أبى طالب والزبير بن العوام فقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم (وقد كان حاطب رسول رسول الله ﷺ الى المقوقس سنة ست)

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئاً فقال لها على بن أبى طالب انى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجد منه قالت أعرض . فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال ياحاطب ماحملك على هذا ؟ فقال يارسول الله أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ماغيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى أضرب عنقه فان الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر ، فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم : فأنزل الله عز وجل فى حاطب (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) الى قوله واليك أنبنا الى آخر القصة

وقد جاء فى كتابه مايأتى :

« من حاطب بن أبى بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وصفوان ابن أمية . أما بعد يامعشر قريش فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم والسلام »

وفى رواية ان لفظ الكتاب :

« ان رسول الله ﷺ أذن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد »

وعلى كل حال فان فى ارسال هذا الكتاب لقريش افشاء لسر أمر رسول الله ﷺ بكتمه ولولا أن حاطبا كان من المجاهدين فى غزة بدر لعاقبه رسول الله ﷺ ألا ترى أن عمر كان يريد ضرب عنقه . وقيل ان عمر رضى الله عنه قال قاتلك الله ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالأنقاب وتكتب الى قريش !

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رُهمْ كلثوم بن حصين ابن خلف الغفارى (١) وخرج لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان (أول ينابر سنة ٦٣٠ م) فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى اذا كان بالكَديدِ مابين (عُسفان وأمج) أفطر رسول الله ﷺ ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين وكان قد بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم : أسلم . وغفار . وأشجع . وسليم . وبعث رسلا فى كل ناحية . وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان

وكان عدد جيش المسلمين كما جاء فى السيرة الحلبية هو :

٧٠٠	مهاجر ومعهم	٣٠٠ فرس
٤٠٠٠	من الأنصار ومعهم	٥٠٠ «
١٠٠٠	من مزينة ومعها	١٠٠ «
٤٠٠	من أسلم ومعها	٣٠ فرسا
٣٠٠	من جهينة ومعها	٥٠ «
٦٤٠٠		٩٨٠

لكن هذا العدد أقل من المشهور بكثير بل هو أقل ممن خرج من المدينة وحدها وكان معه ﷺ من زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما . وكان خروجه

(١) أبو رهم الغفارى اسمه كلثوم بن الحصين أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وشهد أحدا فرمى بسهم فى نحره فسمى « المنحور » . واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عام الفتح فلم يزل عليها حتى انصرف رسول الله من الطائف وشهد بيعة الرضوان وبايع تحت الشجرة وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك

بعد العصر . ولم يزل رسول الله مفطراً رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لأنه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان فى أهبة القتال وقد عُمِّيَت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ولا يدرون ماهو فاعل . وخرج فى تلك الليلة أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران . قال العباس ـ وكان قد خرج من مكة ـ سمعت أباسفيان وهو يقول « والله مارأيت كاليوم قط نيرانا . فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب . فقال أبو سفيان خزاعة ألأم من ذلك وأذل . قال العباس فعرفت صوته فقلت ياأباحنظلة « يعنى أبا سفيان » فقال أبو الفضل (العباس) فقلت نعم . فقال لبيك فداك أبى وأمى فما وراءك ؟ فقلت هذا رسول الله ورائى قد دلف اليكم بما لاقبل لكم به : بعشرة آلاف من المسلمين . قال فما تأمرنى ؟ فقلت تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى فخرجت به أركض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إلىَّ قالوا عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال لأبى سفيان الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو النبى ﷺ وركضت البغلة وقد أردفت أباسفيان حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعنى أضرب عنقه . فقلت يارسول الله انى قد أجرته [1] ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لايناجيه اليوم

---

(١) قد آن لنا أن نكتب شيئا عن ترجمة أبى سفيان فهو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الأموى ويكنى أبا حنظلة بابنه حنظلة ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش الى الشام وغيرها من أرض العجم وكان يخرج أحيانا بنفسه وكانت اليه راية الرؤساء التى تسمى « العقاب » واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس وهو الذى قاد قريشا كلها يوم أحد وكان أبو سفيان صديق العباس وأسلم ليلة الفتح وشهد حنينا والطائف مع رسول الله وأعطاه رسول الله من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية كما أعطى سائر المؤلفة وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية وفقئت عين أبى سفيان

أحد دونى فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا إلا أنه رجل من بنى عبدمناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا . فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وذلك لأنى أعلم أن اسلامك كان أحب الى رسول الله من اسلام الخطاب لو أسلم : فقال رسول الله ﷺ إذهب فقد أمناه حتى تغدو به على بالغداة فرجع به الى منزله فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال بأبى أنت وأمى ، ماأوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا . فقال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ فقال بأبى أنت وأمى ماأوصلك وما أحلمك وما أكرمك ! . أما هذه ففى النفس منها شىء . فقال العباس فقلت له ويلك تشهد شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك . قال فتشهد . فقال رسول الله ﷺ للعباس حين تشهد أبوسفيان انصرف ياعباس فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادى حتى تمر عليه جنود الله . فقلت له يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون فى قومه . فقال نعم « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فخرجت حتى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادى فمرت عليه القبائل فيقول من هؤلاء ياعباس ؟ فأقول سليم فيقول مالى ولسليم فتمر به قبيلة فيقول من هؤلاء ؟ فأقول أسلم فيقول مالى ولأسلم وتمر جهينة فيقول مالى ولجهينة حتى مر رسول الله ﷺ فى الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فى الحديد لايرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء ياأبا الفضل ؟ فقلت هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ، فقال

يوم الطائف . قال يونس بن عبيد كان عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان لايسقط لهم رأى فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم يكن لهم رأى . وروى أنه لما أسلم ورأى المسلمين وكثرتهم قال للعباس : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما . قال انها النبوة قال نعم . وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد . ولما عمى أبوسفيان كان يقوده مولى له وتوفى سنة احدى وثلاثين وكان عمره ثمان وثمانين سنة وقيل كان عمره ثلاثا وتسعين سنة

يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك إنها النبوة . فقال نعم إذن فقلت الحق الآن بقومك فحـذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد : (يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لـكم به) قالوا فمه . فقال (من دخل دارى فهو آمن) قالوا ويحك ما تغنى عنادارك . فقال : (ومن دخل المسجدفهوآمن ومن أغلق عليـه بابه فهو آمن) . كذا فى رواية ابن اسحق . وذكر موسى بن عقبة وغيره ان العباس قال قلت يارسول الله أبو سـفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمـكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا إله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله إن فى النفس من هذا شيئا فأرجئها وفى رواية قال له ﷺ ياأباسفيان أسلم تسلم . قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأعليهما . وكان عمر رضى الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها . فقال أبو سفيان ويحك ياعمرانك رجل فاحش . دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم الخ .

وكان ممن لقيه ﷺ فى الطريق أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عمه ﷺ وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبى سفيان ولده جعفر وعبدالله ابن أبى أمية المخزومى ابن عمته ﷺ عاتـكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سـلمة زوج النبى ﷺ لأبيها لأن أمها عاتـكة بنت عامر بن قيس

يقال ان الذين كانوا يشبهون النبى ﷺ :

جعفر بن أبى طالب ـ والحسن بن على ـ وقثم بن العباس ـ وأبو سفيان ابن الحارث

وكان أبو سفيان بن الحارث من الشعراء المطبوعين وكان سبق له هجاء رسول الله ﷺ واياه عارض حسان بن ثابت بقوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقـد برح الخفاء

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

وكان لقاء أبى سفيان ومن معه النبى ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينـة .

فالتمسا الدخول على رسول الله ﷺ فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال بمكة ما قال (يعنى قوله له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك)

فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع أبى سفيان بُنى له فقال والله ليأذنَنَّ لى أو لآخذن بيد بُنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فأسلما وأنشد أبو سفيان قوله فى اسلامه واعتذاره مما كان مضى منه :

لعمرك انى يوم أحمل راية	لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
وهاد هدانى غير نفسى ودلنى (١)	على الله من طَرّدت كل مطرّد
أصد وأنأى جاهداً عن محمد	وأُدعى ولو لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم	وان كان ذا رأى يُلمْ ويفنّد
أريد لأرضيهم ولست بلائط	مع القوم مالم أهد فى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك عيرى أوْعدى
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا	وما كان عن جرى لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	نزائع جاءت من سهام وسُرْدد

قال ابن اسحاق فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله ودلنى على الله من طردت كل مطرد . ضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال : « أنت طردتنى كل مطرد » وقال علىّ رضى الله عنه لأبى سفيان بن الحارث عند اذنه ﷺ له فى الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقال له ما قال اخوة يوسف : « تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين » فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ، ففعل ذلك أبو سفيان

---

(١) ويروى : ودلنى على الحق ويروى : ونالنى مع الله

فقال له ﷺ ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾

عقد الألوية والرايات

عقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل كما يأتى :

أعطى لبنى سليم لواء وراية . ولبنى غفار راية . ولأسلم لواءين . ولبنى كعب راية . ولمزينة ثلاثة ألوية . ولجهينة أربعة ألوية . ولجماعة أسلموا من بنى بكر لواء ، ولأشجع لواءين .

نيران جيش المسلمين

لما نزل ﷺ مرّ الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترغب عن كثرتها

قال الواقدى خرج رسول الله ﷺ الى مكة فقائل يقول يريد قريشاً وقائل يقول يريد هوازن وقائل يقول يريد ثقيفاً

ثم دعا رسول الله ﷺ أن تعمى عليهم الأخبار واستجاب الله لرسوله ﷺ فأخذ العيون والأخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون خائفون

وقد كان زحف الجيش سريعاً جداً فانه وصل الى مر الظهران وهى على مرحلة من مكة فى اليوم السابع أو الثامن

ولما رأى أبو سفيان بن حرب كثرة النيران قال ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً

وأمر رسول الله ﷺ كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدة فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل كتيبة كتيبة (وفى أثناء مرور الجيش كان أبو سفيان واقفاً ينظر اليهم) فأول من قدم خالد بن الوليد رضى الله عنه فى

بنى سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام ثم مرت كتيبة بنى غفار وكان يحمل رايتهم أبو ذر وهكذا الى أن مر الجيش بأسره كما تقدم غير أنه لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال « يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الكعبة » فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار[1] وسمع مقالة سعد بن عبادة أحد الصحابة فقال يارسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة فى قريش . فقال لعلى رضى الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة لأنه ﷺ خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه

وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال الحلبى فى السيرة « وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية » ودخل ﷺ من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى

روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه[2] ودخل واضعاً رأسه الشريف على راحلته تواضعاً لله تعالى حين رأى ذلك الفتح العظيم و كثرة المسلمين وهو يقول « اللهم ان العيش عيش الآخرة »

وكان لواؤه ﷺ يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضى الله عنها

وقد أمر رسول الله رؤساء الجيش أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم . فاندفع خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه فقاتلهم فانهزموا شر انهزام وقتل من بنى بكر نحو ٢٤

---

(١) الهلاك (٢) وهذا من مزيد تواضعه صلى الله عليه وسلم لأن أسامة خادمه وابن خادمه ولو كان فيه ذرة من الكبر لما فعل ذلك فى هذا اليوم العظيم الذى تتجه فيه الأنظار اليه صلى الله عليه وسلم

رجلا ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الخزورة وكانت سوقاً بمكة (١)
ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هرباً وتبعهم المسلمون فصاح حكيم
ابن حزام وأبو سفيان « يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل دارى فهو
آمن ومن وضع السلاح فهو آمن » فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون
السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون . وقتل من المسلمين رجلان أخطآ الطريق أحدهما
كرز بن جابر الفهرى والآخر خالد الأشقر الخزاعى . قال موسى بن عقبة قال رسول
الله ﷺ بعد أن اطمأن لخالد رضى الله عنه : قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم
بدأونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال ﷺ قضاء الله خير

وكان دخوله ﷺ لعشر بقين من رمضان (يناير سنة ٦٣٠ م) ومعه ﷺ
زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما وأم سلمة هى بنت أبى أمية بن المغيرة
المخزومى واسمها هند وأما ميمونة فهى بنت الحارث وهى خالة خالد بن الوليد

المحكوم عليهم بالقتل

وقد استثنى رسول الله ﷺ أناساً من الدخول فى الأمان وأمر بقتلهم وهم
خمسة عشر ما بين رجل وامرأة وهذه أسماؤهم :

١ ـ عبد الله بن أبى سرح ين الحارث العامرى

٢ ـ عبد الله بن خطل

٣ ـ عكرمة بن أبى جهل

٤ ـ الحويرث بن نُقيد

٥ ـ مِقْيس بن صبابة

---

(١) كانت الخزورة سوق مكة وقد دخلت المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث وقف النبى صلى الله
عليه وسلم بالخزورة فقال أيابطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك الى ولولا أن قومي أخرجونى
منك ما سكنت غيرك

٦ ـ هبار بن الأسود بن المطلب

٧ ـ كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى

٨ ـ الحارث بن هشام المخزومى وهو أخو أبى جهل لأبويه

٩ ـ زهير بن أمية المخزومى أخو أم سلمة

١٠ ـ صفوان بن أمية بن خلف الجمحى

١١ ـ وحشى بن حرب قاتل حمزة

هؤلاء هم الرجال ، وأما النساء فهن :

١٢ ـ ١٣ قينتان كانتا عند عبد الله بن خطل تغنيان بهجاء النبى ﷺ والمسلمين

١٤ ـ سارة مولاة لبنى المطلب بن عبد مناف

١٥ ـ هند بنت عتبة زوج أبى سفيان أم معاوية

وأكثر هؤلاء أسلموا . وفيما يلى نذكر سبب اهدار دمهم

أما عبد الله بن أبى سرح فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح فى حق النبى ﷺ فأهدر دمه ﷺ يوم الفتح . فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاً له من الرضاع فقال يا أخى استأمن لى رسول الله ﷺ قبل أن يضرب عنقى . فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به الى رسول الله ﷺ وصار يقول عثمان يارسول الله أمّنته فبايعه والنبى ﷺ يعرض عنه مرارا . ثم قال نعم فبسط يده فبايعه وأسلم وحسن اسلامه .

وأخطأ الأستاذ در منجم فى كتابه (حياة محمد) فقال ان اسمه عبد الله بن سعد والصواب ما ذكرنا .

عبد الله بن خطل : فانه كان ممن قدم المدينة قبل الفتح وأسلم وكان اسمه « عبد العزى » فسماه النبى ﷺ (عبد الله) وبعثه لأخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الأنصار يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلا وأمر أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام ثم

استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعراً فجعل يهجو النبى ﷺ فى شعره . وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله ﷺ فلما كان يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة ، فلما رأى خيل المسلمين خاف وذهب الى الكعبة وألقى سلاحه وتعلق بأستارها فوجده رسول الله عند طوافه وهو بهذه الحال فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب . فقتل واختلف فيمن قتله . فأما القينتان واسمهما فرتنا وقريبة فقتلت قريبة واستؤمن رسول الله لفرتنا فأمنها فأسلمت وعاشت الى خلافة عثمان

عكرمة بن أبى جهل : أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه أن النبى ﷺ أهدر دمه هرب ليلقى نفسه فى بئر أو يموت تائهاً فى البلاد أو كما نقول الآن : هرب لينتحر غرقاً أو جوعاً . وكانت امرأته أم حكيم رضى الله عنها بنت عمة الحارث بن هشام رضى الله عنه . أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه فقال هو آمن فخرجت فى طلبه فأدركته فرجع معها وأسلم أمام رسول الله ﷺ وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة .وخالد بن الوليد ابن عمه

الحويرث بن نُقَيد : أهدر دمه رسول الله ﷺ لأنه كان يعظم القول فيه ﷺ وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان قد شارك هبار بن الأسود فى نخس جمل زينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت من مكة . فقتله على رضى الله عنه

مِقْيس بن صبابة : كان قد أسلم ثم أتى على أنصارى فقتله وكان الأنصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة « ذى قرد » ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصارى ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر رسول الله دمه فقتله نُميلة بن عبد الله الليثى ، رجل من قومه

هبار بن الأسود : كان شديد الأذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنخس بها الجمل حين سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت واشترك معه فى النخس الحويرث بن نقيد الذى مر ذكره وأهدر دم هبار بن الأسود يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء النبى ﷺ واعترف بذنبه وأسلم فعفا عنه ومنع المسلمين من سبه مع أنه كان سبباً فى وفاة ابنته

كعب بن زهير : كان شاعراً وكان يهجو النبى ﷺ بشعره وكان يعير أخاه بجيرا لاسلامه فأهدر دمه فلما بلغه أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله خاف وخرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبى ﷺ من فتح مكة وأسلم أمامه وأنشد قصيدته المعروفة التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

وقال فيها :

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فلما وصل الى هذا البيت رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضى الله عنه فى زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ الذى أعطانيه أحداً . فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم وهى البردة التى كانت عند السلاطين وكان الخلفاء يلبسونها فى الأعياد وقيل انها فقدت فى وقعة التتار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة

الحارث بن هشام : كان شديداً على النبى ﷺ وعلى المسلمين وابنه عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام

زهير بن أبى أمية : كان أيضاً شديداً فى كفره كالحارث بن هشام فأهدر رسول الله دمهما يوم الفتح فهربا واختبآ فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب فأجارتهما فأجاز ﷺ جوارها ثم جاءت بهما فأسلما وحسن اسلامهما

صفوان بن أمية : كان من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله والمسلمين فأهدر رسول الله دمه فاختفى وأراد أن يلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى رضى الله عنه وقال : يانبى الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمَّنت الأحمر والاسود . فقال رسول الله أدرك ابن عمك فهو آمن . فقال أعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك إلا أن تأتينى بعلامة أعرفها فأعطاه ﷺ عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان اغرب عنى لا تكلمنى . فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال انى أخافه على نفسى . قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله . فقال ان هذا يزعم أنك أمنتنى ، قال صدق . فقال أمهلنى بالخيار شهرين . فقال ﷺ : أنت بالخيار أربعة أشهر . ولما أراد ﷺ الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعاً كانت عنده . فقال : أغصباً يا محمد ؟ قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة . ثم خرج مع النبى ﷺ حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم رسول الله غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مئه ثم مائة ثم رآه ﷺ يرمق شعبا مملوءاً نعماً وشاء . فقال له ﷺ : يعجبك هذا ، قال نعم . قال هولك وما فيه . فقبض صفوان مافى الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ، ماطابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبى . أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأسلم وحسن اسلامه ، وترك المدة التى كان طلبها

وحشى بن حرب : أهدر رسول الله دمه لأنه قتل حمزة رضى الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف ولما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت عليه المذاهب فخرج حتى قدم على رسول الله وشهد شهادة الحق ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة فى خلافة أبى بكر فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التى قتل بها حمزة رضى الله عنه فكان يقول أرجو ان تكون هذه بتلك أى ان هذه تكفر تلك

أما القينتان فقد تقدم ذكرهما وأما سارة مولاة بنى المطلب فقد أهدر رسول الله دمها لأنها كانت مغنية بمكة تغنى بهجاء النبى ﷺ وقيل هى التى كان معها كتاب حاطب ابن أبى بلتعة [١] وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها رسول الله ﷺ ما كان فى غنائك مايغنيك . فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيراً طعاماً فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقى اليها هجاء رسول الله فتغنى به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها

هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبى سفيان وأم ابنه معاوية

أهدر دمها رسول الله لأنها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد [٢] فلما كان يوم الفتح اختفت فى بيت أبى سفيان زوجها ثم أسلمت . قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة وعقل . حضرت قتال الروم يوم اليرموك مع أبى سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتى كن معها

من هذا يتبين ان عدد الذين قتلوا ممن أهدر دمهم رسول الله ثلاثة رجال وامرأة وأسلم الباقون . قال الاستاذ موير ان الذين قتلوا فعلاً هم أربعة فقط . وقد اختفى عتبة

---

(١) راجع السيرة النبوية لدحلان وتاريخ أبى الفدا (٢) راجع غزوة أحد

ومعتب ابنا أبى لهب ثم أسلما واختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه مسلما ثم أسلم بالجعرانة [١]

وجاء فى كتاب تاريخ الأمم الاسلامية للمرحوم الشيخ محمد الخضرى بك ص ١٨٧ مايأتى :

« وأمر حين دخوله مكة بقتل أفراد ذوى جرائم خاصة بهم فقتل أكثرهم » وهذا ليس بصحيح فالذين قتلوا هم الأقلون لا الا كثرون . وضربت لرسول الله قبة من أدم بالحجون فمضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عندها وجاء رسول الله فدخلها فقيل له ألا تنزل منزلك ؟ فقال : وهل ترك عقيل لنا منزلا

الطواف : ولما انتهى رسول الله ﷺ الى الكعبة ومعه المسلمون استلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعل يشير اليهم رسول الله أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ، فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان كما تقدم وهو حلال غير محرم . ولما فرغ رسول الله من طوافه نزل عن راحلته ثم انتهى الى المقام فصلى ركعتين ، ثم انصرف الى زمزم وقال : لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون يعجبون ويقولون : مارأينا ملكاً قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به

دخوله الكعبة

جلس رسول الله فى ناحية المسجد وأبو بكر رضى الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة حاجب الكعبة [٢] فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها وصلى

---

(١) الجعرانة هى ماء بين الطائف ومكة وهى الى مكة أقرب (٢) فى طبقات بن سعد أن رسول الله أرسل بلالا الى عثمان بن طلحة

ركعتين بين العمودين اليمانيين ثم وقف على باب الكعبة وقال :

« لا اله الا الله وحده لاشريك له . صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . الا كل مأثرة أودم أومال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت (١) وسقاية الحاج . ألا وقتل الخطأ مثل العمد السوط والعصا فيهما الدية مغلظة فيها أربعون خَلِفةً (٢) فى بطونها أولادها . يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الآية ـ يامعشر قريش ويا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم . قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . ثم قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ـ فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فبذلك يسمى أهل مكة « الطلقاء (٣) » أما مفتاح الكعبة فقد رده رسول الله الى عثمان بن طلحة وقال : خذوها يابنى أبى طلحة خالدة لاينزعها منكم أحد الاظالم . ودفع السقاية الى العباس بن عبد المطلب

البيعة

اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله فجلس لهم على الصفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل من مجلسه يأخذ على الناس فبايع رسول الله على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله من الناس على الاسلام . فلما فرغ رسول الله من بيعة الرجال بايع النساء واجتمع اليه نساء من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة منتقبة متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة فهى تخاف أن يأخذها رسول الله بحدثها ، فلما دنون منه ليبايعنه

(١) سدانة البيت خدمته (٢) الخلفة ـ الناقة الحامل (٣) ومن ذلك كان على عليه السلام يقول لمعاوية « أنى يستوى المولى والمعتق » يعنى أعتقنا كم حين مكننا الله من رقابكم

قال رسول الله ﷺ تبايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً . فقالت هند : والله انك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه . قال : ولا تسرقن . قالت والله انى كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنة وما أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا . فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل . فقال رسول الله وانك لهند بنت عتبة . فقالت أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف عفا الله عنك . قال ولا تزنين . قالت يارسول الله هل تزنى الحرة ؟ قال ولا تقتلن أولادكن . قالت قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم . فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب . ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن . قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل . قال ولا تعصيننى فى معروف . قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فى معروف . فقال رسول الله لعمر : بايعهن واستغفر لهن رسول الله . وكان رسول الله لا يصافح النساء ولا يمس امرأة ولا تمسه الا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه

هذا وقد ذهب الشافعى وأحمد رضى الله عنهما الى أن رسول الله دخل مكة وملكها صلحاً ويرى أبو حنيفة والأكثرون أنه فتحها عنوة

هدم الأصنام

دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى الكعبة (٣٦٠) صنما لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص . فجاء ﷺ ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » . وأمر بكسر هبل (١) وقد أخرجت جميع الأصنام من المسجد

(١) راجع باب عبادة الأصنام

واحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة وأخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في أيديهما الازلام التي كانوا يستقسمون بها ، ونادى منادى رسول الله ﷺ بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم . ثم بعث رسول الله السرايا لكسر الأصنام التي حول مكة لأنهم كانوا اتخذوا لهم أصناماً جعلوا لها بيوتاً يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم فمنها « العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين »

أذان بلال على ظهر الكعبة

أمر رسول الله ﷺ بلالا رضي الله عنه أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة فلم يرق أذان بلال لبعض من سمعه من أهل مكة فمن قائل « أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ » وقال الحكم بن العاص « والله ان هذا لحدث عظيم . عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة ! ولم يقل أبو سفيان شيئاً خشية أن يعلم بقوله رسول الله ﷺ حتى من الحصباء وصار بعض من قريش يستهزئون ويحكون صوت بلال غيظاً وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتاً فلما سمعه رسول الله أمره أن يؤذن لأهل مكة وكان سنه ١٦ سنة وتوارث أولاده الأذان بمكة بعده

اسلام أبي قحافة (عثمان بن عامر التيمي)

ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبي قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه ﷺ قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه ؟ فقال : أبو بكر : هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه . فأجلسه بين يدى رسول الله فمسح رسول الله صدره وقال : « أسلم تسلم » فأسلم وهنأ رسول الله ﷺ

أبا بكر بإسلام أبيه . قال المسعودى توفى أبو قحافة فى خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك فى سنة ١٣ هجرية وهى السنة التى استخلف فيها عمر ابن الخطاب » وهو أول من ورث خليفة فى الاسلام .

أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها ثمانية عشر يوماً (كما اعتمده البخارى) يقصر الصلاة فى مدة اقامته بهـا لأنه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته

سرية خالد بن الوليد

الى العُزَّى (١)

بعد أن قضي رسول الله ﷺ على الأصنام التى كانت على الكعبة ومحا كل صورة بها وكسرت الأصنام التى كانت فى البيوت بأمره ، وجه نظره الى هدم الأصنام الأخرى المجاورة لمكة حتى تطهر البلاد من الوثنية ويعبد الله الواحد القهار وتثبت دعائم الدين الصحيح فبعث حين فتح مكة لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة خالد بن الوليد الى العزى ليهدمها فخرج فى ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهى اليها فهدمها ثم رجع الى رسول الله فأخبره . فقال هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال لم تهدمها . فارجع اليها فاهدمها . فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً ، وكانت بنخلة (على بعد ليلة من مكة) وكانت لقريش وجميع بنى كنانة ، وكانت أعظم أصنامهم وكان سدنتها بنو شيبان من بنى سليم

قال ابن حبيب : العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان فلما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد قطع الشجر وهدم البيت وكسر الوثن ، والبيت كان مبنياً على العزى وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون وينحرون عندها

---

(١) العزى تأنيث الأعز مثل الكبرى تأنيث الاكبر . والاعز بمعنى العزيز والعزى بمعنى العزيزة وهى أحدث من اللات ومناة وكانت العرب وقريش تسمى بها عبد العزى

سرية عمرو بن العاص

الى سُواع

بعت رسول الله ﷺ فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة بعد فتح مكة عمرو بن العاص الى سواع - اسم صنم لهذيل - على ثلاثة أميال من مكة وكان بأرض يقال لها رُهاط من بطن نخلة وكانت سدنته من بنى لحيان

قال عمرو فانتهيت اليه وعنده سادن فقال ما تريد ؟ قلت أمرنى رسول الله أن أهدمه . قال لا تقدر على ذلك . قلت لم ؟ قال تمنع . قلت حتى الآن أنت فى الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر ؟ قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً . ثم قلت للسادن كيف رأيت ؟ قال أسلمت لله . ولم نجد فى كتب التاريخ عدد الذين كانوا مع عمرو بن العاص رضى الله عنه عند ماذهب الى هدم سواع

سرية سعد بن زيد الأشهلي

الى مَناة

مناة صنم للأوس والخزرج وغسان وكانت بالمشلَّل[1] ومَنَـاة من أقدم الأصنام . وكانت العرب تسمى عبد مناة وكانوا يحجون اليه ولم يكن أشد اعظاما له من الاوس والخزرج .

بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصارى الأشهلى الى مناة ليهدمها وذلك لست بقين من شهر رمضان فخرج فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن . فقال السادن ما تريد ؟ قال هدم مناة . قال أنت وذاك فأقبل سعد يمشى اليهـا فخرجت اليه امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها . فقال السادن : مَناة دونك بعض غضباتك فضربها سعد فقتلها وأقبـل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا فى خزانتها شيئا . وما ذكر من أن الذى ذهب لهدمها سعد بن زيد الأشهلى هو ما مشى عليه فى المواهب تبعا لطبقات ابن سعد . وفى سيرة ابن هشام أنه علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه

وسعد بن زيد الأشهلى هو الذى كان بعثه النبى ﷺ بسبايا من سبايا قريظة الى نجد ليبتاع بهم خيـلا وسلاحا . وقال بعضهم ان الذى ذهب الى نجد هو سعد بن زيد بن مالك الأشهلى

---

(١) جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد

سرية خالد بن الوليد

الى جَذِيمة

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى شوال سنة ثمان من الهجرة الى بنى جَذيمة من كنانة وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يَلَمْلَمَ وهو يوم الغُميصاء داعياً الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلا فخرج فى ٣٥٠ رجلا من المهاجرين والأنصار وبنى سليم فانتهى اليهم خالد فقال من أنتم ؟ قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فى ساحاتنا وأذَّنّا فيها . قال فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح . قال فضعوا السلاح فوضعوه . فقال لهم استأسروا . فاستأسر القوم · فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم فى أصحابه . فلما كان فى السحر نادى خالد : من كان معه أسيرٌ فليدافّه[1] . فأما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم فبلغ النبى ﷺ ما صنع خالد فرفع يديه فقال: « اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد » وبعث علىّ بن أبى طالب ومعه مال فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثم انصرف الى رسول الله فأخبره . ان ارسال رسول الله عليا دليل على إخلاصه واستيائه من قتلهم

كانت بنو جذيمة قد أصابوا فى الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة (عم خالد) وكانا أقبلا تاجرين من اليمن حتى اذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما · فلما أرسل خالد بن الوليد الى بنى جذيمة وقتل منهم من قتل مع أنه لم يأمر بقتالهم تبرأ رسول الله ﷺ مما صنع خالد لأنهم أعلنوا اسلامهم . وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام فى ذلك اذ قال له عبد الرحمن : عملت بأمر

---

(١) المدافة : الاجهاز بالسيف

الجاهلية فى الاسلام . فقال خالد انمـا ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن بن عوف كذبت . قد قتلت قاتل أبى ولـكنك انما ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شيء . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال مهـلا ياخالد . دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أُحدٌ ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدْوَةَ رجل من أصحابى ولا رَوحته[1]

غزوة حنين

حنين واد فى طريق الطائف الى جنب ذى المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال وتسمى غزوة أوطاس اسم لموضع كانت به الموقعة وهو واد فى ديار هوازن . وتسمى الغزوة أيضا غزةهوازن . وهوازن اسم قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون وكانت هذه الغزوة فى ١٠ شوال سنة ثمان من الهجرة (فبراير سنة ٦٣٠ م)

وسببها أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خافت أشراف هوازن وثقيف أن يسير اليهم ويغزوهم فعزموا على قتاله قبل أن يقاتلهم ويقال انهم كانوا يستعدون للقتال قبل فتح مكة وذلك حين سمعوا بخروج رسول الله من المدينة وهم يظنون أنه انما يريدهم فأسندوا الرياسة والقيادة الى مالك بن عوف أحد بنى نصر وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله ﷺ مسترضعاً فيهم ومعهم دُرَيد بن الصمّة رئيس بنى جشم وسيدهم وكان شجاعا مجربا لكنه كان شيخا بلغ مائة وعشرين سنة وقيل أكثر من ذلك وقد عمى وصار لاينتفع الا برأيه وخبرته ومعرفته بالحروب . وكان قائد ثقيف ، كنانة ابن عبد ياليل وقد أسلم بعد ذلك

قوة العدو واستعداده

كان قائد هذا الجيش كما قلنا مالك بن عوف فأمرهم أن يسوقوا معهم الى الحرب كل شىء : المواشى والأموال والنساء والأبناء كى يثبتوا ولا ينهزموا الا أنهم اشترطوا عليه أن يأخذ برأى دريد بن الصمة لأنه شجاع وخبير بالحروب ، فلما نزلوا بأوطاس قال دريد : مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر ؟ فقيل له ان مالك بن عوف ساقهم الى القتال ، فاستدعاه فلما جاء سأله فقال أردت أن

أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم ، فلم ير رأيه وأشار عليه برد الذرية والأموال فلم يقبل ورماه بضعف الرأى لكبر سنه . ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفاً ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفاً ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كيلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم . ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد

وكان جملة من اجتمع من بنى سعد وثقيف ٤٠٠٠ وانضم اليهم من سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم نحو ٣٠٫٠٠٠ مقاتل وقيل ٢٠٫٠٠٠ وكانت هوازن رماة

قوة جيش المسلمين واستعدادهم

كان مع النبى صلى الله عليه وسلم ١٢٫٠٠٠ (منهم ١٠٫٠٠٠ الذين جاءوا معه من المدينة لفتح مكة و ٢٠٠٠ من الذين أسلموا فى فتح مكة) فقال أبو بكر « لا نغلب اليوم من قلة » وقيل قالها غيره

وذكروا لرسول الله عند عزمه على الخروج أن عند صفوان بن أمية دروعا وسلاحا فأرسل اليه فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية ٤٠٠ درع وسأله رسول الله أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل . واستعار أيضاً من نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ٣٠٠٠ رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين

خرج رسول الله من مكة يوم السبت لست خلون من شوال سنة ثمان من الهجرة (٢٨ يناير سنة ٦٣٠ م) وأهل مكة معه ركباناً ومشاة حتى النساء ومن لم يكمل اسلامه . واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن أبى العيص على مكة أميراً وكان شاباً وترك مُعاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى يعلم الناس الأحكام والشرائع لأنه كان عالما بالقرآن ومتبحراً فى الدين

ترتيب صفوف المسلمين وتوزيع الرايات

ولما اقترب رسول الله ﷺ من مكان العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار بالكيفية الآتية :

١ ـ على بن أبى طالب ـ لواء المهاجرين

٢ ـ راية لسعد بن أبى وقاص

٣ ـ راية لعمر بن الخطاب

٤ ـ الحباب بن المنذر ـ لواء الخزرج

٥ ـ أسيد بن حضير ـ لواء الأوس

ورتب قبائل العرب ووزع عليهم الألوية والرايات ولبس رسول الله درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته دلدل . وقدم سليمان يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل فى مقدمته حتى ورد الجعرانة

جواسيس العدو

أرسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر من الجواسيس ينظرون الى جيش المسلمين فرجعوا خائفين ونصحوا بالعودة فرماهم بالجبن وحبسهم عنده خوفا أن يشيعوا ذلك فى جيشه

جاسوس المسلمين

وأرسل رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبى حَدْرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى جيش العدو ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فمكث يوماً أو يومين ثم أتى النبى ﷺ وأخبره أنه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن

فسمعه يقول لأصحابه ان محمداً لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم . ثم صفوا . ثم تكون الحملة منكم وا كسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً

القتال

لما كان رسول الله ﷺ بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه عملا باشارة دريد بن الصمة فحمل عليهم المسلمون فانكشفوا ثم انشغلوا بالغنائم ، وذلك يذكرنا بما حدث فى غزوة أحد فانهم لما رأوا العدو ولى هاربا انشغلوا عن الحرب بجمع الغنائم وفارق الرماة المكان الذى أمر النبى ﷺ بالبقاء فيه فانكشف المسلمون وكر عليهم خالد بن الوليد الخ . وفى هذه الغزوة لما انشغل المسلمون بالغنائم استقبلهم العدو بالسهام فعادوا منهزمين لا يلوى أحد على أحد وانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى ﷺ وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا

ثبات رسول الله ﷺ

وقد ثبت رسول الله ﷺ كما ثبت فى غزوة أحد وكان ثباته سبباً فى كسب الموقعة فانه انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر . وعمر . وعثمان . وعلى . والعباس وابنه الفضل . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ . وأسامة بن زيد . وربيعة والحارث بن عبد المطلب . وعتبة . ومعتب (ابنا أبى لهب) . وأيمن ابن أم أيمن . واختلف فى عدد من ثبت مع رسول الله . وكان رسول الله يركض وهو على بغلته نحو هوازن وهو يقول :

« أنا النبيُّ لا كذب . أنا ابن عبد المطلب »

وأخذ كفا من تراب فرماه فى وجوه العدو قائلا شاهت الوجوه . فانهزموا . وهذا الرمى وقع مثله فى غزوة بدر

الانتصار بعد الهزيمة

لما ثبت رسول الله ﷺ ولم يبق معه الا بعض أصحابه ، قال لعمه العباس اصرخ يامعشر الأنصار ياأصحاب السمرة [١] . وكان العباس رفيع الصوت . وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية . يا أصحاب سورة البقرة ، فأقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها فأمرهم أن يصدقوا الحملة على العدو فاقتتلوا قتالا شديداً فنظر الى قتالهم فقال « الآن حمى الوطيس [٢] » فولى المشركون الأدبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم ويتبعون آثارهم وقتل بعض المسلمين ذرية العدو فنهاهم رسول الله ﷺ عن قتل الذرية وقال من قتل قتيلا فله سلبه . وقتل دريد بن الصمة [٣] فقتله ربيعة بن رفيع السلمى وجرح خالد بن الوليد جراحات أثقلت به

غنائم المسلمين

كانت غنائم المسلمين كما يأتى :

أسر من العدو خلق كثير ومن النساء نحو ٦٠٠٠ وغنم المسلمون من الابل ٢٤٫٠٠٠ بعير . ومن الغنم أكثر من ٤٠٫٠٠٠ شاة . ومن الفضة ٤٠٠٠ أوقية

---

(١) الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان (٢) التنور (٣) من حكم دريد : اياكم والفاحشة فى النساء فانها عار أبد وعقوبة غد، وعليكم بصلة الرحم فانها تعظم الفضل وتزين النسل . من أسدى اليكم خيراً فأضعفوه له والا فلا تعجزوا أن تكونوا مثله

تقسيم الغنائم

بدأ رسول الله ﷺ بالأموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب ٤٠ أوقية من الفضة و١٠٠ من الابل وكذا ابناه يزيد ومعاوية وأعطى حكيم بن حزام ١٠٠ من الأبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها . وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة ١٠٠ من الابل وكذا أسيد بن جارية الثقفى والحارث ابن هشام . وصفوان بن أمية . وقيس بن عدى . وسهيل بن عمرو . وحويطب بن عبد العزى . والأقرع بن حابس التميمى . وعيينة بن حصن . ومالك بن عوف . وأعطى العباس بن مرداس ٤٠ من الابل فقال فى ذلك شعراً فأعطاه ١٠٠ من الابل وأعطى مخرمة بن نوفل ٥٠ بعيراً وكذا العلاء بن حارثة وسعيد بن يربوع وعثمان ابن وهب وهشام بن عمرو العامرى . فيبلغ ما أعطى ممن ذكروا ١٤٨٥٠ من الابل وأعطى ذلك كله من الخمس (قال ابن سعد وهو أثبت الأقاويل عندنا) ثم أمر زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم ثم فضها على الناس فكانت سهام كل رجل أربعا من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر من الابل و ١٢٠ شاة . وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم له .

رد السبي

قدم وفد هوازن على النبى ﷺ وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن صرد وفيهم أبو برقان عم رسول الله من الرضاعة وقد جاءوا مسلمين فسألوه أن يمن عليهم بالسبى فرضى رسول الله ورضى المسلمون بما رضي به رسول الله وردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يختلف منهم أحد غير عيينة بن حصن وكان من الأعراب الجفاة فانه أبى أن يرد عجوزاً صارت فى يده منهم ثم ردها بعد ذلك . ووفد عليه ﷺ مالك بن عوف رئيس هوازن فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما تقدم وأسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله على من أسلم من قومه

الغنائم والأنصار

لما رأت الأنصار ما أعطى رسول الله فى قريش والعرب تكلموا فى ذلك وقالوا حن الرجل الى أهله فقال رسول الله : يامعشر الأنصار أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم . قالوا رضينا يارسول الله بك حظا وقسما . فقال رسول الله : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار »

رجوع رسول الله ﷺ الى المدينة

انصرف رسول الله ﷺ وكان قد انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة فأقام بها ثلاث عشرة ليلة . فلما أراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم بعمرة ودخل مكة فطاف وسعى وحلق رأسه ورجع الى الجعرانة من ليلته كبائت ثم غدا يوم الخميس حتى خرج على سَرِف [١] ثم أخذ الطريق على مر الظهران ثم الى المدينة

ولقد أنزل الله تعالى فى هذه الموقعة فى سورة التوبة :

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)

---

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه وهو موضع على ستة أميال من مكة

سرية أبي عامر الاشعرى

أو سرية غزوة أوطاس

أبو عامر الأشعرى هو عم أبى موسى الأشعرى وكان أبو عامر من كبار الصحابة.
لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعثه على جيش الى أوطاس خلف الفارين من هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق : فرقة منهم لحقت بالطائف . وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس . فانتهى اليهم أبو عامر فاذا هم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم الى الاسلام وأفلت منه العاشر ثم استشهد أبو عامر ، قتله أخوان هما العلاء وأوفى ابنا الحارث بن جشم . ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضى الله عنه باستخلاف عمر له فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا

سرية الطفيل بن عمرو الدَوسى

الى ذى الكَفَّين

لما أراد رسول الله السير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو (١) الدَوسى الى ذى الكفين (٢) وذلك فى شوال سنة ثمان من الهجرة . ليهدمه وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعاً الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحش النار فى جوفه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا
انى حششت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه ٤٠٠ سراعاً فوافوا النبى ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدم بدبابة ومنجنيق

هذا وقد ذكرت الدبابات والمنجنيق لأول مرة فى غزوة خيبر

---

(١) كان الطفيل شريفا شاعراً لبيباً وقد تقدم ذكر اسلامه فليراجع (٢) وذو الكفين صنم من خشب لعمرو بن حممة الدوسى

غزوة الطائف

كانت غزوة الطائف فى شوال سنة ثمان من الهجرة (فبراير سنة ٦٣٠ م) وقد تقدم ذكر الطائف عند ما سافر اليها رسول الله بعد وفاة أبى طالب وخديجة يلتمس من ثقيف النصرة فخذلوه وعاد الى مكة وكان ذلك سنة عشر من البعثة أما فى هذه المرة فانه خرج من حنين يريد الطائف ليغزوها وقد كانت ثقيف رَمّوا حصنهم وأدخلوا فيه مايصلحهم لسنة فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وسار رسول الله فنزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا . فيهم عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة وسعيد بن العاص ورمى عبد الله بن أبى بكر الصديق يومئذ فاندمل الجرح ثم انتقض به بعد ذلك فمات منه وأصيبت عين أبى سفيان فأتى النبى ﷺ وعينه فى يده فقال يارسول الله هذه عينى أصيبت فى سبيل الله فقال له ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين فى الجنة قال فى الجنة ورمى بها من يده

فارتفع رسول الله ﷺ الى موضع مسجد الطائف الذى أنشئ بعد ذلك وكان معه ﷺ من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين ودام حصار الطائف ثمانية عشر يوماً . ونصب عليهم المنجنيق ونثر الحسك سقبين من عيدان حول الحصن ونادى منادى رسول الله أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فأعتقهم رسول الله

وأمر رسول الله بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً ثم سألوه أن يدعها فتركها . ولم يؤذن لرسول الله فى فتح الطائف فأمر عمر بن الخطاب فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك ثم أذعنوا

واستعمل المسلمون فى هذه الغزوة الدّبابة وهى آلة من آلات الحرب بجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الأسوار لينقبوها

ويجدر بنا أن نذكر حادثة لطيفة . وذلك أنه كانت فى سبي حنين أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة وهى الشيماء قيل وأمها حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يارسول الله قال وماعلامة ذلك ؟ فأخبرته بعضة عضها اياها حين كان مسترضعاً عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك . فقام ﷺ وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه . وقال للشيماء لما أن عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا أن يحابينا فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لهـا فما عرفت مـكرمة مثلها ولا امرأه أيمن على قومها منها وخيَّرها ﷺ فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعى الى قومك ، قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فأعطاها نعماً وشاء وغلاماً يقال له مكحول وجارية .

بعث قيس بن سعد

الى صُداء

بعث رسول الله قيس بن عبادة الخزرجى الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة فى ٤٠٠ فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صُداء ، حى من اليمن . وفى معجم البلدان صداء مخلاف باليمـن بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا سمى باسم القبيلة فقدم زياد ابن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال يارسـول الله أنا وافدكم اليك فاردد الجيش وأنا أتـكفل باسلام قومى وطاعتهم . فقال اذهب اليهم فردّهم . فقال ان راحلتى قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم فردهم ورجع الصدائى الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا وقيل كتب اليهم فجاء وفدهم باسلامهم فقال رسول الله انك مطاع فى قومك ياأخا صداء فقال بل الله هداهم قال ألا تؤمرنى عليهم؟ قال بلى ولا خير فى الامارة لرجل مؤمن فتركها وأمره رسول الله أن يؤذن فى صلاة الفجر فأذن فأراد بلال أن يقيم فقال رسول الله ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم

سرية عيينة بن حصن الفزاري

الى تميم

بعث رسول الله فى المحرم سنة تسع من الهجرة (ابريل سنة ٦٣٠ م) عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فى صحراء فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولوا وأخذ منهم أحد عشر رجلا ووجدوا فى المحلة احدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً فجلبهم الى المدينة فأمر بهم رسول الله فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث فقدم فيهم عدة من رؤسائهم (١) فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذرارى فعجلوا فجاءوا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم وكلموه فى شأن السبى فرد عليهم رسول الله أسراهم واختلف فى عدد الوفد فقيل كانوا سبعين وقيل كانوا ثمانين وقد أسلموا وبقوا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين .

وسبب هذه السرية أن رسول الله بعث بشر بن سفيان العدوى الكلبى الى بنى كعب من خزاعة لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب . فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطونهم أموالكم ؟ فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيراً واحداً يخرج ، فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث رسول الله عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم كما تقدم

---

(١) منهم : عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم ابن سعد وعمرو بن الأهتم ورباح بن الحارث

سرية الوليد بن عقبة

الى بنى المصطلق

بعث رسول الله الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط لأخذ الصدقات من بنى المصطلق[1] وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد وكان بينهم وبين الوليد عداوة فى الجاهلية . الا أنهم لما سمعوا بمجىء الوليد لأخذ الصدقات خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحاً به وتعظيما لله ولرسوله فظن أنهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع أنهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه فذهب الى المدينة وأخبر النبى ﷺ أنهم ارتدوا ولقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهمّ رسول الله أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبى الخبر على حقيقته فنزلت هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ[2] ﴾

فقرأ عليهم القرآن وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن

والوليد بن عقبة كان أخاً لعثمان رضي الله عنه من أمه . أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه خالد بن عقبة وهو الذى صلى صلاة الصبح بأهل الكوفة أربع ركعات فقال أزيدكم وكان سكران ولما شهدوا عليه بالشرب أمر عثمان فجلد وعزل من الكوفة[3]

---

(١) بطن من خزاعة (٢) سورة الحجرات (٣) راجع كتاب عثمان بن عفان للمؤلف

سرية قطبة بن عامر

الى خثعم

فى صفر سنة تسع من الهجرة أرسل رسول الله قطبة بن عامر بن حديدة فى عشرين رجلا الى حى من خثعم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثرت الجرحى فى الفريقين جميعاً وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وجاء سيل أتىّ فحال بينهم وبينه فما يجدون اليه سبيلا وكانت سهمانهم أربعة أبعرة . أربعة أبعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد أن أخرج الخمس .

سرية الضحاك بن سفيان

الى بنى كلاب

فى شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة أرسل رسول الله جيشاً الى القُـرطاء عليهم الضحاك بن أبى بكر الكلابى ـ وكان من الشجعان الأبطال ـ ومعه الأصيد ابن سلمة بن قرط فلقوهم بالزُّج زُجَّ لاَوَة[1] فدعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وغنم أموالهم فلحق الأصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له فى غدير بالزج فدعا أباه الى الاسلام وأعطاه الأمان فسبه وسب دينه فضرب الأصيد عرقوبى فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه فى الماء ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه

---

(١) موضع بنجد

سرية علقمة بن مجزز المدلجى

الى الحبشة

كانت سرية علقمه بن مُجزِّز المدلجى الى الحبشة فى شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة (يولية سنة ٦٣٠ م) وسببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة تراياهم أهل جدة فبعث اليهم علقمه بن مجزز فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر وقد خاض اليهم البحر فهربوا منه . فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهلهم قبل بقية الجيش فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمى فيهم فأمره على من تعجل وكانت فيه دعابة (مزاح) فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون . فقال لهم : أليست طاعتى واجبة ؟ قالوا : بلى . قال فاقتحموا هذه النار . فقام بعض القوم فاحتجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها . فقال اجلسوا انما كنت أضحك فبلغ ذلك رسول الله فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه . وعلقمة هذا هو الذى بعثه عمر بن الخطاب الى الحبشة فهلك هو وجيشه . أما عبد الله بن حذافة فهو من قدماء المهاجرين ممن شهد بدراً ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه

سرية علىّ بن أبى طالب الى الفُلُس

بعث رسول الله علىّ بن أبى طالب الى الفلس صنم طيِّئ ليهدمه وذلك فى شهر ربيع الآخر وذلك سنة تسع من الهجرة فى مائة وخمسين رجلا من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ومعه راية سوداء ولواء أبيض فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه وملأوا أيديهم من السبى والنعم والشاء والفضة وفى السبى سَفَّانة بنت حاتم الطائى وأخت عدى بن حاتم وهرب عدى الى الشام . ووجد

فى خزانة الفلس ثلاثة أسياف . رَسُوب والمخذم وسيف يقال له اليمانى وثلاثة أدراع واستعمل رسول الله ﷺ على السبى أبا قتادة واستعمل على الماشية والرِّثة عبدالله بن عتيك فلما نزلوا رَكَكَ[1] اقتسموا الغنائم وعزل للنبى ﷺ صفياً رسوبا والمخذم ثم صار له بعد السيف الآخر ، وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة . وقد منّ رسول الله على سفانة فأسلمت وحسن اسلامها وكان المن عليها سبباً لاسلام أخيها عدى بن حاتم ، فانها خرجت حتى قدمت الشام على أخيها . فقال ماترين فى هذا الرجل ؟ قالت أرى والله أن تلحق به سريعاً فان يك نبياً فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت . فقال والله هذا هو الرأى ، فقدم على رسول الله وأسلم

---

(١) الركك محلة من محال سلمى أحد جبلى طئ . وعبد الله بن عتيك هو أحد قتلة أبى رافع ابن أبى الحقيق اليهودى

غزوة تبوك

أو العُسرة

تَبُوك موضع بين وادى القرى والشام بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وهى غزوة العسرة . مأخوذة من قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ) وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة (سبتمبر ـ أكتوبر سنة ٦٣٠ م) وهى آخر غزواته ﷺ . وكان الوقت حين خروجه حراً شديداً وقحطا شديداً ولذلك لم يور عنها كعادته فى سائر الغزوات بل بينها للناس وأخبرهم أنه يريد الروم وكانوا من شدة الحر ينحرون البعير فيشربون مافى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق

وسببها أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق أصحابة لسنة وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء (١) وقيل ان الامبراطور هرقل كان فى حمص

اخلاص الصحابة

ندب رسول الله الناس الى الخروج وأعلمهم المكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة وحثهم على النفقة والحملان فجاءوا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله ٤٠٠٠٠ درهم فقال له ﷺ هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيئاً ؟ قال نعم نصف مالى : وجاء عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية . وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر . وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش . قال ابن اسحاق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك

---

(١) البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى

الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وقيل جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجر رسول الله فقلبها فى حجره وهو يقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم

البكاءون

جاء البكاءون وهم سبعة يطلبون من رسول الله ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وقيل كانوا أكثر من سبعة . فلما قال لهم ذلك انصرفوا باكين وهم الذين قال الله فيهم (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)

المتخلفون

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله فى التخلف من غير علة فأذن لهم وهم بضعة وثمانون رجلا وقال قائل من المنافقين لا تنفروا فى الحر زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق وارجافا بالرسول وكان من المتخلفين عبد الله بن أبى ابن سلول

المعذرون

وجاء المعذّرون من الاعراب وهم الذين يعتذرون بالباطل ليؤذن لهم فاعتذروا اليه فلم يعذرهم وقيل هم أسد وغطفان

واستخلف رسول الله على عسكره أبا بكر الصديق يصلى بالناس واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة (قال ابن سعد وهو أثبت عندنا مما قال استخلف غيره) واستخلف علىّ بن أبى طالب على أهله صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك فأرجف المنافقون بعلى بن أبى طالب وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففاً منه . فلما قال ذلك المنافقون أخذ علىّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو بالجرف فقال يانبى الله زعم المنافقون

أنك انما خلفتنى انك استثقلتنى وتخففت منى فقال كذبوا ولكنى انما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى فرجع علىٌّ الى المدينة

ولما ارتحل رسول الله عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبى بكر ورايته العظمى للزبير ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار وقبائل العرب لواء أو راية

عدد جيش المسلمين

سار رسول الله بالناس وهم ٣٠٠٠٠ر٣٠ والخيل ١٠٠٠٠ر١٠ وقد كان هذا الجيش بعد تخلف المنافقين وغيرهم أعظم جيش تألف فى العرب

قدم رسول الله تبوك ومعه هذا العدد من الجيش فأقام بها عشرين ليلة يصلى بها ركعتين

بعث خالد بن الوليد الى أُكَيْدَر

أرسل رسول الله خالد بن الوليد فى ٤٢٠ فارساً فى رجب سنة تسع سرية الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً وكان ملكا من قبل هرقل فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد بن الوليد فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ٢٠٠٠ بعير و ٨٠٠ فرس و ٤٠٠ درع و ٤٠٠ رمح فعزل للنبى صلى الله عليه وسلم صفياً خالصاً ثم قسم ما بقى بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمس فرائض ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد وكان فى الحصن وبما

صالحه عليه قافلا الى المدينة فقدم بأ كيدر على رسول الله فأهدى له هدية صالحة على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له رسول الله كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره وكان رسول الله استعمل على حرسه بتبوك عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر

ثم انصرف رسول الله من تبوك الى المدينة بعد أن أقام بها نحو عشرين ليلة ولم يلق كيداً ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله لأصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وجعل المنافقون يحلفون ويعتذرون فقبل ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم وقد كانوا يخبرون عنه أخبار السوء وكان قدوم رسول الله من تبوك فى رمضان

المعجزات وخوارق العادات

فى هذه الغزوة وقع لرسول الله بعض المعجزات وخوارق العادات والأخبار بالمغيبات نذكر منها :

كان رسول الله حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا منها قال رسول الله لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منها للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيئاً ولا يخرجن أحد منكم الليلة الا ومعه صاحب له ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله الا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فانه خنق على مذهبه وأما الذى ذهب لطلب بعيره فاحتمله الريح حتى طرحته فى جبل طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد الا ومعه صاحب ؟ ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى وأما الآخر الذى وقع بجبل طيء فان طيئاً أهدته لرسول الله حين قدم المدينة

ولما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك الى رسول الله فدعا الله فأرسل الله

سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء

وضلت ناقة رسول الله ببعض الطريق فخرج أصحابه فى طلبها وعند رسول الله رجل من بعض أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان فى رحله زيد بن لُصيب القينقاعى وكان منافقا فقال زيد بن لصيب وهو فى رحل عمارة وعمارة عندرسول الله أليس يزعم محمد أنه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله وعمارة عنده ان رجلا قال ان هـذا محمداً يخبركم أنه نبى وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليهـا وهى فى الوادى من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها الى آخر القصة . ثم مضى رسول الله سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يارسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه حتى قيل يارسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتلوم أبو ذر على بعيره فلمـا أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ونزل رسول الله فى بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله : كن أبا ذر . فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو أبو ذر فقال رسول الله : « يرحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ، ويبعث وحده » وقد تحقق قوله عليه الصلاة والسلام ، فان عثمان رضى الله عنه لما نفى أبا ذر نزل أبو ذر الرَّبذَة (١) فأصابه بها قدَره ولم يكن معه أحد الا امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسلانى وكفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فأول مركب يمر بكم فقولوا هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فلمـا مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق فأقبل عبـد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عماراً فلم يرعهم الا بجنازة على الطريق قد كادت الابل تطأها وقام اليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول

(١) من قرى المدينة

صدق رسول الله « تمشى وحدك . وتموت وحدك . وتبعث وحدك » ثم نزل هو وأصحابه فواروه ثم حدثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله فى مسيره الى تبوك واسم أبى ذر (جندب بن جنادة) ومات فى سنة ٣٢ هـ

هدم مسجد الضِّرار بقُباء

لما رجع رسول الله من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتى مسجدهم بقباء ليصلى فيه وهو (مسجد الضرار) الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعتهم فدعا رسول الله بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ سورة التوبة

فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدى بن عامر بن السكن ووحشياً وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدُّخشم (١) فقال مالك أنظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عند أهله وأمر رسول الله أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات

كان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله أتينا كم فصلينا لكم فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد من السماء

---

(١) ذكر اسم مالك بن الدخشم فى السيرة النبوية لدحلان بالنون هكذا « الدخشن ورهط الدخشن » وصحته بالميم كما جاء فى تاريخ الطبرى وفى أسد الغابة وزاد المعاد

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق . وثعلبة بن حاطب . ومُعتِّب بن قُشير . وأبو حبيبة بن الأزعر : وعباد ابن حُنيف . وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونَبْتل بن الحارث وبخزج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت

أما مالك بن الدخشم الذى مر ذكره وهو أحد الذين هدموا مسجد الضرار فقد كان يتهم بالنفاق وهو الذى قال فيه عتبان بن مالك لرسول الله انه منافق فقال رسول الله : أليس يشهد أن لا إله الا الله ؟ فقال بلى ولا شهادة له . فقال رسول الله أليس يصلى قال بلى ولاصلاة له . فقال رسول الله أولئك الذين نهانى الله عنهم ولا يصح عنه النفاق وقد ظهر من حسن اسلامه ما يمنع من اتهامه .

لماذا بنى مسجد الضرار ؟

وصف الله مسجد الضرار بصفات أربع :

(١) ضراراً والضرار محاولة الضر

(٢) قوله وكفراً قال ابن عباس يريد به ضراراً للمؤمنين وكفراً بالنبى عليه السلام وبما جاء به

(٣) قوله تفريقاً بين المؤمنين لأن المنافقين قالوا نبنى مسجداً فنصلى فيه ولا نصلى خلف محمد فان أتانا فيه صلينا معه وفرقنا بينه وبين الذين يصلون فى مسجده فيؤدى ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الألفة

(٤) وارصاداً لمن حارب الله ورسوله

هذه هى الأسباب التى بنى المنافقون من أجلها مسجد الضرار كما ذكرت فى القرآن الكريم . ثم انه تعالى لما وصف هذا المسجد بهذه الصفات الأربع قال : وليحلفن ان أردنا الا الحسنى أى ليحلفن ما أردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين فى التوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله

وذلك أنهم قالوا الرسول الله انا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطرة والليلة الشاتية ثم قال تعالى : (وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) والمعنى أن الله تعالى أطلع الرسول على أنهم حلفوا كاذبين (١)

وقد تقدم أن هذا المسجد كان مآله الهدم والحرق وصار موضعاً لالقاء الجيف والقمامات

موت عبد الله بن أبى بن سلول

« رأس المنافقين »

وفى هذه السنة ـ التاسعة ـ فى شهر ذى القعدة مات عبد الله بن أبى ابن سلول « رأس المنافقين » بعد أن مرض عشرين ليلة

وحدث أنه لما كان عبد الله مريضا عاده رسول الله فطلب منه أن يصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره . ثم إنه أرسل الى الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل اليه القميص الفوقانى فرده وطلب منه الذى بلى جسده ليكفن فيه فقال عمر رضي الله عنه : لاتعطى قميصك الرجس النجس ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ان قميصى لايغنى عنه من الله شيئا فلعل الله يدخل به ألفاً فى الاسلام وكان المنافقون لايفارقون عبد الله . فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف ، فلما مات جاءه ابنه يعرفه فقال عليه الصلاة والسلام لابنه صل عليه وادفنه . فقال ان لم تصل عليه يارسول الله لم يصل عليه مسلم . فقام عليه الصلاة والسلام ليصلى عليه فقام عمر فحال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلى عليه فنزل قوله تعالى :

(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) سورة التوبة

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازى « سورة التوبة »

قال الزجاج كان رسول ﷺ اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه

وفى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنه : فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيراً حتى نزلت (أى الآية السابقة) ولم يأخذ رسول الله بقول عمر رضى الله عنه جرياً على ظاهر حكم الاسلام واستصحاباً لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذى تحقق صلاحه واستئلافا لقومه

وعن عبد الله بن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفى عبد الله بن أبى ابن سلول ودعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله ين أبى القائل يوم كذا ، كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله عليه السلام يبتسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عنى ياعمر انى خيرت فاخترت وقدقيل لى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو أنى أعلم أنى ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه . قال أتعجب لى وجرأتى على رسول الله ﷺ . والله ورسوله أعلم فوالله ما كان إلا يسير حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبداً فما صلى رسول الله ﷺ على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله

حجة أبي بكر الصديق

بعث رسول الله فى السنة التاسعة فى شهر ذى الحجة (مارس سنة ٦٣١ م) أبا بكر الصديق يحج بالناس فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه عليّ رضى الله عنه على ناقة رسول الله « القصواء » فقال له أبو بكر استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال لا ولكن بعثنى أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله وبين المشركين عاما وخاصاً . فالعام أن لا يصد أحد عن البيت اذا جاءه ولايخاف أحد فى الأشهر الحرم . والخاص بين رسول الله وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب أن لاينبذ العهد الا من كان قريباً ممن أراد النبذ . فلذلك بعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه ولم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فحج بالناس . قرأ عليّ بن أبى طالب براءة [1] على الناس يوم النحر عند الجمرة ونبذ الى كل ذى عهد عهده . وقال لا يحج بعد هذا العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ثم رجعا قافلين الى المدينة . وقد كان على رضى الله عنه يصلى خلف أبى بكر الى أن رجع الى المدينة

وفى ذلك رد على الرافضة فانهم زعموا أن النبيّ ﷺ عزل أبا بكر رضى الله عنه عن إمارة الحج بعليّ

---

(١) سورة براءة هي التوبة . قال صاحب الكشاف التوبة لها عدة أسماء : براءة والتوبة والمقشقشة والمبعثرة والمشردة والمخزية والفاضحة والمثيرة والحافرة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب

سرية خالد بن الوليد

الى بنى الحارث بن كعب بنجران

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى شهر ربيع الأول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١ م) سرية فى أربعمائة الى بنى الحارث بن كعب بنجران [١] وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا لك فاقبل منهم وأقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الاسلام فان لم يفعلوا فقاتلهم . وكان أهل نجران على شريعة عيسى عليه السلام فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الناس الى الاسلام ويقولون : ياأيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم اليه . فأقام خالد فيهم يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه . ثم كتب خالد الى رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبى رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد . السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته . فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . أما بعد يارسول الله صلى الله عليك فانك بعثتنى الى بنى الحارث بن كعب وأمرتنى اذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم الى الاسلام فان أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلهم . وانى قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركبانا . يابنى الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبى ﷺ حتى يكتب الىّ رسول الله والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته » وهذا الكتاب شرح فيه خالد مهمته وأنه قام بها كما أمر . فكتب اليه رسول الله ﷺ :

---

(١) موضع بين اليمن ونجد

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى رسول الله الى خالد بن الوليد . سلام عليك . فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو . أما بعدفان كتابك جاءنى مع رسلك بنجران بنى الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتلوا وأجابوا مادعوتهم اليه من الاسلام وشهادة أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمه الله وبركاته »

فأقبل خالد بن الوليد الى وسول الله وأقبل وفد بنى الحارث بن كعب فيهم قيس ابن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الغصة . ويزيد بن عبد المدَان . ويزيد بن المحجَّل وعبد الله بن قريظ الزيادى . وشداد بن عبد الله القنَانى . وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله فرآهم قال من هؤلاء القوم كأنهم رجال الهند ؟ قيل يارسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب . فلما وقفوا عند رسول الله سلموا عليه . فقالوا نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ثم قال رسول الله أنتم الذين اذا زُجروا استقدموا . فلم يراجعه منهم أحد . ثم أعادها رسول الله الثانية والثالثة والرابعة فقال يزيد بن عبد المدان نعم يارسول الله ، نحن الذين اذا زجرنا استقدمنا . فقالها أربع مرات . فقال رسول الله : لو أن خالد بن الوليد لم يكتب الىّ فيكم أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله يارسول الله ماحمدناك ولا حمدنا خالدا . فقال فمن حمدتم ؟ قالوا حمدنا الله الذى هدانا بك . قال صدقتم . ثم قال رسول الله بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا لم نكن نغلب أحداً . فقال رسول الله بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم . قالوا يارسول الله : كنا نغلب من قاتلنا انا كنا بنى عبيد وكنا نجتمع ولا نتفرق . ولا نبدأ أحداً بظلم . قال صدقتم . ثم أمّر رسول الله على بلحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بلحارث بن كعب الى قومهم ولم يمكثوا بعد أن قدموا الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله

وفاة ابراهيم

توفى ابراهيم ابن رسول الله فى شهر ربيع الأول سنة عشر (يونية ٦٣١ م) دخل رسول الله ﷺ وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف وابراهيم يجود بنفسه ، فلما مات دمعت عينا رسول الله وقال له عبد الرحمن أى رسول الله هذا الذى تنهى الناس عنه متى يرك المسلمون تبكى يبكوا . فلما سريت عنه عبرته قال انما هذا رحمة وان من لا يرحم لا يُرحم انما ننهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه . ثم قال لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجداً غير هذا وانا عليه لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعه فى الجنة . وأمر النبى ﷺ بدفن ابراهيم فى البقيع[1] . وصلى عليه ﷺ وكبر أربعاً وقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الأطفال اذا استهلوا ولما دفن أمر برش قربة ماء على قبره . ولما سوى جدثه كان رسول الله ﷺ رأى كالحجر فى جانب الجدث فجعل رسول الله ﷺ يسوى باصبعه ويقول : « اذا عمل أحدكم عملا فليتقنه فانه مما يسلى نفس المصاب »

وانكسفت الشمس يوم مات ابراهيم فأذاع الناس أن الشمس كسفت حزناً على موت ابراهيم فقال رسول الله ﷺ « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ولا ينكسفان لموت أحد » . قال ذلك لأن الناس لما شاهدوا الكسوف ، قالوا انكسفت الشمس لموت ابراهيم . ولوكان النبى مخادعا أو كاذباً لاستغل هذه الفرصة السانحة وأذاع فى طول البلاد وعرضها أن الشمس انما انكسفت لوفاة ابنه وأن هذه احدى معجزات النبوة لكنه أبى الا الصدق وأذاع الحقيقة

---

(١) مقبرة أهل المدينة

قال مسيو درمنجم فى كتابه حياة محمد (فصل ٢١) بمناسبة هذا الحادث : « ان محمداً كان واسع العقل فرد على هذه الخرافة الجميلة بقوله (ان الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحد) وهذه كلمات لايقولها مخادع »

وهذا ما قلناه لأن المخادع يتعلق بالأوهام ويسارع الى انتهاز مثل هذه الفرص ولكن النبى كان صادقاً فى أقواله . صادقاً فى أفعاله . لا يستند الى الأكاذيب فى رفع شأنه

قال النووى فى تهذيب الأسماء : وأما ماروى عن بعض المتقدمين « لو عاش ابراهيم لكان نبياً » فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلات

أبو موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل

بعثهما الى اليمن

أبو موسى الأشعرى واسمه عبد الله بن قيس . أسلم قديماً ثم أرسله رسول الله الى زبيد وعدن فكان عاملا عليهما . واستدل العلماء بارساله على أنه كان عالماً فطناً حاذقاً ولولا ذلك لم يوله النبى ﷺ الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علىّ رضى الله عنهم . ونسبته الخوارج والروافض الى الغفلة وعدم الفطنه لما صدر منه فى التحكيم بصفين . وسيأتى ذكر ذلك فى كتابنا « علىّ » رضى الله عنه ان شاء الله

وأما معاذ بن جبل فهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهو أنصارى خزرجى وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة . قال رسول الله ﷺ : خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود . وأُبى بن كعب : ومعاذ بن جبل . وسالم مولى أبى حذيفة »

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وذكر الحديث ، وقال : وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل »

وكان معاذ رضى الله عنه ممن يفتون فى عهد رسول الله ﷺ وكان من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وأسمحهم كفاً فكثرت ديونه فأرسله رسول الله الى اليمن وقال : « لعل الله يجبرك ويؤدى عنك دينك »

وفى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . قال رسول الله ﷺ لمعاذ : « انك ستأتى قوماً أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله . فان هم أطاعوالك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »

وعن معاذ أنه قال : لما بعثني ﷺ الى اليمن قال : قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم . فقاتل بمن أطاعك من عصاك

ولما بعث رسول الله معاذاً خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت ظل راحلته فلما فرغ قال : يامعاذ . انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري . فبكى معاذ رضى الله عنه لفراقه . ولم يزل معاذ على اليمن الى أن قدم فى خلافة أبي بكر ثم توجه الى الشام فمات بها

بعث على بن أبى طالب

الى اليمن

بعث رسول الله على بن أبى طالب الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر (ديسمبر سنة ٦٣١ م) فخرج علىّ فى ٣٠٠ فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب : غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الأسود بن خزاعى فقتله الأسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان فقتل منهم نحو عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم دعاهم الى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وجمع علىّ الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب على سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وكان ذلك فى الربيع

ملحوظة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن سنة ثمان وهو أول بعث الى اليمن بعد فتح مكة وبعثه الى همدان فأسلمت همدان جميعا فكتب علىّ الى رسول الله باسلامهم فلما قرئ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان . أما البعث الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

حجة الوداع

فى شهر ذى الحجة سنة عشر من الهجرة (مارس سنة ٦٣٢ م) حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وسميت بذلك لأنه ودع الناس فيها . وعن عائشة زوج النبى ﷺ قالت خرج رسول الله ﷺ الى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة فلما كان بسرف أمر الناس أن يحلوا بعمرة الا من ساق الهدى وكان رسول الله قدساق الهدى وناس معه. قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس خطبته التى بيَّن فيها مابيَّن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس اسمعوا قولى فانى لاأدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقدبلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لاربا وأن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع وأن أول دمائكم أضع دم عامر ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هُذَيْلٌ فهو أول ماأبدأ به من دماء الجاهلية . أمابعد أيها الناس فان الشيطان قديئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه ان يُطع فيماسوى ذلك فقدرضى به مماتحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ماأحل الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات الأرض [1] وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم . ثلاثة متوالية ورجب مضر الذى

---

(١) يعنى أن الحج قد عاد فى ذى الحجة

بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً . أمرا بيناً . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت فذكر لى أن الناس قالوا اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد » اهـ وكان الذى يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية ابن خلف لكثرة الناس . وقد تنبأ رسول الله فى هذه الخطبة بأن أجله قد قرب وأنه لا يحج بعد هذه المرة لقوله فى أولها « فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً » وأوصى الناس بالنساء خيراً ومنع الرجال من معاملتهن بالظلم وحضهم على معاشرتهن بالمعروف وكما أن للرجال حقا عليهن فكذلك للنساء حقا عليهم وهذا من غير شك رفع لشأنهن فلم تعد المرأة كمية مهملة أو مهضومة الحقوق بعد أن عنى الرسول بها فى خطبته . فليفهم ذلك المسلمون فى جميع أنحاء الأرض وليعملوا بنصح الرسول

وتسمى هذه الحجة أيضا حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى : ﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ اْلاِسْلَامَ دِيناً [1] ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ولم يحج رسول الله بعد أن هاجر غير هذه الحجة . ولم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف . قال ابن الأثير فى النهاية : كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى وقيل سباع بن عرفطة الغفارى . وكان نساؤه كلهن معه . وكان دخوله مكة صبح الرابع من ذى الحجة يوم الأحد .

(١) قيل لم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شىء من الفرائض ولا تحليل شىء ولا تحريمه ولم يعش رسول الله بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة

يقول مستر موير « الراجح أن النبى خرج من المدينة يوم السبت ٢٥ القعدة (٢٣ فبراير سنة ٦٣٢ م) وبلغ سَرف[١] مساء الأحد فى اليوم العاشر ودخل مكة يوم الثلاثاء »

وخرج معه ﷺ ٩٠٠٠٠ ويقال أكثر من ذلك . وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك طبعاً لانضمام أهل مكة اليهم والذين أتوا من اليمن مسلمين

قال ابن اسحاق وحدثنى عبد الله بن نجيح أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة قال هذا الموقف للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة[٢] هذا الموقف وكل المزدلفة موقف ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر وكل مِنى منحر ، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ورمى الجمار وطواف البيت وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم . ثم عاد رسول الله الى المدينة

بعث أسامة بن زيد

قفل رسول الله فأقام فى المدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وضرب على الناس بعثاً الى الشام أمّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدّارم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوْعَبَ مع أسامة بن زيد المهاجرين الأولين

عدد الغزوات والبعوث

كان جميع ما غزا رسول الله بنفسه بناء على ما ذكره ابن اسحاق ٢٧ غزوة وبعوثه وسراياه ٣٨ . قال الطبرى وكانت غزواته بنفسه ستاً وعشرين غزوة ويقول بعضهم

---

(١) موضع على ستة أميال من مكة (٢) قزح القرن الذى يقف الامام عنده بالمزدلفة عن يمين الامام وازدلف : تقرب ، ومنه سمى لمشعر الحرام مزدلفة لأنه يتقرب فيها وهى ما بين وادى محسر ومأزمى عرفة

انها كانت سبعاً وعشرين غزوة فمن قال هى ست وعشرون جعل غزوة النبى ﷺ من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أهلها الى منزله ولـكنه مضى منهـا الى وادى القرى فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال هى سبع وعشرون غزوة جعـل غزوة خيبر غزوة . وغزوة وادى القرى غزوة أخرى فيجعل العدد سبعاً وعشرين

الوفود

وفدت على رسول الله وفود كثيرة نذكرها هنا مع الاختصار ، فقد وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصرى وذلك فى أواخر سنة ثمان . وكذا وفد عليه بنو تميم فى سرية عيينة بن حصن وكان ذلك فى المحرم سـنة تسع . ووفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكباً جاءوه يجادلونه فى شأن عيسى عليه السلام وصالحوا النبى ﷺ على الجزية وكتب لهم كتاباً وأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الأمة ، وفى أهل نجران والرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران . ووفد عليه ﷺ الداريون أبو تميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون على دين النصرانية وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبـل الهجرة ومرة بعدها . ولما قدم رسول الله الى المدينة من تبوك فى رمضان وفد عليه وفد ثقيف . ووفد عليه وفد بنى عامر بن صعصعة وفيهم عامر بن الطفيل العامرى وأربد بن قيس وجبار بن سُلمى ، رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم وكان من أجمل الناس وكان مضمراً الغدر بالنبى ﷺ وطلب من رسول الله أن يجعل له الأمر بعد أن أسلم . ولما خرج عامر بن الطفيل ومن معه الى بلادهم أصيب فى الطريق بالطاعون ومات ولم يسلم وقدوهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى أن مات وذلك انما هو عامر بن الطفيل الأسلمى فانه صحابى .

ووفد على النبى ﷺ وفد ضمام بن ثعلبة سنة تسع وسأله ضمام هل الله سبحانه وتعالى أمره بعبادة الله وحده لا شريك له وخلع الأصنام وبالزكاة وصوم رمضان وحج

البيت من استطاع اليه سبيلا ؟ فقال رسول الله اللهم نعم فأسلم ورجع الى قومه وسب اللات والعزى وما زال يدعوهم الى الاسلام حتى أسلموا جميعاً رجالا ونساء . ووفد عليه ﷺ وفد عبد القيس وكانت منازلهم بالبحرين وكان فيمن وفد منهم الجارود وكان نصرانياً قد قرأ الكتب وقيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض عليه رسول الله الاسلام فأسلم وأسلم أصحابه وسألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ فنهاهم عن شربها

فوفد بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وفدوا عليه ﷺ وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب وكان أمره عند قومه كبيراً فكلم النبى ﷺ وسأله أن يشركه معه فى النبوة وهو الذى ادعى النبوة فى حياة رسول الله كما ادعى النبوة الأسود العنسى صاحب صنعاء وصار مسيلمة يتكلم بالهذيان ليضاهى به القرآن ! فمن ذلك أنشأ سجعاً على منوال سورة الكوثر فقال : « انا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر . ان مبغضك رجل فاجر » وقد وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيباً لهم فى اتباعه !

ووفد عليه ﷺ وفد طىء وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل وكان جواداً فارسا حسن الخلق فعرض رسول الله عليه الاسلام فأسلم وأسلم من معه وحسن اسلامهم

ووفد عدى بن حاتم الطائى . كان عدى نصرانياً عظيما فى قومه فأسلم . ومن الوفود وفد عروة المرادى ووفد بنى زُبيد ووفد كندة ، قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله ﷺ جدة منهم وهى أم جده كلاب وفيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً فى قومه فأسلم وارتد بعد النبى ﷺ وعاد الى الاسلام فى خلافة أبى بكر ووفد أزد شنوءة وهم من الأزد وفيهم صرد بن عبد الله الأزدى وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه ووفد الحارث بن كعب ووفد رفاعة بن زيد الخزاعى ووفد همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك ووفد تجيب وهى قبيلة من كندة وجعلوا يسألون رسول الله عن القرآن والسنن ووفد بنى

ثعلبة ووفد بنى سعد هذيم من قضاعة أسلموا وبايعوا رسول الله على الاسلام ورجعوا الى قومهم فرزقهم الله الاسلام ووفد بنى فزارة وفيهم خارجة بن حصن أخو عيينة ابن حصن مقرين بالاسلام ووفد بنى أسد فيهم حضرمى بن عامر فأسلموا وقالوا يارسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وأقاموا أياماً يتعلمون الفرائض ووفد بنى عذرة ، قبيلة باليمن ونهاهم عن سؤال الكهنة والذبائح التى كانوا يذبحونها لأصنامهم . ووفد بلى وهم حى من قضاعة فأسلموا وكان شيخ الوفد أبو الضبيب (١) فقال يارسول الله ان لى رغبة فى الضيافة فهل لى فى ذلك أجر ؟ قال نعم وكل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة . قال يارسول الله فما وقت الضيافة ؟ قال ثلاثة أيام قال فما بعد ذلك ؟ قال صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أى يضيق عليك . ووفد بنى مرة ورأسهم الحارث بن عوف ووفد خولان وهى قبيلة من اليمن وكان لهم صنم يعبدونه اسمه « عم أنس » ولما رجعوا هدموه ووفد بنى محارب وفيهم خزيمة بن سوار وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم الى الله تعالى ووفد صداء وهم حى من عرب اليمن بايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام ثم رجعوا الى قومهم وفشا الاسلام فيهم وكان زياد بن حارث الصدائى مطاعاً فى قومه وقد أمره رسول الله عليهم . ووفد سلامان فيهم خبيب بن عمرو السلامانى فأسلموا وسأل خبيب رسول الله عن أفضل الأعمال . قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر . ووفد بنى عبس ووفد مزينة وهى قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ووفد الأشعريين قوم أبى موسى الأشعرى وهم منسوبون الى أشعر بن أدد فأسلموا وبايعوا وقال فى حقهم رسول الله « أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من فى الأرض » وقال الأشعريون كصرة فيها مسك . ووفد دوس وهم قوم أبى هريرة ينتهى

(١) تصغير الضب الدابة المعروفة

نسبهم الى الأزد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع . ووفد بهراء قبيلة من قضاعة قدموا من اليمن أسلموا وتعلموا الفرائض ثم انصرفوا الى أهليهم باليمن ووفد غامد قبيلة من الازد باليمن سنة عشر . أقروا بالاسلام وكتب لهم رسول الله كتاباً فيه شرائع الاسلام وأمر النبى ﷺ أبى بن كعب أن يعلمهم القرآن ووفد الازد ينسبون الى جدهم الأعلى وهو الأزد بن الغوث وهم الذين قال فى حقهم رسول الله (حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » . ووفد بنى المنتفق وهى قبيلة من عامر بن صعصعة وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال عنهم رسول الله : انهم من أتقى الناس لله فى الدنيا والآخرة . ووفد النخع قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفدهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وعددهم مائتا رجل . قدموا مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل

وفاة رسول الله ﷺ

مرض رسول الله ﷺ فى أواخر صفر سنة تسع هجرية (سنة ٦٣٢م) وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً (وقيل سبعة أيام) وكان فى ابتداء مرضه فى بيت زوجته ميمونة ولما اشتد مرضه استأذن زوجاته أن يمرض فى بيت عائشة فخرج يهادى بين العباس ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب حتى دخل بيت عائشة وأمر أن يهريق عليه الماء فصبوه عليه لما كان يشعر به من الحمى وقال ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم . ولما تعذر عليه الخروج للصلاة، قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت له عائشة يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء . قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فصلى بهم سبع عشرة صلاة أولاها عشاء ليلة الجمعة وآخرها صبح يوم الاثنين

وفى تقديم أبى بكر للصلاة اشارة الى أنه الخليفة بعده . فقالوا ان النبى ﷺ رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ غير أن النبى خرج معصوب الرأس لأنه كان يشكو وجلس فى أسفل مرقاة من المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : (يأيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم، ألا أنى لاحق بربى وانكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول :

﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

« وان الأمور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيراً فانهم الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم . ألم يشاطروكم فى الثمار . ألم يوسعوا لكم فى الديار . ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة . ألا فمن ولى أن تحكم

بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم . ألا ولا تستأثروا عليهم . ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى . ألا فان موعدكم الحوض . ألا فمن أحب أن يرده على غداً فليكفف يده ولسانه »

وهذه آخر خطبة للنبى ﷺ فلم يصعد المنبر بعد ذلك اليوم . وقد أوصى المسلمين بالمحبة والاتحاد وصلة الرحم ، المهاجرين منهم والأنصار وهو فى أشد حالات المرض ونهاهم عن التقاطع

أغمى على رسول الله ورأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها وكانت تدعو له بالشفاء وكان يقول ان للموت لسكرات . وقالت فاطمة لما تغشاه الكرب : وا كرب أبتاه ، فقال : لا كرب على أبيك بعد اليوم

وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم ، لم يفاجئهم الا رسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك (١) فنكص أبو بكر رضى الله عنه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج للصلاة . قال أنس وهمّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ فأشار اليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر . زاد فى رواية فتوفى من يومه . واجتمع حوله أصحابه يبكون . قالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله ﷺ فى بيتى وبين سَحْرى ونحْرى (٢) والمراد أنه توفى وهو فى حجرها وكان أبو بكر رضى الله عنه غائباً فسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضى الله عنها فكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكى ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه ، جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) تبسم يضحك فرحا باجتماعهم على الصلاة واتفاق كلمتهم واقامة شريعته (٢) السحر الصدر والنحر : موضع القلادة من العنق

(ألا من كان يعبد محمداً فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت) وقال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية فنشج [١] الناس يبكون رواه البخارى) فكان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما سمع قول أبى بكر قال فو الله لكأنى لم أتل هذه الآية قط .

ووقوف أبى بكر هذا الموقف يدل على رباطة جأشه عند الكروب وضبط النفس وعلى حكمته وشجاعته. فان رسول الله لما توفى طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى . وكان عمر رضى الله عنه ممن خبل، وكان عثمان رضى الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم، وكان على رضى الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم أبو بكر [٢] قال القرطبي وهذا أول دليل على كمال شجاعة الصديق رضى الله عنه لأن الشجاعة هى ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضى الله عنه

وروى أن بلالا رضى الله عنه كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه فاذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، واختلف فى أى الاثنين كانت وفاته فقال فقهاء الحجاز ان رسول الله قبض يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول، وقال الواقدى توفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ودفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس وذلك يوم الثلاثاء، وكان عمره ثلاثا وستين سنة، ورثته عمته صفية . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . وأبو بكر . وحسان ابن ثابت وغيرهم

---

(١) يقال نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب (٢) راجع المواهب

وغسلوه ﷺ وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص[١] غسله على بن أبى طالب رضى الله عنه والماء من بئر غرس التى بقباء، وكان العباس وابنه الفضل يعينانه فى تقليب جسمه الشريف وكفنوه فى ثلاثة أثواب بيض من القطن ليس فيها قميص ولا عمامة ، ولما فرغوا من جهازه ﷺ وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالا أى جماعات متتابعين يصلون عليه وحفر له ﷺ فى المكان الذى توفى فيه بعد أن رفعوا فراشه الذى توفى عليه . قال أبو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما مات نبىّ قط الا يدفن حيث تقبض روحه) . قال علىّ وأنا أيضاً سمعته . وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الأنصارى رضى الله عنه ، حفر لحداً فى موضع فراشه حيث قبض، ونزل فى قبره عمه العباس وعلى والفضل وقثم بن العباس رضى الله عنهم . ورش قبره ﷺ بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراً وبيضاً ورفع قبره عن الأرض قدر شبر

ولا يفوتنا أن نذكر أن المنافقين أكثروا من التحدث بتأمير أسامة حتى بلغ رسول الله فخرج وهو مريض عاصباً رأسه من الصداع فرد عليهم . ومما قاله فى هذا الشأن « قد بلغنى أن أقواماً يقولون فى امارة أسامة ولعمرى لئن قالوا فى امارته لقد قالوا فى امارة أبيه من قبله وان كان أبوه لخليقاً للامارة وانه لخليق لها فأنفذوا بعث أسامة » وهذا يدل على أن رسول الله كان مهتماً لآخر لحظة من حياته ببعث أسامة وبشئون المسلمين وتوحيد كلمتهم

وقد توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وما ترك ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً . عن عائشة رضي الله عنها « ولقد مات وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد[٢] الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال علىَّ فأكلته ففنى فياليتنى لم آكله . وروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، توفى رسول الله ﷺ ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير وقد ترك رسول الله أرضا جعلها صدقة

---

(١) راجع البيهقى فى دلائل النبوة (٢) انسان أو حيوان

ما نزل من القرآن بالمدينة

نزل على رسول الله بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة . أول ما نزل ويل للمطففين ثم سورة البقرة ثم سورة الأنفـال ثم سورة آل عمران ثم الحشر ثم سورة الأحزاب ثم سورة النور ثم الممتحنة ثم انا فتحنا لك ثم سورة النساء ثم سورة الحج ثم سورة الحديد ثم سورة محمد ثم هل أتى على الانسان ثم سورة الطلاق ثم سورة لم يكن ثم سورة الجمعة ثم تنزيل السجدة ثم المؤمن ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادله ثم الحجرات ثم التحريم . ثم التغابن . ثم الصف . ثم المائدة . ثم براءة . ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم اذا وقعت الواقعة . ثم والعاديات ثم المعوذتان . وكان آخر ما نزل ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ الى آخر السورة وقد قيل ان آخر ما نزل عليه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ وهى الرواية الصحيحة

مراتب الوحى

نذكر فى هذا الفصل مراتب الوحى ثم نرد على المستشرقين الذين زعموا أن رسول الله كانت تعتريه نوبات صرعية إنكاراً لنزول الوحى

ولنبدأ بمراتب الوحى وهى سبعة :

١ ـ الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح

٢ ـ ما كان يلقيه الملك فى قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علماً ضروريا يعلم به أنه وحى لا إلهام

٣ ـ خطاب الملك حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول

٤ ـ كان يأتيه مخاطباً له بصوت مثل صلصلة الجرس وكان هذا النوع أشده عليه وفى حديث لابن عباس : كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة

٥ ـ رؤية جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها فيوحى اليه

٦ ـ ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الأزلى الذى ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة

٧ ـ ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضاً بل بسماع الكلام الأزلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه السلام

هذه هى مراتب الوحى وقد كان رسول الله ﷺ يعانى من الوحى شدة فظن المستشرقون أن هذه الشدة التى كانت ترى عليه انما هى نوبة صرعية، لكن أعراض الصرع المدروسة طبياً تخالف ما كان يشاهد عليه ﷺ عند نزول الوحى

فالمصروع تعتريه النوبة فجأة فيقطع كلامه ويسقط من يده ما قد يكون قابضاً عليه وتثبت حدقة عينه ويصفر وجهه وقد يصيح صيحة عالية ويقع مغشياً عليه كمن أطلق عليه عيار نارى ولا يبذل أى مجهود للخلاص من حالته ، ولهذا كثيراً ما يصاب بجروح وقد يصاب بحروق خطرة اذا سقط بالقرب من نار وتتقلص

عضلات الوجه فى النوبة الصرعيـة ومنها عضلات الفك . فيعض المصروع لسانه ويمتزج لعابه بالدم ويسيل من فمه واذا ترك وشأنه نام ساعات فاذا أفاق شكا صداعا وارتباكاً فى العقـل . ثم ان الجروح التى تصيب رأس المصروع من السقوط فجأة تسبب له تهيجاً فى الدماغ

هذه هى أعراض الصرع الطبية . فكيف يقال ان رسول الله كانت تعتريه نوبات صرعية ولم يرو لنا أنه سقط مغشياً عليـه أو أصيب بجروح فى رأسه أو عض لسانه أو شفتيه أو سال الدم منه أو أصيب بحروق أو فقد ذاكرته أو حاد عن مبدئه بل لم يقل أحد أنه صاح صياحاً عاليـا . أليس فى مخالفة حالاته للأعراض الصرعية التى يعرفها كل طبيب رد كاف على هؤلاء المستشرقين ؟

زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم

تزوج رسول الله خمس عشرة امرأة ، دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين احدى عشرة ، وتوفى عن تسع . أولاهن (خديجة) بنت خويلد ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

ثم تزوج (سودة) بنت زمعة وكانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو وهو من مهاجرة الحبشة ثم قدما مكة فمات بها ولم يعقب فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعده فى رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة . توفيت فى شوال سنة ٥٤ هـ فى خلافة معاوية بالمدينة

ثم تزوج (عائشة) بنت أبى بكر سنة اثنتين ولم يتزوج بكراً غيرها . عقد عليها بمكة وهى ابنة ست سنين وبنى عليها بالمدينة وهى ابنة تسع وتزوج (حفصة) بنت عمر بن الخطاب وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمى وكان رسول الله أرسله الى كسرى ولما مات خنيس بن حذافة وتأيمت حفصة ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه فلم يرد عليه أبو بكر كلمة فغضب عمر من ذلك فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله فقال عثمان ما أريد أن أتزوج اليوم فانطلق عمر الى رسول الله فشكا اليه عثمان فقال رسول الله يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة ثم خطبها الى عمر فتزوجها رسول الله بعد غزوة أحد سنة ثلاث وكان سنها عشرين سنة وتوفيت سنة ٤٥ فى خلافة مروان بن الحكم وكان عمرها ستين سنة ثم تزوج (زينب) بنت خزيمة بن الحارث سنة ثلاث . يقال لها أم المساكين لكثرة اطعامها المساكين وصدقتها عليهم وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ولم تلبث عند رسول الله الا يسيراً : شهرين أو ثلاثة حتى توفيت فى حياته

ثم تزوج (زينب) بنت جحش وهى بنت عمته صلى الله عليه وسلم سنة خمس وهى أول من مات من أزواجه فى خلافة عمر وتكنى أم الحكم وكانت قديمة الاسلام وكانت قد تزوجها زيد ابن حارثة مولى رسول الله ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله وكان اسمها برة فسماها زينب وبسببها نزل الحجاب

ثم تزوج (أم حبيبة) واسمها « رملة » بنت أبي سفيان صخر بن حرب وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان . أسلمت قديما بمكة وهاجرت الى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ومات بها وأبت هى أن تتنصر وثبتت على اسلامها فتزوجها رسول الله وهى بالحبشة سنـة ست . روى مسلم ابن الحجاج فى صحيحه ان أبا سفيان طلب من النبى ﷺ أن يتزوجها فأجابه الى ذلك وهذا مما يعد من أوهام مسلم لان رسول الله قد تزوجها وهى بالحبشة قبل اسلام أبى سفيان ولم يختلف اهل السير فى ذلك[1] واصدقها النجاشى اربعمائة دينار وكان وليها عثمان بن عفان

ثم تزوج (أم سلمة) بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومى واسمها هند سنة أربع وكانت قبل النبى ﷺ عند أبى سلمة بن عبـد الاسد المخزومى فولدت له سلمة وعمر ودرة وزينب وتوفى فخلفه عليها رسـول الله بعده . وكانت من المهاجرات الى الحبشة والى المدينة وكان سنها حين تزوجها رسول الله ثلاثين سنة . وتزوج (ميمونة) بنت الحارث وهى خالة خالد بن الوليد وكانت قبل رسول الله عند أبى رهم العامرى . تزوجها رسول الله سنة سبع فى عمرة القضاء فى ذى القعدة

وتزوج (صفية) بنت حيي بن أخطب سنة سبع ولم تبلغ ١٧ سنة وكانت زوج سلام بن مشكم اليهودى ثم خلفه عليها كنانة بن أبى الحقيق وهما شاعران فقتل عنها كنانة يوم خيبر ثم تزوجها رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ٥٢ هـ

وتزوج (جويرية) بنت الحارث بن أبى ضرار سنة خمس سباها رسول الله يوم المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق . ذى الشفرين عن عائشة قالت لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أولاد بن عم له فكاتبته على نفسها الخ . . .

---

(١) راجع الجزء الخامس من أسد الغابة « رملة » وتهذيب الأسماء للنووى « أم حبيبة »

ولما بلغ الناس أنه تزوجها قالوا أصهار رسول الله فأطلقوا جميع الأسرى الذين بأيديهم

وتزوج (خولة) بنت حكيم وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ

وتزوج امرأة يقال لها (عمرة) فطلقها ولم يبن بها وذلك ان أباها قال له وأزيدك أنها لم تمرض قط ، فقال ما لهذه عند الله من خير فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها (أميمة) بنت النعمان فطلقها قبل أن يطأها . وخطب امرأة من بنى مرة ابن عوف فردها أبوها وقال ان بها برصاً فلما رجع اليها وجدها برصاء

تعدد زوجات رسول الله

اعترض بعض الذين كتبوا سيرة الرسول من المسيحيين على كثرة أزواجه ﷺ وزعموا أنه كان شهوانياً . والحقيقة أن كثرة أزواجه لم تكن بدافع شهوانى فانه أراد بذلك أن يوجد بينه وبين أصحابه وكبار قومه صلة قوية ورابطة متينة بواسطة المصاهرة لأن ذلك مما يساعده ويشد أزره للدفاع عن مبدئه السامى ونشر الدعوة الى الاسلام

أما انه لم يكن شهوانياً فأمر لا ينكر ، وظاهر من حياته وأطواره لأنه ﷺ تزوج خديجة وكانت فى الأربعين من عمرها وهو فى عنفوان شبابه فى سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج غيرها الى أن توفيت وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة فاذا لم يكن الى هذا العمر رجل شهوة بل كان رجلا قانعا بزوجة واحدة فهل من العدل أن نقول انه كان شهوانيا بعد ذلك ؟

لم يكن رسول الله يعرف الفراغ بل كان فى جهاد مستمر فلم يذق للراحة طعماً من مبدأ الرسالة الى أن مات فكان يقضى أوقاته فى نشر الدعوة ومحاربة الوثنية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدفاع عن المسلمين وجمع شملهم وتعليمهم أمور دينهم وتثبيت دعائم المدنية الصحيحة الخالية من الشوائب ومكافحة الأعداء باللسان والسيف. وكان مع ذلك يتعبد آناء الليل وأطراف النهار ، وعلى العموم فقد تحمل من الأعباء ماتنوء به الجبال ولم تشغله كثرة نسائه عن عبادة ربه وعن القيام بواجبات الرسالة

وأما انه كان يقصد من تعدد زوجاته ايجاد روابط المصاهرة وتأليف القلوب لنشر الدعوة فهذا واضح أيضاً فان زوجته (عائشة) هى بنت أبى بكر الصديق (وحفصة) بنت عمر بن الخطاب وقد كان عرضها عمر بعد موت زوجها على أبى بكر وعثمان فأبيا زواجها فتزوجها رسول الله (وأم حبيبة) هى بنت أبى سفيان وقد كان من أكبر أعداء رسول الله ومن أشراف قريش ، وعدا ذلك قد كانت أم حبيبة كما تقدم أسلمت قديماً وهاجرت الى الحبشة وتنصر زوجها هنالك وأبت أن تتنصر معه فأكرمها النبى ﷺ بزواجها . وزوجته (ميمونة) هى خالة خالد بن الوليد الذى

صار من أعظم أبطال المسلمين وقوادهم الذين اكتسبوا شهرة خالدة . وأما زوجته « صفية بنت حيي » فانما تزوجها لأنها بنت ملك من ملوك اليهود فلا تصلح الا له صلى الله عليه وسلم وقد تنافس المسلمون فيها لما وقعت فى نصيب دحية بن خليفة الكلبى

وقد كان رسول الله قوياً صحيح الجسم كما انه كان ذا ارادة تفل الحديد ، وكان بشراً يأكل ويشرب ويشتهى ، وقد عصمه الله تعالى عن الذنوب وتزوج (زينب بنت جحش) وكانت عندمولاه زيد بن ثابت وطلقها زيد بعدأن كرهها، وتزوجها رسول الله لابطال عادة التبنى ونسخ تحريم الزواج بامرأة المتبنى . هذا ملخص العلة فى تعدد زوجاته بعد أن بلغ من العمر الخمسين وبعد أن انقضى زمن شبابه : زمن حدة الشهوة

على أن عقلاء الافرنج أدركوا حقيقة هذه المسألة فردوا على ما افتراه بعضهم من قصار النظر . فقال الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل :

« وما كان محمد أخا شهوات برغم مااتهم به ظلما وعدواناً وشد مانجور ونخطئ إذا حسبناه رجلا شهوياً لاهم له الا قضاء مآربه من الملاذ . كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار.

وانهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - انه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده . فهل بعد ذلك مكرمة ومعجزة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله قائم النهار ساهر الليل ، دائباً فى نشر دين الله الخ »

هذا وقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية ، وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزواج أورياء مائة

المرأة فى الاسلام

لم يكن للمرأة فى الجاهلية أى شأن ، فلم يكن لها حق الميراث كالأطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة

وأمر الله تعالى بمعاشرة النساء بالمعروف حيث قال (وعاشروهن بالمعروف)

وأمر النســاء بالخضوع للرجال قال تعالى (الرجال قوامون على النســاء) وحث رسول الله على معاملتهن باللين والرفق فأوصى بهن الأزواج حيث قال « استــوصوا بالنساء خيراً » وشرط الاسلام رضا المرأة قبل الزواج ومنع أخذ الزوجة بغير رضاها وجاء فى الحديث « الجنة تحت أقدام الأمهات » وللنساء فى الميراث نصف ما للرجال، وحرم القرآن وأد البنات ، ومنع الاسلام الزواج المؤقت (زواج المتعــة) وحرم الزنا ولم يبح تعدد الزوجات الا عند توفر العدل « فان خفتم ألا تعدلوا فواحــدة » وأباح الطلاق وصرح النبى أن أبغض الحلال عند الله الطلاق، وتعدد الزوجات بلا شك خير من الزنا المستور وهو يمنع العهارة وعزوبة النساء المنتشرة فى هذه الأيام بكثرة

حكمة تعدد الزوجات

ان الدين الاسلامى لما كان ديناً عاماً فقد أباح تعــدد الزوجات قال تعالى : (فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) وذلك لضرورات اجتماعية وشخصية :

فأما الضرورات الاجتماعيــة ، فهو نقص عدد الرجال عن النساء بسبب قتــل الرجال فى ميادين الحرب . هذا ولم يستطع رؤساء الحــكومات ولا علمــاء الاجتماع ولا المصلحون ولا المؤتمرات الدولية منع الحروب . فقد نشبت الحرب العالمية وذهب ضحيتها الملايين من النفوس البشرية وها هى الأمم تستعد الآن للحرب أخذاً بالثأر وطمعاً فى التوسع والاستعمار ، وتنشئ الطيارات والأساطيل والمدافع وقدفشل مؤتمر نزع السلاح فى مهمته

ولا تزال القبائل فى افريقية وأمريكا وآسيا تشن الغارات ويقتل عــدد كبير من رجالها ونتيجة هذه الحروب والغــارات نقص عدد الرجال عن النساء نقصا يقــدر بحسب فظاعتها

ونقص الرجال عن النساء — خصوصاً اذا كان النقص عظيما — ضار بالأمة من جملة وجوه منها نقص الثروة لقلة الأيدى العاملة، وضعف قوتها من الوجهة الحربية، وتعرضها لغارات المغيرين ومطامع الطامعين من الأمم القوية فلا يعيد مثل هذه الأمة التى أصيبت بنقص رجالها الى قوتها و كثرة مواليدها الا تعدد الزوجات

وقد كتب العالم الانجليزى هربرت سبنسر فى كتاب أصول علم الاجتماع :

« اذا طرأ على الأمة حال اجتاحت رجالها بالحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج من ذلك نقص فى عدد المواليد لا محالة ولا يكون عددهم مساوياً لعدد الوفيات فاذا تقابلت أمتان مع فرض انهما متساويتان فى جميع الوسائل المعيشية وكانت احداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد فلا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التى يستولد رجالها جميع نسائها وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمم المعددة للزوجات »

ثم ان زيادة عدد النساء بلا أزواج مدعاة لانتشار الفسق والفجور والفاقة، ولا شك ان اباحة تعدد الزوجات للقادرين عليه علاج لكل ما تقدم

فأما الضرورات الشخصية ، فمعلوم أن الزنا محرم شرعا فلو أن الاسلام حرم التعدد لضاقت السبل أمام المتدين الذى يعبد الله ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه لأن هناك ظروفا شتى قاهرة تضطر الانسان الى الزواج بغير امرأة واحدة نذكر منها :

١ — مرض الزوجة مرضاً مزمناً يجعل الزوج ينفر منها بحيث يجعلها غير صالحة للملامسة والتمتع وليس لها من يعولها اذا طلقها ولا تستطيع الكسب ولا يمكن أن تتزوج بغيره فليس من المروءة والانسانية طلاقها وليس من الحكمة منعه من التزوج لئلا يتعطل نسله أو تميل به الشهوات الطبيعية الى الزنا [١]، وقد حدث مثل ذلك بالضبط لأحد الصالحين وكان قاضياً بالمحاكم الأهلية رحمه الله تعالى فانه بعد أن تزوج بمدة يسيرة

---

(١) كتاب المختارات الفتحية فى التشريع وأصول الفقه للاستاذ أحمد أبى الفتح بك الطبعة الرابعة صفحة ٢٠

أصيبت زوجته بالشلل فكانت حالتها منفرة ولا تستطيع الحركة ولا تناول الطعام بنفسها وليس لها من يعولها اذا طلقها بل يستحيل عليه ذلك لما جبل عليه من المروءة رالشفقة . ولما كان متمسكا بدينه تزوج غيرها بعد أن قرر الأطباء عدم شفائها وخصص لها خادمة وكان يخدمها بنفسه وقد طال مرضها وبقيت على هذه الحال الى أن توفيت

٢ ـ امتناع الرجل عن الاتصال بزوجته مدة الوضع والنفاس وما ينالها بسبب ذلك من الآلام والضعف

٣ ـ جاذبية المرأة وجمالها وتأثيرها فى الرجل مع قدرته على التعدد

٤ ـ بلوغ الزوجة سن الشيخوخة

٥ ـ عقم المرأة مع رغبة الرجل فى الذرية

٦ ـ الرغبة فى كثرة النسل رغبة فى النفوذ والجاه

٧ ـ الأسباب الاقتصادية فان النساء والأولاد يساعدون الرجل فى الزراعة وهذا مشاهد فى البلاد الزراعية كالقطر المصرى ، وقد يضطر الرجل أن يتزوج امرأة غنية بسبب سوء حالته المالية

وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب ولم يكن فى الجاهلية قانون يحدد عدد الزوجات، وقد أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله ﷺ «أمسك أربعاً وفارق باقيهن »

قال الأستاذ جوستاف لوبون :

« ان تعدد الزوجات على مثال ماشرعه الاسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به وأوثقها للاسرة عقداً وأشدها لآصرتها أزراً وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأناً وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية »

وقال « ولست أدرى على أى قاعدة يبنى الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام ـ نظام تعدد الزوجات ـ عن نظام التفرد عند الأوربيين المشوب بالكذب والنفاق؟!

على حين أرى هنالك أسباباً تحملنى على ايثار نظام التعدد على ماسواه . وليس عجيباً بعد ذلك أن نرى الشرقيين الذين ينتجعون الينا ويتنقلون بين مدائننا يحارون من قسوتنا فى الحكم على نظام تعدد الزوجات فيهم (١)

وقد حبذ شوبنهور الفليسوف الألمانى تعدد الزوجات فقال :

« أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره ؟ »

قال ذلك بعد أن شرح مضار الاقتصار على زوجة واحدة فما قال « فى مدينة لندرة وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل »

وقال : « اذا رجعنا الى أصول الأشياء وحقيقتها لا نجد سبباً يمنع الرجل من التزوج بثانية اذا أصيبت امرأته بمرض مزمن تألم منه أو كانت عقيما أو أصبحت على توالى السنين عجوزاً »

ان الرجل المتزوج فى الأمم المسيحية التى لا تبيح تعدد الزوجات ، لايقتصر فى الحقيقة على امرأة واحدة بل نراه يتخذ كثيراً من الخليلات ويبيح لنفسه التمتع بمن أحب منهن . فاذا أبدى رأيه أو كتب فى موضوع الزواج طعن على تعدد الزوجات ورمى المسلمين بالهمجية والتعدى على حقوق الزوجة وزعم انهم شهوانيون . ولذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد « الزوجة » بين الأوربيين انه : مشوب بالكذب والنفاق ... وصرح بذلك أيضا شوبنهور فقال :

« أين لنا بمن يقتصر حقيقة على زوجة واحدة ، بل لا ننكر اننا فى بعض أيامنا أو فى معظمها كلنا أو جلنا نتخذ كثيراً من النساء »

على أن الشريعة الاسلامية كما هو واضح من نص القرآن الكريم لم تبح تعدد الزوجات بلا قيد ولا شرط بل اشترطت العدل قال تعالى :

---

(١) راجع الجزء الثانى من كتاب المرأة العربية فى جاهليتها واسلامها تأليف الأستاذ عبد الله عفيفي ص ٦٩ و ٧١

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) والمعنى فان خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فاكتفوا بزوجة واحـدة (ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) والمعنى ذلك أقرب من ألا تعولوا أى لا تجوروا ولا تميلوا

والذى يؤخذ من مجموع نصوص القرآن والسنة أن الزوج يعتبر آثما اذا تزوج على امرأته لمجرد الاضرار بها[1] قال تعالى (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ)

---

(١) المختارات الفتحية ص ٢٠

بنوه وبناته ﷺ

ولدت خديجة لرسول الله ﷺ ولده كلهم الا ابراهيم الذى ولد بالمدينة فانه من مارية القبطية من قرية حفن من كورة أنصناء وقد أهداها المقوقس عظيم القبط الى النبى ﷺ وأهدى معها أختها سيرين وهى التى وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت

وأكبر بنيه القاسم وبه يكنى ولد قبل النبوة بمكة وتوفى وهو ابن سنتين وهو أول من مات من ولده

ثم ولد له زينب . ثم رقية . ثم فاطمة . ثم أم كلثوم ثم ولد له فى الاسلام عبد الله (وهو الطيب والطاهر) وهؤلاء كلهم من خديجة ومات بعد القاسم عبد الله فقال العاص بن وائل السهمى « قد انقطع ولده فهو أبتر » فأنزل الله تعالى (ان شانئك هو الأبتر) وعبد الله هو آخر الأولاد من خديجة

أما ابراهيم فولد له سنة ثمان ومات وهو ابن ستة عشر شهراً وقيل ثمانية عشر فى سنة عشر من الهجرة

أما بناته فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ

وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع بن العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها . توفيت زينب سنة ثمان من الهجرة . ولدت لأبى العاص علياً وأمامة وفاطمة تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه . ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان . وتوفيتا عنده ولهذا سمى ذا النورين . توفيت رقية يوم بدر فى رمضان سنة اثنتين من الهجرة وتوفيت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة . فالبنات أربع والبنون ثلاثة

صفته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أبيض مشربا بحمرة واسع الجبين . عظيم الرأس من غير افراط حسن الجسم . عظيم الجبهة دقيق الحاجبين مقرونهما كانت الفرجة التى بين حاجبيه يسيرة لاتبين الالمن دقق النظر . أهدب الأشفار . أدعج العينين (١) أقنى الأنف (٢) واضح الخدين ليس فيهما نتوء ولاارتفاع . كث اللحية (كثير شعرها) أسودها عرقه فى وجهه . واسع الفم من غير افراط ، والعرب تمدح به لدلالة السعة على الفصاحة، مفلّج الثنايا « متفرقها » قوى الأسنان ضخم الكراديس « رءوس العظام » غليظ الكتفين واسعهما ناعمهما بين كتفيه خاتم النبوة وخاتمه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة . غليظ الأصابع من غير قصر ولا خشونة واسع الصدر . غليظ القدمين . سبابة قدمه أطول من الوسطى . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر . لم يكن بالطويل ولا القصير وهو الى الطول أقرب . شديد سواد الشعر . شعره وسط بين الجعودة والسبوطة . نقى الثوب لين الكلام . حسن الصوت قويه . لايقول هُجرا . ولاينطق هذرا . يخاطب كل انسان على قدر عقله . يكلم كل قبيلة بما تعرفه . واسع الاطلاع بلغات العرب اذا فرح غض طرفه . مارؤى ضاحكا انما كان يتبسم وكان الضحك منه نادرا ولم يقهقه . ماتثاءب قط . وما احتلم قط . ليس بمسترخى البدن . سهل الخلق . لين الجانب . ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح . وكان يمزح ولا يقول الا حقا . يقابل السيئة بالحسنة . يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه . لايتكلم الا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق والمسألة . لايقطع على أحد حديثه . ولا يتكلم فى غير حاجة . وكان كلامه يحفظه عنه كل من سمع . يعظم النعمة

---

(١) وقد جاء أشكل العينين أى فى بياض عينيه حمرة وكانت فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، وعن أبى هريرة أكحل العينين والكحل سواد هدب العينين خلقة

(٢) القنا فى الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه

وان دقت . لايغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض للحق يشيء . ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم فان كان غائباً دعا له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضاً عاده . واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس . من جالسه أونادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . من سأله حاجة لم يرده الا بها . عنده الناس فى الحق سواء . مجلسه مجلس حلم وحياء . لاترفع فيه الأصوات ولا يتنازعون عنده الحديث . اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير . وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وكان أشد الناس خشية وخوفاً من الله . ماضرب بيده الشريفة امرأة ولا خادماً من أهله . حلمه يسبق غضبه ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما . أسخى الناس كفا وأشدهم حياء، يحب الفأل الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن . يشاور أصحابه فى الأمر وكان اذا كره شيئا عرف فى وجهه ولم يشافه أحداً بمكروه . يمازح صبيان أصحابه ويجلسهم فى حجره ويقعدون فى صدره الشريف فيقبلهم ويلتزمهم . يشهد الجنائز ويقبل عذر المعتذر . ما وضع أحد فمه فى أذنه الا استمر صاغياً له حتى يفرغ من حديثه ويذهب . يمشى مع الأرملة والمسكين والضعيف فى حوائجهم، وما صافح أحداً بيده فيرسل يده صلى الله عليه وسلم منه حتى يكون الآخر هو الذى يرسلها . يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه كان يجلس على الأرض والحصير والبساط . يكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه ان أبى . ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ، ولا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حالته فاذا فرغ عاد الى صلاته . كان يركب الحمار وربما ركبه عريانا ويردف خلفه، وكان يجلس على الأرض ويحب السواك ويكتحل بالاثمد عند النوم ثلاثا فى كل عين ، وحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم وقال : اللهم اجعله حجاً مبرورا لارياء فيه ولا سمعة . وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان ، يحلب شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويقم البيت ما يرى فارغا قط فى بيته، ويأكل مع الخادم ويطحن معه ويحمل بضاعته

من السوق، ويحب الطيب ويأمر به، ويأمر أصحابه بالمشى أمامه. توفى ودرعه مرهونة عند يهودى على نفقة عياله . ماشبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز البر حتى فارق الدنيا . وما أكل خبزاً منخولا وكان يبيت الليالى المتتابعة طاوياً . وما أكل على خوان قط انما كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض . لايجمع فى بطنه بين طعامين . ان أكل لحما لم يزد عليه وان أكل تمراً لم يزد عليه وان أكل خبزاً لم يزد عليه ، وكان يصلى على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت فى جسده الشريف ، وكان ينام على شئ من أدم محشو ليفاً

وكان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى ان كلامه يأخذ بالقلوب ويسبى الأرواح . وكان اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ، ليس بهذر مسرع لايحفظ ولا متقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام . لم يكن بكاؤه بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ، وكان يبكى أحيانا فى صلاة الليل

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض وعلى المنبر والبعير وعلى الناقة. وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش، وكان لايخطب خطبة الا افتتحها بحمد الله وكان اذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس ثم قال السلام عليكم ويختم خطبته بالاستغفار،وكان كثيراً مايخطب بالقرآن واذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وكان أحياناً يتوكأ على قوس ولم يحفظ عنه أنه توكأ على سيف

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يفجأ أهله عند دخوله الى المنزل بغتة يتخونهم ولكن كان يدخل على أهله على علم منهم بدخوله وكان يسلم عليهم وكان اذا دخل بدأ بالسؤال أو سأل عنهم وربما قال هل عندكم من غداء وربما سكت حتى يحضر بين يديه ماتيسر، وكان اذا دخل على أهله بالليل يسلم تسليما لا يوقظ النائم ويسمع اليقظان . واذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم . لم يكن يرد السلام بيده ولا رأسه ولا أصبعه

وكان ﷺ اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه . وكان أكثر دعائه « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » وكان اذا أصابه غم أو كرب يقول « حسبى الرب من العباد . حسبى الخالق من المخلوقين . حسبى الرازق من المرزوقين. حسبى الذى هو حسبى . حسبى الله ونعم الوكيل . حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » واذا اجتهد فى الدعاء قال « ياحىُّ ياقيوم » واذا أراد أمراً قال « اللهم خِر لى واختر لى » واذا جاءه أمر يسر به خر ساجداً شكراً لله عز وجل

واذا عزّى قال « يرحمه الله ويؤجركم » واذا هنّأ قال « بارك الله لكم وبارك الله عليكم » واذا أراد سفراً قال « اللهم بك أحول وبك أصول وبك أسير » واذا سمع المؤذن قال مثل ما يقول حتى اذا بلغ ــ حىَّ على الصلاة حىَّ على الفلاح ــ قال « لاحول ولا قوة الا بالله »

الشمائل المحمدية

عاش رسول الله ﷺ ثلاثة وستين عاماً وبدأ دعوته بعد سن الأربعين أى انه ظل يكافح ويجاهد ثلاثاً وعشرين سنة فى القضاء على الوثنية ونشر تعاليم الاسلام والحضارة المؤسسة على التوحيد والفضيلة . فكانت ساعات عمره شهوراً وشهوره أعواماً وأعوامه أجيالا . كان يجاهد بلسانه وسيفه ويعلم أصحابه وأتباعه أمور الدين ويؤدبهم ويهذبهم بالفعال والأقوال والاقتداء بسيرته النقية الطاهرة ويرشدهم الى صلاح الدنيا والآخرة ويحذرهم ارتكاب المعاصى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وينطق فى أحاديثه بالحكم وجوامع الكلم التى لم يسبق اليها أحد من البشر ويقود أصحابه الى ساحات الوغى وينظم الجيوش ويصدر الأوامر للقواد ويحثهم على الجهاد والصبر ويدبر لهم الخطط الحربية ويحكم بين الناس بالعدل . فكان معلماً ومربياً ومؤدباً وواعظاً ومرشداً وبشيراً ونذيراً وخطيباً واماماً وأباً باراً وأخاً صادقاً وقائداً ومشرعاً وقاضياً . واذا دخل منزله علم نساءه وأحسن عشرتهن ووفق بينهن، ثم اذا خلا الى نفسه انقطع الى عبادة ربه والتضرع اليه حتى لا يطيق أحد أن يجاريه فى صلواته ودعواته مهما اجتهد . وانا نرى أعظم الناس قوة واقتداراً اذا انصرف الى أمور الدنيا أو النظر فى الشئون العامة ، فرّط فى العبادة أو لم يستطع أداءها على الوجه الأكمل . ومن انصرف الى العبادة ، أهمل النظر فى شئون أهله وعشيرته ولفظ الدنيا . أما رسول الله ﷺ فقد جمع بين الدين والدنيا وفاز بالسعادتين بدرجة فاقت القوة البشرية لذلك تم على يديه فى تلك السنوات القليلة ما عجزت عنه الأمم بأسرها فى قرون

ان من يطالع سيرة رسول الله بامعان ويفكر فى أخلاقه وفى تلك الشخصية العظيمة ويتصور كيف أنه كان متصفاً بمجموع تلك الأخلاق السامية ليعترف بأنه عليه السلام سيد الخلق حقيقة

كانت أخلاقه عليه السلام غير متكلفة لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلا بل يرجع الى الطبع وهذا ما أكسبها عظمة وجلالا

قالوا ان الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بهـا الاتيان بالأفعال الجميلة . والاتيان بالأفعال الجميلة شيء وسهولة الاتيان بها شيء آخر . فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة هى الخلق

فلم يك رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلف شيئاً من الفضائل أصلا . ثم ان اجتماع الفضائل فى شخص واحد مع عدم التكلف أمر خارق للعادة لأن الانسان مخلوقة فيه شهوات لا يمكن أن يردها الى حد الاعتدال من غير افراط أو تفريط الا اذا عوّد نفسه سنين عديدة واجتهد وقد لا يستطيع

والعاقل اذا شعر بنقيصة فيه وأراد محاربتها ومحوها بالتعود وقوة الارادة كان لا بد من مرور زمن طويل حتى تزول وتنمحى وهو فى أثناء محاربتها عرضة لأن تظهر عليه تلك النقيصة أو آثارها من حين لآخر وبالرغم منه وعند ذلك يلاحظها الناس فيه فان كان رجلا عظيما أثبتوها عليه فى تاريخ حياته فيقولون مثلا كان بخيلا ثم اعتاد السخاء أو جبانا فتشجع بمعاشرة الشجعان والاقتداء بهم الخ

ولم نر انساناً له نقيصة واحدة فقط مع كثرة تجاربنا ومعاشرتنا الناس . نعم قد يتوهم كل انسان أنه كامل لا عيب فيه ولا نقص ، لأن العين لا ترى نفسها الا بطريق المرآة ومرآة الانسان أصدقاؤه وخلانه ومعاشروه . ثم ان اعتقاد المرء بكماله وتنزهه عن القبائح والرذائل يمنعه من الاطلاع على عيوبه وهفواته وسقطاته وان كانت كثيرة ولو أنه سمع رأى الناس فيه وان كانوا أقل منه منزلة لتبين له كثير من المساوئ التى كانت خافية عليه بسبب اعتقاده الكمال فى نفسه

نقول ذلك اذ قد يعترض علينا أحد فيقول انك تزعم أنك لم تر انساناً له نقيصة واحدة فقط مع أنى لا أذكر لنفسى عيوبا تؤخذ عليّ وكل الناس يمدحوننى ويوقروننى فهذا القول انما هو ادعاء رجل محجوب أعمى . فالأولى أن يسأل عن عيوبه حتى يهتدى اليها فيصلحها . قال أبو بكر الصديق وهو ممن لا يخفى على أحد علمه وفضله

وصدقه واخلاصه وتقواه : «رحم الله امرأ أهدى الىَّ عيوبى» . والناس الآن قد بلغ بهم الغرور والـكبر والزهو ما جرأهم على القول بتنزههم عن المعايب . لذلك حرموا من اصلاح أنفسهم

الخلو من المعايب واجتماع الفضائل فى شخص فرد من المستحيلات الا اذا خُلق الانسان معتدل المزاج ، معتدل الشهوات ، صحيح الجسم صحيح العقل ، قوى الأعصاب من نسل سليم . ليس له وراثة مرضية ، خالياً من مطامع المادة . ومثل هذا الشخص لم يوجد .

أما اعتقاد الانسان الـكمال فى نفسه فهذا من حبه لذاته ومن أحب ذاته أحب كمال ذاته وأحب أن يوصف بصفات الـكمال . وهذه غريزة تظهر حتى فى الأطفال . فانك اذا مدحت طفلا صغيراً بمـا يفهم ظهرت على ملامحه سيماء السرور . فان كان قبيح المنظر ووصفته بالجمال أمَّـن على كلامك وابتسم

وقد سأل شاعر عن رجل خال من كل عيب لأنه لم يجد انساناً كاملا فقال :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فسمع هاتفاً يقول :

محمد الهـادى الذى عليـه جبريل هبط

وقال حسان بن ثابت يصف رسول الله ﷺ بقوله :

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فالذى خلق مبرأ من كل عيب انما هو رسول الله كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه . أما أولو الفضل من الناس فـكفى أن تعد معايبهم على حد قول الشاعر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبـلا أن تعد معايبه

اجتمعت الفضائل فى رسول الله ﷺ وتنزه عن المعايب لأن الله سبحانه وتعالى اصطفاه من بين خلقه لتبليغ رسالته وطهره من الأرجاس وحفظه من كل سوء وعلمه وهذبه وأدبه ليكون قدوة يقتدى الناس به فى دينهم ودنياهم . قال عليه الصلاة والسلام

(أدبنى ربى فأحسن تأديبى) فأين نحن ممن أدبه ربه فأحسن تأديبه !! ثم أثنى عليه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

قال رسول الله (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وبديهى أن الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق لابد أن يكون أتم الناس خلقاً فان من كان به نقص أوعيب لم يصلح للقيام بمهمة اتمام مكارم الاخلاق

عن قتادة . سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت « كان خلقه القرآن » يعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام بأوامره وزواجره

لقد جمعت عائشة رضى الله عنها أخلاق رسول الله فى هذه الجملة الوجيزة ، لأنها لو أرادت أن تذكر أخلاقه وصفاته بالتفصيل لما استطاعت . فأحالت السائل الى القرآن ومافيه من آداب وخلق وفضل ومعاملات الخ

وقال تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ وقال ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾

وقد ذكرت فى القرآن الكريم أسماؤه ﷺ وكلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال . فمنها « محمد » وهو أشهرها وهو اسم مفعول من حمد فهو محمد اذا كان كثير الخصال التى يحمد عليها . وأحمد مشتق من الحمد أيضا . ومعناه أحمد الحامدين لربه . وقال بعضهم أحق الناس وأولاهم بأن يحمد فيكون كمحمد فى المعنى وهذان الاسمان اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التى لاجلها استحق أن يسمى محمداً ﷺ . وأحمد هو الذى يحمده أهل السماء وأهل الأرض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التى تفوق عد العادين واحصاء المحصين

ومن أسمائه البشير فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب . والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب . وقد ثبت عنه فى الصحيح « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وسماه الله سراجاً منيراً . وسمى الشمس سراجاً وهّاجاً . والمنير هو الذى ينير من غير احراق بخلاف

الوهَّاج فان فيه نوع احراق

قال أنس رضى الله عنه : كان ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان عليه الصلاة والسلام أرجح الناس حلماً . وقال أيضاً خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط . وما قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته

هذا ما قاله أنس رضى الله عنه خادم رسول الله . فهل يستطيع انسان عنده خادم أن يعامله بمثل هـذه المعاملة ؟ من ذا الذى لايقول لخادمه أف وهى أقل ما يعبر عن الاستياء وعدم الرضا والسخط ؟ ومن ذا الذى لا يعارض ولا ينهر ولا يشتم الخادم ؟ وهؤلاء الادباء والعلماء والفلاسفة والامراء والوجهاء . نراهم يسيئون معاملة خادمهم بل معاملة أصدقائهم وأقاربهم . اذن هذه صفة كمال لا يمكننا بلوغها

وروى أنه لما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أُحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم . فقال : « انى لم اُبعث لعَّاناً ولـكنى بعثت داعياً ورحمة . اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » فبدلا من أن يدعو عليهم لاعتدائهم عليه ، دعا لهم بالهداية . وهذا منتهى الحكمة وحسن الخلق

والذى نعلمه من خلق الناس حتى أكابر القوم أن الواحد منهم لا يتحمل أن يوجه اليـه أحد كلمة تجرح احساسه ولو عفواً ، بل يغضب ويحقد وينتقم ويدبر الحيل للـكيد وينتهز الفرص للايقاع به . فأين هذا الخلق ممن كسرت رباعيته فقابل الاساءة بالاحسان !

وقد عفا رسول الله ﷺ عمن شهر السيف عليه يريد قتله ، وعن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها ولم يؤاخذ اليهودى الذى سحره . كل ذلك وهو قادر على توقيع أقسى العقوبة عليهم. فهل بعد ذلك حلم وعفو ؟ انه ﷺ ما كان يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا عرض للحق فى شىء

وكان ﷺ أسخى الناس كفاً . ما سئل شيئا فقال لا . وعن صفوان بن أمية قال : أعطانى رسول الله ﷺ يوم حنين وانه لأبغض الناس الىّ فمـا زال يعطينى حتى انه لأحب الناس الىّ . ولما رأى صفوان كثرة ما أعطاه رسول الله ، قال : والله

ما طابت بهذا الا نفس نبى فأسلم . وكان الذى أعطاه رسول الله لصفوان غنما ملأت واديا بين جبلين . وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله . وحملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها . وقسم الأموال فى غزوة حنين فأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس . فأعطى أبا سفيان بن حرب ٤٠ أوقية من الفضة و ١٠٠ من الابل وكذا ابنيه يزيد ومعاوية، وأعطى حكيم بن حزام ١٠٠ من الابل . ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها . وأعطى النضر بن الحارث ابن كلدة ١٠٠ من الابل وكذا أسيد بن جارية الثقفى والحارث بن هشام وصفوان ابن أمية وقيس بن عدى وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى والأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن ومالك بن عوف . وأعطى العباس بن مُرداس ٤٠ من الابل . فقال فى ذلك شعراً فأعطاه ١٠٠ من الابل . وأعطى مخرمة بن نوفل ٥٠ بعيراً وكذا العلاء بن حارثة وسعيد بن يربوع وعثمان بن وهب وهشام بن عمرو العامرى . فبلغ ما أعطاه (١٤٨٥٠) من الابل

تدبروا فى هذه العطايا الطائلة التى كان يبذلها رسول الله ﷺ عن طيب نفس وهو لا يملك شيئاً ولا يحمل منها الى بيته درهماً ولا يقتنى شيئاً وقد يبيت طاوياً هو وأهله . يبيت طاوياً لا يجد ما يأكل ويعطى العباس من الذهب ما لا يطيق حمله ويهب المؤلفة قلوبهم من الابل ما يذهل ألبابهم ويسلب عقولهم . ولما رأى صفوان كثرة ما أعطاه رسول الله ﷺ انبهر وأسلم

سائلوا أنفسكم واسألوا أكرم انسان تعرفونه أو تسمعون عنه هل تسمح له نفسه بمثل هذه العطايا العظيمة الجزيلة مع حرمان شخصه منها كل الحرمان ! ؟ ليس أحد من البشر يبذل مثل هـذا البذل ويحرم نفسه . نعم ان فى الناس أصحاب الملايين كما فى أمريكا لـكنهم ان بذلوا شيئاً من الأموال فى سبيل الخـير أبقوا لأنفسهم أضعاف أضعافه وتمتعوا بجميع أنواع اللذات التى قد لا تخطر لنا ببال . هذا شأن من اتصفوا بالـكرم وعرفوا بالبذل من سائر الخلق . أما الأغنياء الذين يكنزون المال ويعضون

عليـه بالنواجذ ولا يجودون بشيء منه الا مضطرين مرغمين فلا نعنى بالتكلم عنهم لأنهم خارجون عن دائرة بحثنا فلا نفكر فيهم، بل هم أقل شأناً من أن نذكرهم . فهل أدركتم بعد ذلك أن كرم رسول الله ﷺ لا يعادله كرم ولا يصل اليه أحد ؟

قال علىّ بن أبى طالب وهو من عُرف بالشجاعة : «كنا اذا حمى الوطيس أو اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب من العدو منـه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ يومئذ وهو أقربنا الى العدو . وكان من أشد النـاس يومئذ بأساً » وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه ﷺ لقربه من العدو . وفى غزوة أُحد لما انهزم المسلمون ثبت رسول الله ﷺ الى النهاية

أى شجاعة أعظم من شجاعة رسول الله ﷺ . لندع الغزوات والانتصار فيها . فقد فتح جزيرة العرب وقاد الجيوش واحتمل الجوع والبرد والحر وقطع الطرق الوعرة والمسافات الشاسعة ولم ترهبه كثرة عدد العدو وسلاحه . لندع كل ذلك فان هناك مواطن ومواقف تستلزم من الشجاعة ورباطة الجأش ما هو أعظم من مواطن القتال والنزال. ذلك أنه ﷺ قام يدعو الى الاسلام وحده وينشر الدين وحده وبقى متمسكا بمبدئه لايحيد عنـه قيد أنملة متبعاً الاوامر الالهية مجتنباً النواهى بكل دقة ، مجاهداً فى سبيل الله ونصرة المبدأ متحملا الاهانات والاذى والاضطهاد والهجرة وقتل الاصدقاء والاقارب والتمثيل بهم وكل ما يتصوره العقل البشرى من ضروب الآلام والمشقات والمتاعب والمصاعب الى أن فاز بالنصر المبين . فهل هناك شجاعة تعدل شجاعة رسول الله ﷺ يقولون ان الشجاعة صبر ساعة . وحيـاته صلى الله عليه وسلم من مبدأ رسالته الى أن توفاه الله تعالى صبر متوال يستنفد شجاعة الشجعان وصبر الصابرين ولا يطيقه أحد من خلق الله . ومن ذا الذى يطيق أن يشغل عقله وجسمه وجميـع مواهبه ليـل نهار طول هـذه السنين وأن يكون دائم الحركة ، دائم الفـكر فى تعليم

الناس وتهذيبهم والقضاء بينهم وسياسة أمورهم وقيـادة جيوشهم ووضع الخطط الحربية ، وتوزيع الغنـائم والنظر فى شئونهم الدينية من عبادات ومعاملات ومقابلة الوفود والتحدث اليهم الى غير ذلك مما يطول نبا ذكره ؟

ان هذا السفر مهما كثرت صفحاته ، لا يتسع لذكر شمائل رسول الله ﷺ بالتفصيل ويكفينا هذا القدر فان ما لا يدرك كله لا يترك كله

اتباع التعاليم الاسلامية

علينا معاشر المسلمين أن نتمسك بالشريعة الاسلامية الغراء ونقتدى بأخلاق رسول الله حتى نصل الى أوج السعادة فى الدارين . وان من تمعن فى كتاب الله يجد أنه حوى مكارم الأخلاق فقد حث على الفضائل والآداب السامية ونهى عن الرذائل والدنايا . ومع ما بلغته المدنية الحديثة فى العلوم والآداب فانها لا تعد شيئا فى جانب تعاليم الاسلام النقية الطاهرة . فنحن أحق بالاتصاف بكل فضيلة والابتعاد عن كل رذيلة من أية أمة أخرى .

لقد قضى المسلمون على مخازى الوثنية وآفات الجاهلية . وفتح الله عليهم وسادوا الأمم ونشروا العلوم بفضل عقيدتهم وبما اتصفوا به من صفات الرجولة والأخلاق القوية التى استفادوها من القرآن الكريم وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من المحزن أن نرى الآن تدهور الأخلاق وانتشار الفساد والتهاون بأنواعه : تهاونا فى اقامة الشعائر الدينية . تهاونا فى اكتساب العلوم ومنافسة الأمم . تهاونا فى الحقوق الوطنية . تهاونا فى الذود عن كرامة الأمة والأسرة

من المحزن حقا أن نرى فتوراً فى الهمم وتقصيرا فى الواجبات واستهتاراً بالفضائل واقداما على اقتراف الرذائل . ومباهاة بالجرائم والمخازى والفضائح

هل كان سلفنا الصالح يتركون بلادهم طعمة ونهباً لكل طامع ولا يحركون ساكناً ؟ هل كانوا يتخاذلون ويتباغضون ولا يتعاونون ؟ هل كانوا لا يشفقون على الضعفاء والمساكين ولا يبرون الأقارب ولا يعودون المرضى ولا يغيثون الملهوفين ؟ هل كانوا جامدى الاحساس لا يشعرون بمصائب الناس ؟ هل كانوا يكتمون الحق ولا يحاربون الباطل ولا ينصفون المظلوم . ولا يضمدون جراح المكلوم ؟ هل كانوا يغفلون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويدعون أنهم عاجزون مقهورون لا حول لهم ولا قوة ؟ ثم يتركون حبل الأمور على غاربها طمعاً فى ربح قليل أو كثير وحباً

فى المناصب والجاه وتعلقا بزخارف الدنيا الزائلة ؟ انهم لو فعلوا ذلك لما قامت لهم قائمة وما كان لهم ذلك الأثر المجيد فى تاريخ الدنيا

ان الأجانب قد درسوا حالتنا الاجتماعية وماوصلنا اليه من انحطاط وجهالة وخور فى العزائم، وأخيراً حكموا بأن هذا راجع الى جوهر ديننا وتعاليمه لينفرونا منه ويصدونا عنه لئلا ترجع الى الاسلام شوكته الأولى وعز القديم . وقد اغتر بكلامهم بعض قصار النظر من المسلمين فعززوا آراءهم وطعنوا على الدين طعنات شتى زاعمين أنهم مصلحون . وهم فى الحقيقة مفسدون يخربون بيوتهم بأيديهم . ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد ، بل حللوا المحرمات ونشروا الفساد وروجوا الضلال وتعلقوا بمظاهر المدنية الغربية من خمور وفجور ولهو وخلاعة واباحية وما دروا أن علماء الغربيين وعقلاءهم ساخطون ناقمون على انتشار الفساد ، وقد صرحوا مراراً وتكراراً أن هذه المساوئ منذرة بسقوط الأمم . مؤذنة بخرابها مع أنها الآن فى غاية القوة والمنعة

ألا ان معاول الهدم أقوى أثراً وأسرع فعلا من مجهودات المصلحين . فاتقوا الله فيما تكتبون وتخطبون وتصرحون . أقيموا بناء المجد التالد وتزودوا من العلم النافع فان من العلم ما هو أشد ضرراً من الجهل ، ومن لم يفده العلم فقد باء بخسران مبين . ولا تجاروا الناس فى أهوائهم طمعاً فى الاشتهار بينهم والتقرب اليهم . هذا ما أردت أن أكتبه بشأن ما لاتباع التعاليم الاسلامية من الأهمية وهذه نصيحتى الخالصة للمسلمين عامة

الاقتداء بأخلاق رسول الله

يجب على المسلمين الاقتـداء بأخـلاق رسول الله ﷺ لأنه خـير قدوة لنا .
قال ذو النون المصرى : من علامات المحب لله عز وجل متابعـة حبيب الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه. وانا اورد هنا بعض صفاته التى اكتسبناها من سيرته وننبه على التحلى بها وذلك بغاية الاختصار

١ ـ كان رسول الله ﷺ نقى الثوب

ان النظافة من الايمان فالمسلم يجب عليه أن يكون نظيف الثياب والأعضاء . اذ الوضوء فرض والغسل فرض . وقد قال تعالى لرسـول الله « وثيابك فطهر » . هذا ما يأمرنا به ديننـا . وكان النبى ﷺ يعتنى بنظافة الظاهر كما يعتنى بنظافة البـاطن ويحث على استعمال السواك وطهارة الفم والأسنان ويتطيب ويمشط شعر رأسه ولحيته ويقم بيته بنفسه أى يكنسه . والناس الآن يستنكفون من مباشرة نظافة البيت فتأمل !

٢ ـ لا يقول هُجراً ولا ينطق هذَراً (١)

وما أكثر قول الهجر والهذر عندنا . وما أكثر الماجنين والسبابين . فهلا اقتدينا برسول الله وتأدبنا بأدبه فى الكتابة والقول وجانبنا الهجر والسب واللعن

٣ ـ لا يقطع على أحد حديثه

فانظر أيهـا المسلم الى هذا الأدب والحلم وسعة العقل . فـكثرة الـكلام وقطع الحديث على المتـكلم والهذر والمزاح البـارد والغيبة والنميمة والمراء ليس من خلق الاسلام ولا من المروءة

٤ ـ يتفقد أصحابه ويسأل عنهم

لا فرق فى ذلك بين كبير وصغير . غنى وفقير . لـكن النـاس يخصون الأغنياء بالسؤال عنهم ، ويتـكبر الأغنياء على الفقراء ويتعاظمون عليهم ويرون أنهم من طينة

---

(١) الهجر بالضم: الفحش

غير طينتهم ومن هذا نشأت العداوة والبغضاء وتفككت روابط الأسر والأمة .
وقد كان رسول الله مؤلفاً للقلوب فيصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه
ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق والمسألة ويعود المريض ويشهد الجنائز

٥ ـ اذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس

أين هذا الخلق الكريم المتواضع من الذين دأبهم التصدر فى المجالس بحق وبغير
حق وسواء كان المجلس خالياً أم مكتظا . ان الناس يظنون أن التواضع ضعة وضعف
لكن فى التواضع رفعة . ولن يسود انسان بالفظاظة والغلظة

٦ ـ كان أسخى الناس كفاً

وانا نذكر الناس أن البخيل ممقوت وقد قال بعضهم ان البخل من سوء ظن
المرء بالله، ولا نعلم أن بخيلا أحبه الناس واحترموه

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

٧ ـ لم يُر قط ماداً رجليه بين أصحابه

لكننا الآن نفعل كل ما يخالف الآداب بلا اكتراث ظنًّا منا أن ذلك من الحرية
لكن الحرية فى المجتمع لا تكون من طرف واحد . بل يجب مراعاة احساس الأصدقاء
والناس . فالأولاد يجب عليهم التأدب فى حضرة آبائهم ومعلميهم وأقرانهم كما أنه على
الآخرين مراعاة الأدب معهم للاقتداء بهم ومحبتهم

٨ ـ كان يخدم نفسه

ومن ذلك انه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحمل حاجته ويكنس بيته ويحلب الشاة
وهذا اعتماد على النفس . فليؤد كل عمله غير معتمد على غيره ولا مستنكف من العمل
مهما كان، واذا كان رسول الله ـ وهو سيد الخلق والمسلمون أطوع اليه من بنانه ـ يكنس
بيته بنفسه فهل يستنكف أحد منا مزاولة أى شأن من شئون الحياة وهل تستنكف
سيدة البيت أن تخدم نفسها وزوجها وأولادها ظنا منها أن ذلك مما لا يليق بها لغناها
وترفها وحسن هندامها ! ان الاعتماد على النفس هو القوة والبطولة والرقى والاستقلال

٩ ـ قال صلى الله عليه وسلم « اذا عمل أحدكم عملا فليتقنه »

لما سوى جدث ابنه ابراهيم رأى حجراً فى جانب الجدث فجعل يسويه بأصبعه ويقول « اذا عمل أحدكم عملا فليتقنه فانه مما يسلى نفس المصاب »

الاتقان أيها المسلمون الاتقان . فلا تستهينوا بالأعمال ولا يستصغرن أحدكم أمراً مهما قل شأنه . فالعلم يحتاج الى الاتقان والصناعة تحتاج الى الاتقان والتجارة تحتاج الى الاتقان . والنظام الذى هو أساس الحضارة والعمران ماهو الا الاتقان ؟ وماسوى ذلك فهو اهمال وتقصير يؤديان الى الانحطاط والارتباك والخراب

١٠ ـ كان رسول الله يستشير أصحابه

قال تعالى «وشاورهم فى الأمر». ان الله سبحانه وتعالى أمر رسوله وهو سيد الخلق وأرجح الناس عقلا وأغزرهم علما وأسدهم رأيا أن يستشير أصحابه ولا ينفرد برأيه . قال الضحاك « أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل » وقال الحسن البصرى « أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وان كان عن مشورتهم غنيـًّا »

فالاستبداد فى الرأى مناف للاسلام كما رأيت وهو من علامات الكبر والغطرسة وليس فى الاستشارة أى ضعف بل انها دليل على العقل وبعد النظر والرغبة فى الاصلاح والاسلام من مبدئه يقدر فوائد الاستشارة ويعمل بها

١١ ـ الثبات على المبدأ

ان من تصفح سيرة الرسول يتضح له أنه صلى الله عليه وسلم لم يتحول عن مبدئه قيد أنملة واحتمل ايذاء المشركين بكل صبر ولم يذق للراحة طعماً فى سبيل نشر الدين ولم يقبل ماعرضته عليه قريش من ملك ومال وجاه . فماذا كانت نتيجة ثباته على المبدأ ؟ كانت النتيجة أنه هزم المشركين وفتح بلادهم وهدم الأصنام ونشر الاسلام ، وتوفى بعد أن بلغ رسالات ربه بكل أمانة وبعد أن قام بالواجب عليه خير قيام . فليعتبر المسلمون بنبيهم وليقتدوا به فى جميع أمورهم

معجزات رسول الله

المعجزة هى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى ، وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها . وهى تدل على صدق من ظهرت على يديه . وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعى الرسالة على طبق دعواه

ان أكثر معجزات رسول الله متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر فى مواطن اجتماعهم وفى محافل المسلمين ومجتمع العساكر والجند ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفته ولا انكار على من روى ذلك

معجزة القرآن

من أعظم دلائل نبوته القرآن الكريم فقد تحدى العرب بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشىء منه مع أنه كان أمياً وكانت قريش أهل البلاغة والفصاحة والشعر وكانوا يرتجلون الكلام البليغ فى المحافل ارتجالا قال تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ولم يقتصر اعجاز القرآن على نظمه وبلاغته بل على ما حواه من حكم وأخلاق ودين وتشريع وعلوم عقلية وأخبار عن الأمم الماضية وأخبار بالغيوب مع ما كان معروفا من حال النبى ﷺ من انه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ. وقد اعترف كثير من أهل الفصاحة والبلاغة بأن القرآن ليس من كلام البشر ولم يقدر أحد على معارضته ومنهم عتبة بن ربيعة فانه لما سمع القرآن من رسول الله رجع الى قريش وقال « والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة . فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ » . ومنهم الوليد بن المغيرة وكان المقدم فى قريش بلاغة وفصاحة فانه لما

قرأ عليه رسول الله (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى ٱلْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) قال له أعده فأعاد ذلك فقال « والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وانه ليعلو ولا يعلى عليه » فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأن قريش كلها . أما أنيس أخو أبى ذر الذى ناقض اثنى عشر شاعراً فى الجاهلية فانه رجع بعد ماسمع القرآن من رسول الله وقال: رأيت رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله فقال له أبو ذر فما يقول الناس فيه ؟ قال يقولون شاعر . كاهن . ساحر . لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه لصادق وانهم لكاذبون . وقد أسلم ضماد بن ثعلبة الأسدى عندما سمع رسول الله يقول : (الحمدلله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له) وأسلم عمر بن الخطاب الذى كان من أشد الناس على رسول الله بعد أن قرأ القرآن فى بيت أخته فاطمة بنت الخطاب . وقد تقدمت قصته . وأسلم كذلك الطفيل بن عمرو الدوسى وهو شاعر مشهور بعد أن تلا عليه رسول الله آيات من القرآن وقال « والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه » وقد أوردنا قصة اسلامه فلتراجع فى موضعها

ولما كان العرب أهل الفصاحة والبلاغة فقد كان المنصفون منهم يسلمون عند سماعهم القرآن من غير معارضة ولا مكابرة لأن الحق أحق أن يتبع . أما الذين فى قلوبهم مرض فقد كانوا يبذلون كل جهد لمنع الناس من سماع رسول الله يتلو القرآن خشية أن يؤثر فيهم ويسلموا . وحكى أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلا يقرأ (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ) فسجد وقال « سجدت لفصاحة هذا الكلام » وسمع أعرابى آخر رجلا يقرأ (فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

هذا ومعجزة القرآن باقية مابقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضرون

وقد حاول بعضهم معارضة القرآن فجاء كلامه سخيفا مضحكا، فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب وهو عربى صميم « يا ضفدع كم تنقين . أعلاك فى الماء وأسفلك فى

الطين . لاالماءتـكدرين ولاالشرب تمنعين » ولماسمع قوله تعالى (وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً) قال « والزارعات زرعاً والحاصدات حصـداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحنـا والحافرات حفراً والثاردات ثرداً واللاقمات لقما . لقد فضلت على أهل الوبر وماسبقكم أهل المضر . الخ » ومن كلامه « ألم تر كيف فعل ربك بالحبـلى . أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا » وقال بعضهم «الفيل وما أدراك ماالفيل. له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل » وهذا كلام لا طعم له ولا حلاوة فيه . خال من المعنى يمجه كل ذوق ولا يتمالك سامعه من الضحك . وقد أراد بعضهم معارضة سورة الاخلاص فأخفق واعترته رقة فى قلبه فتاب . وحاول ابن المقفع المعارضة فلم يستطع واعترف باعجاز القرآن . والقرآن كله قليله و كثيره معجز

وقد ورد فى القرآن الاخبار بالمغيبات مماسبق ومما كان فى وقت نزوله وممـا سيقع بعدذلك كـقوله تعالى (لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ)وقوله تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ) وقال تعالى (لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ) وقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله (سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ) وقوله (وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ) ٱلآية وقوله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ) إلى آخرها وقوله تعالى (وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) فلما نزلت هذه الآية منع رسول الله أصحابه من حراسته . هذه الآية تدل على صحة نبوة النبى ﷺ اذ كان من أخبار الغيوب لأنه لم يصل اليه أحد بقتل ولا قهر ولا أسر على كثرة أعدائه

وانى أنتهز هذه الفرصة فأنشر الى العالم الاسلامى رأى عالم انجليزى فى رسول الله وهومستر بوسورث سميث مؤلف كتاب «محمد والاسلام»(١) آملا أن يتدبره القارىء بامعان مع العلم أنه رجل مسيحىّ ولـكنه منصف أبت عليـه نفسه الا تقرير الحقيقة بغض النظر عن أى اعتبار آخر . قال ماترجمته :

(1)Mr. Bosworth Smith. MohammedandMohammedanism

« ان المعجزة الخالدة التى ادعاها هى القرآن . والحقيقة انها لكذلك . واذا قدرنا ظروف العصر الذى عاش فيه واحترام أتباعه له احتراماً لا حد له ، ووازناه بآباء الكنيسة أو بقديسى القرون الوسطى لتبين لنا أن أعظم ما هومعجز فى محمد « رسول الله » أنه لم يدّع القدرة على الاتيان بالمعجزات ، وما قال شيئاً الا فعله وشاهده منه فى الحال أتباعه . ولم ينسب اليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر صدورها منه . فأى برهان على اخلاصه أقطع من ذلك ؟

وقد كان محمد يدعى الى آخر حياته كما ادعى من مبدأ أمره أنه رسول الله حقاً . وانى أعتقد أن الفلسفة العالية والمسيحية الصادقة ستعترف له بذلك يوماً من الأيام »

انشقاق القمر

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر : وقد نطق به القرآن . قال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾

قال الفخر الرازى فى تفسيره :

والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ودلت الأخبار على حديث الانشقاق . وفى الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة قالوا سئل رسول الله ﷺ آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقه . وقال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له لأن من منع ذلك وهو الفلسفى يمنعه فى الماضى والمستقبل ومن يجوّزه لا حاجة الى التأويل وانما ذهب اليه ذلك الذاهب لأن الانشقاق أمر هائل فلو وقع لعم وجه الأرض فكان ينبغى أن يبلغ حد التواتر . نقول النبى ﷺ لما كان يتحدى بالقرآن وكانوا يقولون انا نأتى بأفصح ما يكون من الكلام وعجزوا عنه فكان القرآن معجزة باقية الى قيام القيامة لا يتمسك بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر . وأما المؤرخون فقد تركوه لأن التواريخ فى أكثر الأمر يستعملها المنجم وهو لما وقع الأمر قالوا بأنه مثل خسوف

القمر وظهور شيء فى الجو على شكل نصف القمر فى موضع آخر فتركوا حكايته فى تواريخهم، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه . وقد أخبر عنه الصادق الأمين فيجب اعتقاد وقوعه ، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مراراً فلا نعيده

وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال : ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم

وقال الزمخشرى فى تفسيره :

انشقاق القمر من آيات رسول ﷺ ومعجزاته النيرة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين . وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما . قال ابن عباس : انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر . وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به راداً. وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه

وفى تفسير الطبرى : وقوله وانشق القمر يقول جل ثناؤه وانفلق القمر وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية فأراهم ﷺ انشقاق القمر حجة على صدق قوله وحقيقة نبوته فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد فقال الله جل ثناؤه (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار وقال به أهل التأويل

وحدث أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين . وعن عبد الله قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ اشهدوا . وعن عبد الله أيضاً قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقال رسول الله

ﷺ لأبى بكر اشهد يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق. قال القسطلانى شارح البخارى : وهذه معجزة من أمهات المعجزات الفائقة على معجزات سائر الأنبياء لأن معجزاتهم عليهم السلام لم تتجاوز الأرضيات

وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين

فانشقاق القمر ثابت بنص القرآن . أما من قال بأن المراد أنه سينشق فهو اما منكر للمعجزات حتى المذكورة فى القرآن واما انه لا يفهم اللغة العربية فقد قال الله تعالى (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) لأن الكفار لما رأوا انشقاق القمر بعد أن سألوا رسول الله كابروا وقالوا انه سحر مستمر . ولو كانت الآية تدل على أن القمر سينشق لما كان هناك معنى لقوله : وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . والآية هى معجزة الانشقاق والذين أنكروها بعد رؤيتها هم كفار قريش وكان ذلك دأبهم . وقد روى أحاديث الانشقاق أهل السنن كالبخارى ومسلم والامام أحمد والبيهقى وبقية أهل السنن وقد ذكرنا تفسير كبار المفسرين

قال الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله فى كتابه « باكورة الكلام فى حقوق النساء فى الاسلام » :

« ومن ذلك يعلم أنه لامحذور فى انشقاق القمر لسيدنا رسول الله ﷺ وان تأويل آيته بوضع المستقبل موضع الماضى لتحققه لا داعى اليه فضلا عن كونه خلاف الصحيح . وقد ذكرت الجرائد الأجنبية مقالة عربتها جريدة الانسان العربية التى كانت تطبع بالاستانة العلية حاصلها : انه عثر فى ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه انه بُنى عام كذا الذى وقع فيه حادث سماوى عظيم وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ اه »

ومن المعجزات نبع الماء من بين الأصابع : روى حديث نبع الماء من بين أصابعه جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود ، وحدث ذلك يوم الحديبية وفى غزوة بواط أمام الجموع الكثيرة ولم ينكر هذا الحديث أحد من الصحابة

فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه انه قال أتى النبى ﷺ وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل المـاء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة قلت لأنس كم كنتم قال ثلثمائة أوزهاء ثلثمائة . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسـول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده فى ذلك الاناء فأمر الناس ان يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم

(تـكثير الطعام) ومن معجزاته تـكثير الطعام ببركته ودعائه وقد حدث ذلك مراراً .

(حنين الجذع) كان مسجد النبى ﷺ مسقوفاً على جذوع نخل فـكان رسول الله اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمع لذلك الجذع صوت كصوت العشار . سمعه أهل المسجد حتى ارتج المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا زال يحن حتى تصدع وانشق فنزل ﷺ فالتزمه وحضنه فسكن . وحديث الجذع مشهور رواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبىّ بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعيد وأبو سعيد الخدرى وبريرة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة. كلهم حدَّث بمعنى هذا الحديث

وروى حديث الجذع البخارى عن جابر بن عبد الله

(ابراء المرضى وذوى العاهات) وقد ذكرنا انه رد عين قتادة وتفل فى عين علىّ يوم خيـبر وكان رمداً فبرئ . الاسراء والمعراج . نسج العنـكبوت فى الغار . وما وقع لسراقة . ودعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فصار أغنى العرب وكذا دعاؤه لثعلبة بالغنى . ودعاؤه لمعاوية بالتمـكن فى البلاد فنال الخلافة، ولسعد بن أبى وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على أحد الا استجيب له . وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وعاش ١٢٠ سنـة وتسبيح الحصا فى يده . هـذا قليل من كثير من معجزاته ﷺ

أحاديث نبوية

من أُمّهات كتب الحديث

مرتبة حسب الحروف الهجائية

١ اتق الله فى عسرك ويسرك

٢ اتقوا مواضع التهم

٣ اجتنب الخمر فانها مفتاح كل شر

٤ أحبّ الأعمال الى الله تعالى أدومُها وانْ قلّ

٥ أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما . وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

٦ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

٧ أدبنى ربى فأحسن تأديبى

٨ اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٩ اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه

١٠ اذا حدّث الرجل بحديث ثم التفت، فهى أمانة

١١ اذا لم تستح فاصنع ما شئت

١٢ اذا مات انسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

١٣ اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه

١٤ ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء

١٥ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

١٦ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود

١٧ اشتدى أزمة تنفرجى

١٨ أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

١٩ أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك

٢٠ أعقلها وتوكل

٢١ الأعمال بالخواتيم

٢٢ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر

٢٣ الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة · والتودد الى النـاس نصف العقل . وحسن السؤال نصف العلم

٢٤ أكمل المؤمنين ايماناً ، أحسنهم خلقاً

٢٥ ألا أدلـكم على أفضل الصدقة ، ابنتك مردودة اليك ليس لها كاسب غيرك

٢٦ ألا كلـكم راع وكل راع مسئول عن رعيته

٢٧ ألا لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق

٢٨ انتظار الفرج عبادة

٢٩ أنت ومالك لابيك

٣٠ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

٣١ ان الله حرّم عليـكم عقوق الأمهات . ووأد النبات . ومنع وهات . وكره لـكم قيل وقال · وإضاعة المال

٣٢ ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالـكم . ولـكن ينظر الى قلوبكم وأعمالـكم

٣٣ ان لجواب الـكتاب حقاً كرد السلام

٣٤ انما الأعمال بالنيات

٣٥ انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الـكير . فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه . وإما أن تجد منـه ريحاً طيبة . ونافخ الـكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة

٣٦ انما يرحم الله من عباده الرحماء

٣٧ ان من البيان لسحراً

٣٨ ان من الشعر لحكمة

٣٩ إياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه . وان الله لا يمنع ذا حق حقه

٤٠ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

٤١ البلاء موكل بالمنطق

٤٢ بُنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان

٤٣ التائب من الذنب كمن لا ذنب له

٤٤ تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين ، يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه

٤٥ ترك الشر صدقة

٤٦ الجنة تحت أقدام الأمهات

٤٧ الحكمة ضالة المؤمن

٤٨ الحلال بين والحرام بيّن

٤٩ الحياء لا يأتى الا بخير

٥٠ الحياء من الايمان

٥١ الخلق عيال الله . فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله

٥٢ خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم

٥٣ خيركم من تعلم القرآن وعلمه

٥٤ خيركم من يُرجى خيره ويؤمن شره . وشركم من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره

٥٥ خير الناس أنفعهم للناس

٥٦ الدعاء مخ العبادة

٥٧ الدعاء يرد البلاء

٥٨ الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة

٥٩ الدنيا مزرعة الآخرة

٦٠ الدين النصيحة

٦١ رأس الحكمة مخافة الله

٦٢ رأس الدين الورع

٦٣ رضا الله من رضا الوالدين . وسخطه من سخط الوالدين

٦٤ الرؤيا لأول عابر

٦٥ زُر غباً تزدد حباً

٦٦ الزنا يورث الفقر

٦٧ الساعى على الأرملة والمسكين ، كالساعى فى سبيل الله

٦٨ ساقى القوم آخرهم شرباً

٦٩ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

٧٠ سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله . إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمسجد . ورجلان تحابا فى الله عزوجل، اجتمعا عليه وافترقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه

٧١ السديد من غلب نفسه

٧٢ السعيد من وعظ بغيره

٧٣ سيد القوم خادمهم

٧٤ شراركم عُزّابكم

٧٥ الصلاة عماد الدين

٧٦ صوموا تصحوا

٧٧ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

٧٨ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس

٧٩ الظلم ظلمات يوم القيامة

٨٠ العائد فى هبته كالعائد فى قيئه

٨١ فضل العلم خير من فضل العبادة

٨٢ قل الحق وان كان مراً

٨٣ القناعة كنز لا يفنى

٨٤ كل شراب أسكر فهو حرام

٨٥ كل معروف صدقة

٨٦ كل مُيَسَّرٌ لما خلق له

٨٧ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وعد نفسك فى أهل القبور

٨٨ لا تجلس بين رجلين إلا باذنهما

٨٩ لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا

٩٠ لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله

٩١ لاتنزع الرحمة الا من شقى

٩٢ لايجنى على المرء الا يده

٩٣ لايحكم أحد بين اثنين وهو غضبان

٩٤ لا يخلون رجل بامرأة . ولاتسافر امرأة الا ومعها محرم

٩٥ لايدخل الجنة قتّات (نمام)

٩٦ لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر

٩٧ لايرد القدر الا الدعاء . ولايزيدالعمر الا البر . وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

٩٨ لايزال العبد فى صلاة مادام فى المسجد ينتظر الصلاة ما لم يحدث

٩٩ لايلدغ المؤمن من جحر مرتين

١٠٠ لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين

١٠١ لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه

١٠٢ الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار . والذى يطعن نفسه يطعنها فى النار

١٠٣ لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال

١٠٤ لم يبق من النبوة الا المبشرات . قالوا وما المبشرات ؟ قال الرؤيا الصالحة

١٠٥ لن يغلب عسر يسرين

١٠٦ لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً (جياعاً) وتروح بطانا (شباعا)

١٠٧ لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب

١٠٨ ليس الشديد بالصُّرَعة (من يصرع الناس كثيرا) انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب

١٠٩ ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً

١١٠ ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان . ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس

١١١ ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية

١١٢ ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

١١٣ ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع الى جنبه

١١٤ ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء

١١٥ ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد

١١٦ مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه

١١٧ المرء مع من أحب

١١٨ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه

١١٩ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه

١٢٠ من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه

١٢١ من حمل علينا السلاح فليس منا . ومن غشنا فليس منا

١٢٢ من صمت نجا

١٢٣ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت

١١٤ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره

١٢٥ من مشى مع ظالم ليقويه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام

١٢٦ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً

١٢٧ نعم المال الصالح للرجل الصالح

١٢٨ الوحدة خير من جليس السوء

١٢٩ ياعباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد ، الهَرَم

١٣٠ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

جدول

بتواريخ الحوادث المشهورة

فى السيرة النبوية

سنة ميلادية	
٥٤٥	ميلاد عبد الله والد رسول الله
٥٧٠	حادثة الفيل
٥٧٠ ـ ٢٠ أغسطس	مولد النبى ﷺ فجر يوم الاثنين شهر ربيع الأول
٥٧٣	ميلاد أبى بكر الصديق
٥٧٥ - ٥٧٦	وفاة آمنة أم النبى ﷺ
٥٧٨	وفاة جده عبد المطلب
٥٨١	ميلاد عمر بن الخطاب
٥٨٢	رحلة النبى الأولى الى الشام مع عمه أبى طالب
٥٨٠ — ٥٩٠	حرب الفجار
٥٩٥	رحلته الثانية الى الشام فى تجارة لخديجة وفى هذه السنة تزوج بها
٦٠٠ ـ ٦٠١	ميلاد علىّ بن أبى طالب
٦٠٥	تجديد بناء الكعبة
٦١٠	بدء الوحى
٦١٣ ـ ٦١٤	ميلاد السيدة عائشة
٦١٥	الهجرة الى الحبشة « شهر رجب سنة خمس من النبوة »
٦١٧	مقاطعة قريش لبنى هاشم وبنى المطلب
٦٢٠	وفاة أبى طالب ووفاة خديجة « عام الحزن »
٦٢١	الاسراء والمعراج «قبل الهجرة بسنة ـ ليلة الاثنين ٢٧ رجب» وفريضة الصلاة

سنة		
٦٢١		بيعة العقبة الأولى « سنة ١٢ من النبوة »
٦٢٢	ـ ٢٨ يونيه	هجرته الى المدينة « ١٢ ربيع الأول ـ يوم الاثنين وهو يوم وصوله الى المدينة »
٦٢٣		بعث حمزة « شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة »
«	«	سرية عبيدة بن الحارث « شهر شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة »
٦٢٣	يونيه	غزوة الأبواء « شهر صفر على رأس اثنى عشر شهراً من الهجرة »
٦٢٣	يوليه	غزوة بواط « شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة »
٦٢٣	اكتوبر	غزوة العشيرة « جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة »
٦٢٣	نوفمبر	سرية عبد الله بن جحش « شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة »
٦٢٤	يناير	غزوة بدر الكبرى « رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة »
٦٢٤	فبراير	غزوة بنى قينقاع « شوال من السنة الثانية من الهجرة »
٦٢٤	ابريل	غزوة السويق « فى ذى الحجة من السنة الثانية »
٦٢٤	يوليه	قتل كعب بن الأشرف « ربيع الأول من السنة الثالثة »
٦٢٤	سبتمبر	سرية زيد بن حارثة « جمادى الآخرة من السنة الثالثة »
٦٢٥	يناير	غزوة أُحد « شوال سنة ثلاث »
٦٢٥	مايو	بعث الرجيع « صفر من السنة الرابعة »
٦٢٥	مايو	سرية بئر معونة
٦٢٥	يونيه	غزوة بنى النضير « ربيع الأول سنة أربع » وتحريم الخمر

ســنة		
٦٢٦	يوليه	غزوة دومة الجندل « ربيع الأول سنة خمس »
٦٢٦	ديسمبر	غزوة بنى المصطلق « شعبان سنة خمس »
٦٢٧	فبراير	غزوة الخندق « شوال سنة خمس »
٦٢٧	ابريل	غزوة بنى قريظة « فى ذى القعدة سنة خمس »
٦٢٧	يونيه ـ يوليه	غزوة بنى لحيان « ربيع الأول سنة ست »
٦٢٧	يوليه	غزوة ذى قرد « ربيع الأول سنة ست »
٦٢٧	أغسطس	سرية الغمر « ربيع الثانى سنة ست »
٦٢٧	سبتمبر	سرية زيد بن حارثة الى العيص « جمادى الأولى سنة ست »
٦٢٧	اكتوبر	سرية أخرى لزيد بن حارثة الى حسمى « جمادى الآخرة سنة ست »
٦٢٧	ديسمبر	سرية عبد الله بن عتيك « رمضان سنة ست »
٦٢٨	يناير	سرية عبد الله بن رواحة « شوال سنة ست »
٦٢٨	فبراير	الحديبية « فى ذى القعدة سنة ست »
٦٢٨	مايو	ايفاد الرسل الى الروم وفارس « سنة سبع »
٦٢٨	أغسطس	زواج رسول الله بأم حبيبة بنت أبى سفيان « جمادى الاولى سنة سبع »
٦٢٨	أغسطس	غزوة خيبر « شهر المحرم سنة سبع »
٦٢٩	فبراير	عمرة القضاء « فى ذى القعدة سنة سبع »
٦٢٩	سبتمبر	سرية مؤتة « جمادى الأولى سنة ثمان »
٦٢٩	اكتوبر	سرية ذات السلاسل « جمادى الثانية سنة ثمان »
٦٢٩	نوفمبر	سرية الخبط « شهر رجب سنة ثمان »
٦٢٩	ديسمبر	سرية أبى قتادة الى نجد « شعبان سنة ثمان »
٦٣٠	يناير	فتح مكة وهدم الأصنام « رمضان سنة ثمان »

سنة		
٦٣٠	فبراير	غزوة حنين « ١٠ شوال سنة ثمان »
«	فبراير	غزوة الطائف « شوال سنة ثمان »
«	ابريل	مولد ابراهيم « فى ذى الحجة سنة ثمان »
«	ابريل	سرية عيينة بن حصن الفزارى الى تميم « المحرم سنة تسع »
«	يوليه	سرية علقمة بن مجزز المدلجى الى الحبشة « ربيع الآخر سنة تسع »
«	يوليه	سرية على بن أبى طالب الى الفلس . صنم طى « ربيع الآخر سنة تسع »
«	اكتوبر	غزوة تبوك « رجب سنة تسع »
٦٣١	مارس	حجة أبى بكر الصديق « فى ذى الحجة سنة تسع »
«	يونيه	سرية خالد بن الوليد الى بنى الحارث بن كعب بنجران « ربيع الأول سنة عشر »
«	يونيه	وفاة ابراهيم ابن رسول الله « ربيع الأول سنة عشر »
«	ديسمبر	بعث على رضى الله عنه الى اليمن « رمضان سنة عشر »
٦٣٢	مارس	حجة الوداع « فى ذى الحجة سنة عشر »
«	مايو	استعداد جيش أسامة الى الشام « صفر سنة احدى عشرة »
«	٩ يونية	وفاة رسول الله يوم الاثنين شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس

بأسماء الرجال والقبائل

(ب)

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

فهرس بأسماء النساء

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

فهرس
بأسماء الاماكن

(ت)

(ث)

(ج)

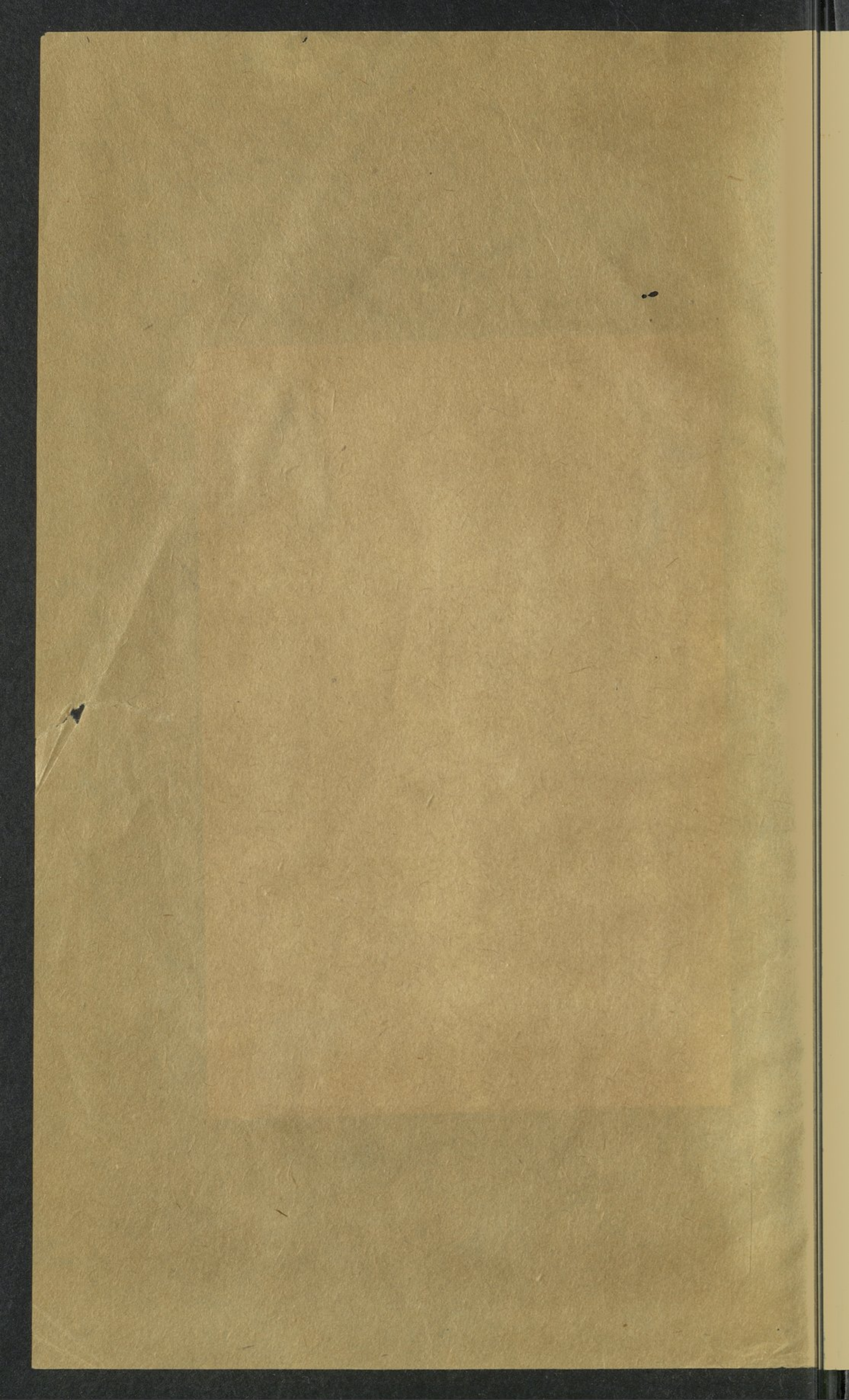
(ح)

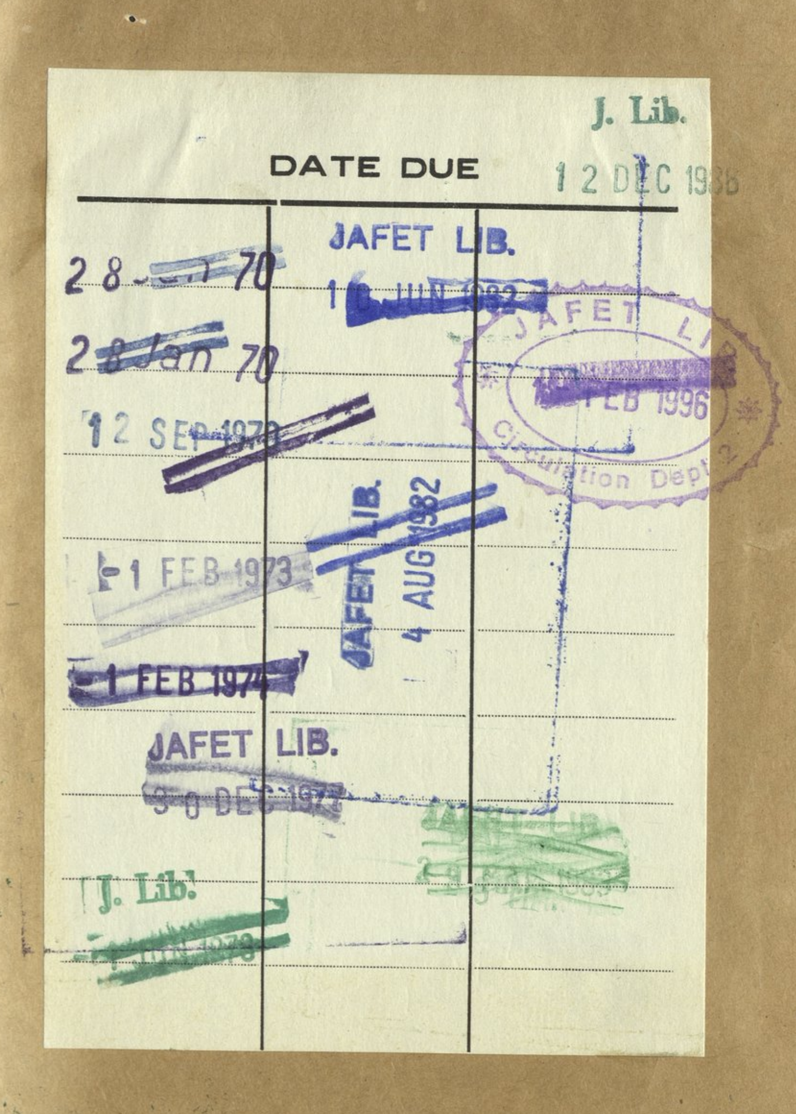
(خ)

﴿ تم الفهرست ﴾

صواب الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٣	هوزان	هوازن
١١٥	١٧	خمسة عشرة يوما	خمسة عشر يوما
١٢٩	٢	هالة بنت وهيب	هالة بنت وهب
١٧٨	٨	الخزرج ين عمرو	الخزرج بن عمرو
٢٠٠	٥	مخريق	مخيريق
٢٩٠	١٤	أبطالها	إبطالها
٢٩٠	١٦	رجعيا	رجـما
٢٩٥	٩	زينب ينت جحش	زينب بنت جحش
٣٢٣	٩	عمرو بن جنانة	عمرو بن خنافة
٣٥٤	١٦	الحدييية	الحديبية
٤٠٩	١٩	Pareeyal	Perceval
٤٢٦	١و٢٠ و٢١	الخزورة	الحزورة
٤٦٤	٦	بن سلول	ابن سلول
٤٧٨	١٨	عروة المزادى	عروة المرادى




J. Lib.
DATE DUE
12 DEC 1986
JAFET LIB.
28 Jan 70
28 Jan 70
12 SEP 1972
1 FEB 1973
1 FEB 1974
JAFET LIB.
JAFET LIB.
4 AUG 1982
JAFET LIB.
Circulation Dept.
FEB 1996
J. Lib.

297.63:M95rA:c.1
رضا ،محمد رشيد
محمد رسول الله
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01013146

297.63:M95rA
رضا
محمد رسول الله ٠

DATE	Borrower's Numb	DATE	Borrower's

297.63
M95rA

297.63
M95rA
C.1